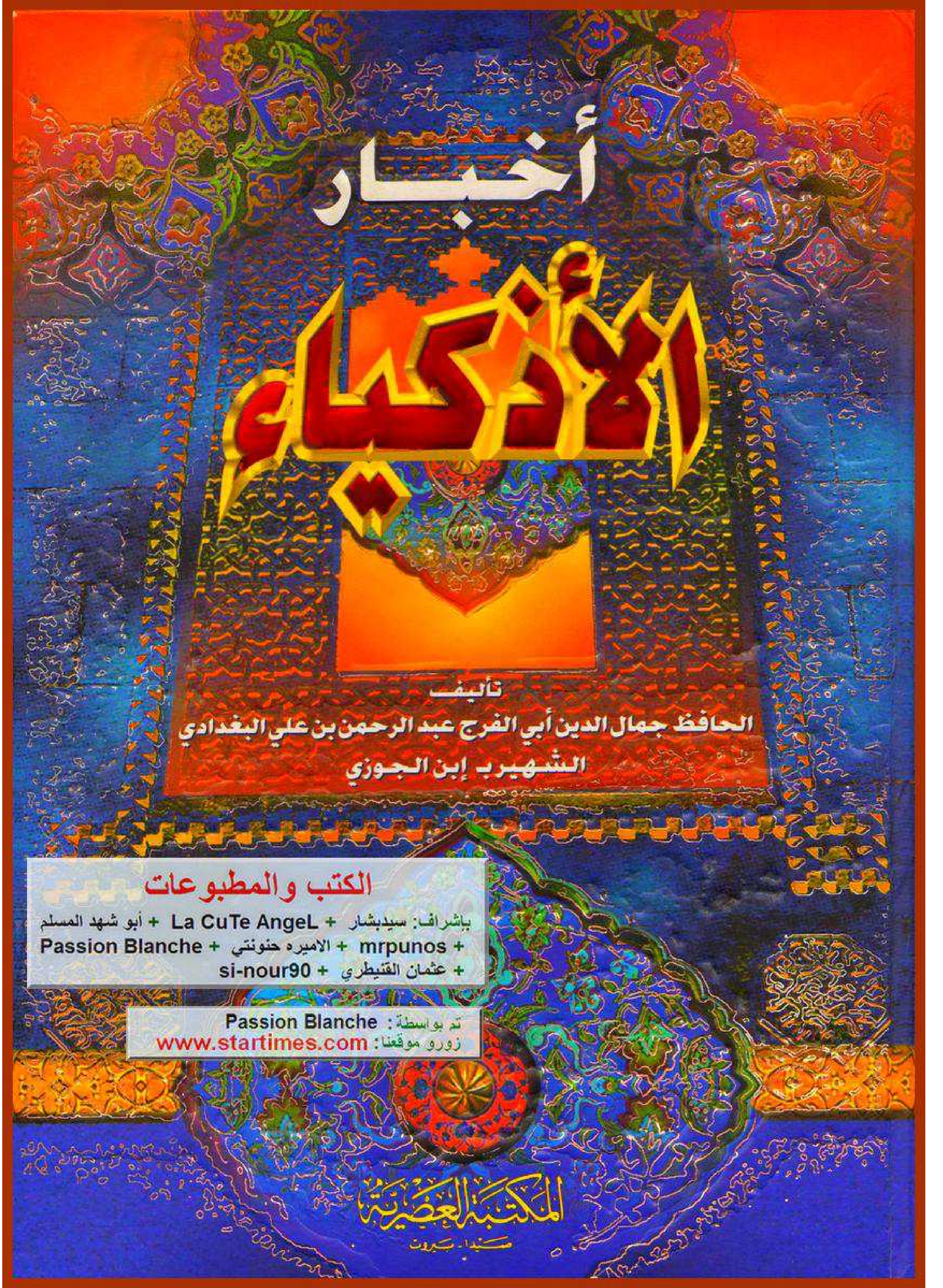

أخبار
الأذكياء
تأليف
الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي
الشهير بـ إبن الجوزي
الكتب والمطبوعات
بإشراف: سيدبشار + La CuTe AngeL + أبو شهد المسلم
+ mrpunos + الاميره حنونتي + Passion Blanche
+ عثمان القنيطري + si-nour90
تم بواسطة : Passion Blanche
زوروا موقعنا : www.startimes.com
المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - 2003 م



المكتبة العصرية للطباعة والنشر

الدار النموذجية — المطبعة العصرية

بيروت - ص.ب ٨٣٥٥ ١١ - تلفاكس ٦٥٥٠١٥ ٠٠٩٦١١
صيدا - ص.ب ٢٢١ - تلفاكس ٧٢٠٣١٧ ٠٠٩٦١٧
e-mail: alassrya@terra.net.lb

ISBN 9953-34-113-3

أخبار الأذكياء

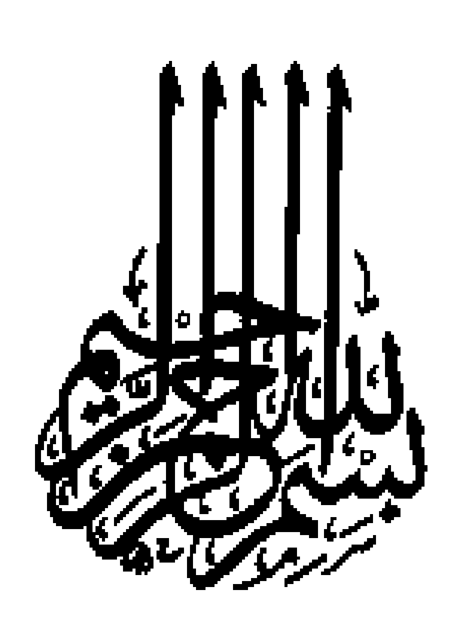
تأليف

الإمام أبي الفرج عبد الرحمن
ابن علي بن الجوزي
المولود سنة ٥٠٨ هـ والمتوفى سنة ٥٩٧ هـ

اعتنى به وراجعه

الداني بن منير آل زهوي





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد للَّه الذي أحلّنا محلة الفهم وحلّانا حِلْيَةَ العلم، وملّكنا عِقَالَ العقل، وزيّننا بنطق المنطق، ونعوذُ به من كدَرِ صفاء الفكر، وعكر ذهن الذهن، وصلّى اللَّه على المبعوث بجوامع الكَلِمِ إلى أعقل الأمم، وعلى جميع أتباعه، والسائرين في منهاج أتباعه، وسلَّمَ تسليماً كَثيراً.

أما بعد؛ فإن أجلّ الأشياء موهبة العقل، فإنه الآلة في تحصيل معرفة الإِلٰه، وبه تضبط المصالح وتلحظ العواقب، وتُدْرَكُ الغوامض، وتُجْمَعُ الفضائل.

ولما كان العقلاء يتفاوتون في موهبة العقل، ويتباينون في تحصيل ما يتقنه من التجارب والعلم؛ أحببت أن أجمعَ كتاباً في «أخبار الأذكياء» الذين قويت فطنتهم، وتوقَّد ذكاؤهم لقوة جوهرية عقولهم، وفي ذلك ثلاثة أغراض:

أحدها: معرفة أقدارهم بذكر أحوالهم.

والثاني: تلقيح ألباب السامعين، إذا كان فيهم نوع استعداد لنيل تلك المرتبة، وقد ثبتَ أن رؤية العاقل ومخالطته تفيد ذا اللُّبِّ، فسماع أخباره تقوم مقام رؤيته، كما قال الرَّضِيُّ(١):

فـاتـنـي أنْ أرى الـديـارَ بِـطَـرْفـي ... فـلـعـلّـي أعـي الـدِّيـار بِـسَـمْـعـي

[١] ـ وقد أنبأنا جماعة من أشياخنا قالوا: أخبرنا مضر بن محمد، قال: سمعت يحيى بن أكثم يقول: سمعت المأمون يقول لإبراهيم: «لا شيء أطيب من النظر في عقول الرجال».

والثالث: تأديب المعجب برأيه إذا سمع أخبار من تعسر عليه لحاقه، واللَّه الموفق.

* * *

---

(١) هو: الشريف أبو الحسن محمد بن الطاهر الرَّضِي، توفي سنة (٤٠٦).

بـــاب
في ذكر تراجم أبواب الكتاب

وهي ثلاثة وثلاثون باباً:

* * *

في ذكر
فضل العقل

[٢] ـ أخبرنا أبو منصور عبد الرحمٰن بن محمد القزاز، أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، أنا محمد بن أحمد بن رزق، حدّثنا جعفر بن محمد الخلدي، حدّثنا الحارث بن أبي أسامة، حدّثنا داود بن المحبر، حدّثنا عَبّاد بن كثير، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس؛ أنه دخل على عائشةَ، فقال: يا أُمّ المؤمنين، أرأيت الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده، وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده؛ أيهما أحب إليك؟ قالت: سألت رسول الله ﷺ كما سألتني عنه فقال: **«أحسنهما عقلاً»**، قلت: يا رسول الله أسألك عن عبادتهما، فقال: **«يا عائشة؛ إنما يُسْأَلانِ عن عقولهما، فَمَن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة»**[1].

[٣] ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أخبرنا أحمد بن محمد بن غالب، أخبرنا أبو أحمد الحسين بن علي النيسابوري، حدّثنا محمد بن المسيب، حدّثنا موسى بن سليمان، حدّثنا بقية، حدّثنا عبد الله بن عمرو، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تعجبوا بإسلام امرئ حتى تعرفوا عقدة عقله»**[2].

---

(١) **موضوع.** أخرجه: المصنف في «الموضوعات» (١/ ٢٧٦/ ٣٧٠) وفي «ذمّ الهوى» (رقم: ١) والخطيب البغدادي في «تاريخه» (٨/ ٣٥٩) من طريق: محمد بن أحمد بن رزق به.
قال ابن الجوزي: «وقد رُويت في العقل أحاديث كثيرة، وليس فيها شيء يثبت».
وعلّة الإسناد هو: داود بن المحبر؛ قال الخطيب البغدادي: «حال داود ظاهرة في كونه غير ثقة، ولو لم يكن غير وضعه كتاب العقل بأسره لكان دليلاً على ما ذكرته».
وقال ابن الجوزي أيضاً: «هذا حديث لا يصح؛ قال أحمد بن حنبل: داود شِبْهُ لا شيء، وعبّاد راوي أحاديث كذب لم يسمعها. وقال البخاري: داود شبه لا شيء، وعباد تركوه» اهـ.
وانظر: «تنزيه الشريعة» (١/ ١٧٦) و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص٤٧٧).

(٢) **موضوع.** أخرجه: ابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٢٢ و٢/ ٨١٨ ـ الفكر) أو (١/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥ و٣/ ٣٢٥ ـ العلمية) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ١٥٦/ ٤٦٤١) من طريق: عبد الله بن عمرو به.
قال البيهقي: «إسحاق بن أبي فروة ضعيف، وقد روى عنه الأكابر، والله أعلم».
قلت: إسحاق بن أبي فروة؛ متروك، قال ابن معين: «ليس بشيء، لا يكتب حديثه»، وقال=

[٤] ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، أخبرنا عبد القادر بن محمد بن يوسف، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الملك بن بشر، أخبرنا علي بن عمر الدارقطني، حدّثنا القاضي أبو طاهر محمد بن أحمد بن نصر، حدّثنا جعفر الفريابي، حدّثنا أبو مروان هشام بن خالد الأزرق، حدّثنا الحسن بن يحيى الخشني عن أبي عبد اللّه مولى بني أمية، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**أول شيء خلقه اللّه القلم، ثم خلق النون وهي الدواة، ثم قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل وقال: وعزّتي لأكمِّلنك فيمن أحببتُ، ولأنقصنك ممن أبغضت**»[١].

[٥] ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، أخبرنا ابن المبارك بن عبد الجبار، أخبرنا أحمد بن الحارث، حدّثنا جدي محمد بن عبد الكريم، حدّثنا الهيثم بن عدي، حدّثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن بن سابط، عن ابن عباس قال: «**لما خلق اللّه العقل قال له أدبر فأدبر، ثم قال له أقبل، فأقبل. قال: وعزتي ما خلقتُ خلقاً قطّ أحسن منك، فبِكَ أُعطي، وبك آخُذُ، وبك أُعاقِبُ**»[٢].

= أحمد: «لا تحل الرواية عنه»، وقال البخاري والنسائي: «متروك».

وانظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص٤٧٦)، وكلام المحقق العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني رحمه اللّه.

(١) **باطل بهذا السياق**.

أخرجه: الآجري في «الشريعة» (١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦، ٣٥٧/ ١٩٣، ٣٨٣ ـ الوليد سيف النصر) والفريابي في «القدر» (رقم: ١٨).

من طريق: هشام بن خالد الأزرق به.

والحسن بن يحيى الخشني؛ متهم في روايته الأحاديث الموضوعة، اتّهمه غير واحد، منهم ابن معين. وإن عدّله بعض الحفّاظ لكن الجرح فيه أولى لأنه مقدّم على التعديل، سيما أنه تبيّن سبب جرحه.

وأبو عبد اللّه مولى بني أمية؛ هو: ناصح ـ مولى بني أمية.

وللحديث طريق أخرى عند ابن عدي بإسناد باطل كما قال، ووافقه الذهبي في «الميزان» وانظر لتفصيل الأمر: «الضعيفة» (رقم: ١٢٥٣) و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص٤٧٨ ـ ٤٧٩).

قلت: أما قوله: «**إن أول ما خلق اللّه القلم؛ فقال له: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**» فقد صحّ من طرق أخرى عن غير واحد من الصحابة، وانظر «الصحيحة» (١٣٣).

(٢) **موضوع**. أخرجه المصنف في «ذم الهوى» (رقم: ٥) من هذا الطريق.

وأخرجه في «الموضوعات» (١/ ٢٧٢/ ٣٦٦) من حديث أبي هريرة، وانظر «تنزيه الشريعة» (١/ ٢٠٣) و«الفوائد المجموعة» (ص٤٧٩).

[٦] ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أنبأنا أحمد بن أحمد الحداد، أنبأنا أبو نعيم أحمد بن عبد اللّه، حدّثنا محمد بن أحمد بن علي، حدّثنا الحارث بن أبي أسامة، حدّثنا داود بن المحبر، حدّثنا عباد بن كثير، عن إدريس، عن وهب بن منبه قال: إني وجدت فيما أنزل اللّه على أنبيائه أن الشيطان لم يكابد شيئاً أشد عليه من مؤمن عاقل، وأنه يكابد مائة جاهل فيستجرهم حتى يركب رقابهم، فينقادون له حيث شاء، ويكابد المؤمن العاقل فيتصعب عليه حتى لا ينال منه شيئاً من حاجته.

وقال وهب: لإزالة الجبل صخرة صخرة وحجراً حجراً أيسر على الشيطان من مكابدة المؤمن العاقل، لأنه إذا كان مؤمناً عاقلاً ذا بصيرة، فهو أثقل على الشيطان من الجبال وأصعب من الحديد، وإنه ليزاوله بكل حيلة، فإذا لم يقدر أن يستزلّه قال: يا ويله ما له ولهذا لا طاقة لي بهذا ويرفضه ويتحول إلى الجاهل، فيستأثره ويتمَكّن من قياده حتى يسلمه إلى الفضائح التي يتعجلها في عاجل الدنيا، كالجلد والرجم والحلق وتسخيم الوجوه والقطع والصلب، وإن الرجلين ليستويان في أعمال البر، ويكون بينهما كما بين المشرق والمغرب أو أبعد إذا كان أحدهما أعقل من الآخر[١].

[٧] ـ أنبأنا يحيى بن ثابت، عن بندار، أخبرنا أبي، أخبرنا أبي علي بن دوما، أخبرنا محمد بن جعفر، أخبرنا الحسن بن علي القطان، أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار، أنبأنا إسحاق بن بشر القرشي، أخبرنا إدريس، عن جده وهب بن منبه؛ أن لقمان عليه السلام قال لابنه: «يا بني؛ اعقل عن اللّه عزّ وجلّ، فإن أعقل الناس عن اللّه عزّ وجلّ أحسنهم عملاً، وإن الشيطان ليفر من العاقل وما يستطيع أن يكابده، يا بني؛ ما عبد اللّه بشيء أفضل من العقل».

[٨] ـ أخبرنا محمد بن أبي القاسم، أخبرنا أحمد بن أحمد، أخبرنا أحمد بن عبد اللّه الحافظ، حدّثنا عبيد اللّه بن محمد العيشي، حدّثنا وهيب، أخبرنا الجريري، عن أبي العلاء، عن مطرف أنه قال: «ما أوتي عبد بعد الإيمان أفضل من العقل».

[٩] ـ أخبرنا محمد، أخبرنا أحمد بن عبد اللّه، حدّثنا محمد بن علي، حدّثنا محمد بن الحسن بن الطفيل، حدّثنا محمد بن أبي السري، حدّثنا داود، عن خليد بن دعلج قال: سمعت معاوية بن قرة يقول: «إن القوم ليحجون

(١) إسناده ضعيف جداً؛ لأجل داود بن المحبر، وقد تقدّم حاله.

ويعتمرون ويجاهدون ويصلون ويصومون وما يعطون يوم القيامة إلا على قدر عقولهم»[1].

[١٠] ـ أخبرنا أبو المعمر الأنصاري، أخبرنا صاعد بن سيار، أخبرنا أحمد بن سهل الفروجي، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الحافظ إجازة، أخبرنا الحسن بن أحمد الفقيه، أخبرنا محمد بن المسيب، أخبرنا عبد اللّه بن حبيق، حدّثنا عبد اللّه بن ضريس، عن أبي زكريا قال: إن الرجل ليتلذذ في الجنة بقدر عقله.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا في كتاب «العقل» أحاديث كثيرة في فضل العقل إلا أنها بعيدة الثبوت، فلنقتصر على هذا.

* * *

(١) إسناده ضعيف جداً.

في ذكر ماهية العقل ومحله[1]

نقل إبراهيم الحربي، عن أحمد بن حنبل أنه قال: العقل غريزة. ومثله عن الحارث المحاسبي.

وروي عن المحاسبي أيضاً أنه قال: هو نور.

وقال آخرون: هو قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات.

وقال قوم: هو نوع من العلوم الضرورية، وهو العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات.

وقال آخرون: هو جوهر بسيط.

وقال آخرون: هو جسم شفاف.

وسئل أعرابي عن العقل فقال: لب اغتنمته بتجريب.

واعلم أن التحقيق في هذا أن يقال: هذا الاسم ـ أعني العقل ـ ينطبق بالاشتراك على أربعة معان:

أحدها: الوصف الذي يفارق به الإنسان البهائم، وهو الذي استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، وهو الذي أراده من قال غريزة، وكأنه نور يقذف في القلب يستعد به لإدراك الأشياء.

والثاني: ما وضع في الطباع من العلم بجواز الجائزات، واستحالة المستحيلات.

والثالث: علوم تستفاد من التجارب تسمى عقلاً.

والرابع: أن منتهى قوته الغريزية إلى أن تقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة. والناس يتفاوتون في هذه الأحوال إلا في القسم الثاني الذي هو العلم الضروري. وقد شرحنا هذا وذكرنا فضائل العقل في كتابنا المسمى «بمنهاج القاصدين»[2] وهذه الإشارة تكفي ههنا.

---

(١) انظر: «ذم الهوى» للمصنف (ص٨).

(٢) منه نسخة خطية بباريس، وتركيا، والظاهرية. وقد اختصره ابن قدامة في كتابه الشهير «مختصر =

فصل

أما اشتقاق هذا الاسم ـ أعني العقل ـ؛ فقال ثعلب: أصله الامتناع، يقال: عقلت الناقة إذا منعتها من السير، وعقل بطن الرجل إذا حبس.

فصل

وأما محله؛ فنقل الفضل بن زياد، عن أحمد: أن محله الدماغ، وهو قول أبي حنيفة. وذهب جماعة من أصحابنا إلى أنه في القلب، كما يروى عن الشافعي، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] أي: عقل، فعبَّرَ بالقلب عنه، لأنه محله(١).

* * *

= منهاج القاصدين» وطبع طبعات عدة، أفضلها التي حققها الشيخ الفاضل علي بن حسن الحلبي وفقه الله، وطبع بدار عمار بالأردن.

(١) ذهب الحنفية والحنابلة والمعتزلة إلى أن العقل محلّه الدماغ ـ أي الرأس ـ، ودليلهم: أنه إذا ضُرِبَ الرأسُ ضربة قوية زال معها العقل.
وقالت المالكية والشافعية: محله القلب، وذهب إليه بعض الحنابلة كما نقل المصنف وغيره، وهو قول قدامى الأطباء، وصحّحه الباجي في «الحدود»، واستدلوا بالآية التي ذكرها المصنف.
وحقّق شيخ الإسلام أن العقل له تعلّق بالدماغ والقلب معاً؛ حيث يكون مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة والقصد في القلب، فالقلب موطن الهداية، والدماغ موطن الفكر والتصور.
انظر: «تفسير القرطبي» (١/ ٣٧٠) و«مجموع الفتاوى» (٩/ ٣٠٤) و«منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد» للدكتور عثمان بن علي حسن (١/ ١٦٢ ـ ١٦٣).

في بيان معنى الذهن والفهم والذكاء

حدُّ الذِّهْنِ: قوةُ النفسِ المهيأة المستعدّةِ لاكتساب الآراء.

وحدُّ الفهم: جودة التهيُّؤ لهذه القوة.

وحدُّ الذكاء: جودةُ حَدسٍ من هذه القوة تقع في زمان قصير غير ممهل، فيعلم الذكي معنى القول عند سماعه.

وقال بعضهم: حدُّ الذكاءِ: سرعةُ الفهم وحدته، والبلادة: جموده.

وقال الزجَّاج[1]: الذكاء في اللغة تمام الشيء، ومنه الذكاء في السن وهو تمام السن ومنه الذكاء في الفهم وهو أن يكون فهماً تاماً، سريع القبول، وذكَّيْت النار إذا أتممت إشعالها.

[١١] ـ أخبرنا أبو غالب أحمد بن الحسن بن البناء، وحدّثنا عنه المبارك بن علي، قال: أخبرنا القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين، أخبرنا إسماعيل بن سويد، أخبرنا أبو بكر بن الأنباري قال: قولهم: فلان ذكي؛ معناه: كامل الفطنة تامها، من قول العرب: قد ذكت النار تذكو إذا تم وقودها. ويقال: أذكيتُها أنا إذا أتممتُ وقودها. ويقال: مسك ذكي إذا كان تام الطيب كامل نفاذ الريح.

قال جَمِيل[2]:

صَادَتْ فؤادي بِعَيْنيها ومُبْتَسَمٍ ... كـأنّـه حـيـنَ أبـدَتـهُ لَـنَـا بَـرَدُ

عَـذْبٌ كأنّ ذكيَّ الـمِسْكِ خَالَطَهُ ... والزَّنْجبيلُ ومَاءُ المُزْنِ والشَّهَدُ

ويقال: قد ذكَّيْتُ الشاة؛ إذا أتممت ذبحها، وبلغت الحد الواجب فيه.

---

(١) هو: إبراهيم بن السري بن سهل؛ أبو إسحاق الزجّاج، سمّي بذلك نسبة إلى عمله بالزجاج. عالم باللغة والأدب، له مصنّفات كثيرة، من أشهرها كتاب «الأمالي»، توفي سنة (٣١١هـ).

(٢) هو: جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن ظبيان، اشتُهر بابنة عمه بثينة، وعُرِفَ بها، وقال بها شعراً كثيراً، وكان يتغزّل بها ويحبُّها إلى أن مات وجداً عليها سنة (٢٨٠هـ) وأخباره وإياها مشهورة في كتب الأخبار والأدب، والله المستعان.

قال الشاعر:

نَعَمْ هُوَ ذكّاها وأنتَ أضَعْتَها وألهاكَ عَنها خرفَةٌ وفَطيمُ

والعرب تقول: جري المذكيات غلاب، أي: جري المسان مغالبة، وذلك أن المذكية من الخيل ـ وهي التي تمَّت قوتها وشبابها ـ تحمل على الخشن من الأرض للثقة بقوتها وصلابتها، وأنها ليست كالجذاع والصغار التي تطلب لها الرخاوة من الأرض لضعفها وصغرها، فإنها لا تثبت ثبات المذكيات.

وبعضهم يقول: جري المذكيات غلاء، والغلاء: جمع غلوة وهو مدى الرمقة.

قال الشاعر في الذكاء الذي معناه تمام الفطنة:

سَهمُ الفؤادِ ذَكاؤُهُ ما مِثلُه عِندَ العزيمةِ في الأنامِ ذَكَاءُ

وقال زهير في الذكاء الذي معناه تمام السن:

ويفضلها إذا اجتهدت عليه تمام السِّنِّ منه والذّكاء

والذكاء في هذين المعنيين ممدود. والذكا: تمام اتقاد النار مقصور يكتب بالألف. قال الشاعر:

وتضرمُ في القلبِ اضطِراماً كأنّه ذكا النّارِ تُرْفيه الرّياح النّوافِخُ[1]

ويقال: مسك ذكي ومسك ذكية. والذي يذكِّر المسك يذكِّر، والذي يؤنث يقول ذهبت إلى الرائحة.

ـ أنشدنا أبو العباس عن سلمة عن الفراء:

لقد عاجَلَتْني بالسِّبابِ وثوبُها جديدٌ ومِن أثوابِها المِسْكُ تَنفُخُ

وقد أراد به رائحة المسك.

قال ابن الأنباري: أخبرني أبي، أخبرنا أبو عفان المهزمي قال: المسك والعنبر يؤنّثان ويذكّران[2].

* * *

(١) البيت في «لسان العرب» (٥/ ٥١) ط. إحياء التراث العربي.

(٢) انظر المصدر السابق.

في ذِكْر
العلاماتِ التي يُسْتَدَلُّ بها على عَقْلِ العَاقِلِ وذَكَاءِ الذَّكِيِّ

قال مؤلف الكتاب: هذه العلامات تنقسم قسمين: **أحدها**: من حيث الصورة، **والثاني**: من حيث المعنى والأحوال والأفعال.

ذكر القسم الأول: (صفات العاقل من حيث الصورة)[1]:

قال الحكماء: الخلق المعتدل والبنية المتناسبة دليل على قوة العقل وَجوْدَةِ الفطنة، وإذا غلظت الرقبة دلّت على قوة الدماغ ووفوره، ومن كانت عينه تتحرك بسرعة وحِدّة فهو مكّار محتال لص، وأحمد العيون الشهل[2]، وإذا لم تكن الشهلاء شديدة البريق ولا يظهر عليها صفرة ولا حمرة دلت على طبع جيد، وإذا كانت العين صغيرة غائرة فصاحبها مكّار حسود، ومن كان نحيف الوجه؛ فهو فهم مهتم بالأمور، واللطف في النّحاف القصار أظهر، والمعتدلون في الطول صالحو الحال.

[١٢] ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا أحمد بن أحمد، أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني قال: حدّثنا محمد بن علي، حدّثنا الحسين بن علي بن نصر، حدّثنا محمد بن عبد الكريم، حدّثنا الهيثم بن عدي، حدّثنا ابن عياش، حدّثنا الشعبي، حدّثني عجلان قال لي زياد: أدخل عليَّ رجلاً عاقلاً. قلت: لا أعرف من تعني. قال: لا يخفى العاقل في وجهه وقدّه، فخرجت فإذا أنا برجل حسن الوجه، مديد القامة، فصيح اللسان. قلت: ادخل، فدخل. فقال زياد: يا هذا، إني قد أردت مشاورتك في أمر فما عندك؟ قال: إني حاقن ولا رأي لحاقن. قال: يا عجلان؛ أدخله المُتَوَضَّأ، فلما خرج قال: إني جائع ولا رأي

---

(١) ما بين القوسين زيادة مني للتوضيح.

(٢) الشُّهلة في العين: أن يشوبَ سوادَها زُرْقةٌ.
وقيل: أن يكون سواد العين بين الحُمرة والسواد. وانظر «لسان العرب» (٧/ ٢٢٩).

لجائع. قال: يا عجلان؛ ائته بالطعام، فأُتي به فطُعِمَ، ثم قال: سل عما بدا لك، فما سأله عن شيء إلا وجد عنده بعض ما يريد.

[١٣] ـ أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي، قال: أخبرنا أحمد بن أحمد، أخبرنا أحمد بن عبد اللَّه الحافظ قال: حدّثنا عثمان بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعتُ ذا النون يقول: من وجدت فيه خمس خصال رجيت له السعادة ولو قبل موته بساعتين. قيل: ما هي؟ قال: استواء الخَلْق، وخفة الروح، وغزارة العقل، وصفاء التوحيد، وطيب المولد.

* * *

ذكر القسم الثاني: وهو الاستدلال على عقل العاقل بالأفعال والأقوال.

قال المؤلف: يستدل على عقل العاقل؛ بسكوته، وسكونه، وخفض بصره، وحركاته في أماكنها اللائقة بها، ومراقبته للعواقب، فلا تستفزه شهوة عاجلة عقباها ضرر، وتراه ينظر في الفضاء، فيتخير الأعلى والأحمد عاقبة من مطعم ومشرب وملبس وقول وفعل، ويترك ما يخاف ضرره، ويستعد لما يجوز وقوعه.

[تعريف أبي الدرداء للعاقل]:

[١٤] ـ أنبأنا يحيى بن ثابت بن بندار قال: أخبرنا أبي، أخبرنا الحسن بن الحسين بن دوما، أخبرنا مخلد بن جعفر، أخبرنا الحسن بن علي القطان، أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار، أخبرنا أبو حذيفة إسحاق بن بشر القرشي، أخبرنا جعفر بن الحارث، عن شهر بن حوشب قال: قال أبو الدرداء: «ألا أنبئكم بعلامة العاقل؛ يتواضع لمن فوقه، ولا يزدري من دونه، يمسك الفضل من منطقه، يخالق الناس بأخلاقهم، ويحتجز الإيمان فيما بينه وبين ربه عزّ وجلّ، فهو يمشي في الدنيا بالتقية والكتمان».

[١٥] ـ قال القرشي: وأخبرني إدريس، عن جده وهب بن منبه أن لقمان قال لابنه: «يا بني؛ ما يتم عقل امرئ حتى يكون فيه عشر خصال: الكبر منه مأمون، والرشد فيه مأمول، يصيب من الدنيا القوت وفضل ماله مبذول، التواضع أحب إليه من الشرف، والذلُّ أحبّ إليه من العز، لا يسأم من طلب الفقه طول دهره، ولا يتبرم من طلب الحوائج من قبله، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه. والخصلة العاشرة التي بها مجده وأعلى ذكره: أن يرى جميع أهل الدنيا خيراً منه وأنه شرهم، وإن رأى خيراً منهم سره ذلك وتمنى

أن يلحق به، وإن رأى شراً منه قال: لعل هذا ينجو وأهلك أنا، فهنالك حين استكمل العقل».

[١٦] ـ قال القرشي: وأخبرني عثمان بن عبد الرحمن، عن مكحول أن لقمان قال لابنه: «غاية الشرف والسؤدد حسن العقل، ومن حسن عقله غطى ذلك جميع ذنوبه، وأصلح ذلك مساوئه، ورضي عنه مولاه».

[١٧] ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرني أبو الوليد الحسن بن محمد الدربندي، أخبرنا محمد بن أبي بكر الوراق، حدّثنا أبو أحمد علي بن محمد بن عبد اللّه المروزي، حدّثنا شهاب بن الحسن العكبري، قال: سمعت الأصمعي يقول: سمعت أبان بن جرير يقول: قال المهلب بن أبي صفرة: «يعجبني أن أرى عقل الكريم زائداً على لسانه، ولا يعجبني أن أرى لسانه زائداً على عقله».

* * *

في سياق المنقول
من ذلك عن الأنبياء المتقدمين
مما يدل على قوة الفطنة

معلوم أن فطن الأنبياء فوق الفطن، ولكنا أحببنا أن لا نخلي كتابنا هذا من شيء عنهم.

فمن المنقول عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام:

[١٨] ـ أنبأنا محمد بن عبد الملك، أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا أبو الحسين بن زرقويه، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، أخبرنا الحسن بن علي القطان، أخبرنا إسماعيل بن عيسى، أخبرنا أبو حذيفة إسحاق بن بشر، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: «لما رأت سارة إبراهيم قد شغف بأم إسماعيل غارت غيرة شديدة، وحلفت لتقطعن عضواً من أعضاء هاجر، فبلغ ذلك هاجر، فلبست درعاً وجرَّت ذيلها، فهي أول نساء العالمين جرَّت الذيل، وإنما فعلت ذلك لتعفي أثرها في الطريق على سارة، فقال إبراهيم: هل لك في خير أن تعفي عنها وترضي بقضاء اللّه عزّ وجلّ؟ قالت: وكيف لي بما قد حلفت؟ قال: خفضيها[١]، فتكون سنَّة النساء وتبر يمينك. قالت: أفعل. فخفضتها، فمضت السنَّة للنساء بالخفض منها».

[١٩] ـ أخبرنا عبد الأول، أنبأنا الدَّاوُدي، أخبرنا ابن أعين، حدّثنا الفربري، حدّثنا البخاري، حدّثنا عبد اللّه بن محمد، حدّثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن أيوب السختياني وكُثَيِّر بن كُثَيِّر بن المطلب بن أبي وداعة ـ يزيد أحدهما على الآخر ـ عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: «لمَّا شب إسماعيل تزوج امرأة من جرهم، فجاء إبراهيم فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته، فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم، فقالت: نحن بشر في ضيق وشدة وشكت إليه، فقال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له: يُغَيِّر عتبة بابه، فلما

---

(١) الخفض: الختان.

جاء فأخبرته. قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك»[1].

قال المؤلف: وهذا الحديث يدل على فطنة إسماعيل أيضاً.

ومن المنقول عن سليمان عليه الصلاة والسلام:

[٢٠] ـ أخبرنا عبد اللّه بن محمد، أخبرنا الحسن بن علي بن المذهب، أخبرنا أبو بكر بن مالك، أخبرنا عبد اللّه بن أحمد، حدّثني أبي، حدّثنا يونس، حدّثنا ليث، عن محمد، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «**خرجت امرأتان ومعهما صبيان، فعدا الذئب على أحدهما، فأخذتا يختصمان في الصبي الباقي فاختصمتا إلى داود عليه الصلاة والسلام، فقضى به للكبرى منهما، فمرّتا على سليمان عليه السلام، فقال: ما أمركما؟ فقصتا عليه القصة. فقال: ائتوني بالسكين أشق الغلام بينكما، فقالت الصغرى: أتشقه؟ قال: نعم، قالت: لا تفعل حظي منه لها، فقال: هو ابنك، فقضى به لها**». أخرجاه في «الصحيحين»[2].

[٢١] ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا أحمد بن أحمد الحداد، أنبأنا أبو نعيم أحمد بن عبد اللّه، حدّثنا الحسن بن محمد بن علي، حدّثنا عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، حدّثنا أحمد بن سنان، حدّثنا وهب بن جرير، حدّثنا أبي قال: سمعت عبد اللّه بن عبيد بن عمير يقول: بعث سليمان عليه السلام إلى مارد من مردة الجن فأتي به، فلما كان على باب سليمان أخذ عوداً فذرعه بذراعه ورمى به وراء الحائط، فوقع بين يدي سليمان، فقال: ما هذا؟ فأخبر بما صنع المارد، قال: أتدرون ما أراد؟ قالوا: لا، قال: يقول اصنع ما شئت، فإنك تصير إلى مثل هذا من الأرض.

[٢٢] ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا أحمد بن أحمد، حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا سليمان بن أحمد، حدّثنا محمد بن هارون بن بكار الدمشقي، حدّثنا سعيد بن عبد العزيز، عن مكحول، قال أبو هريرة: بينا سليمان بن داود عليه السلام يسعى في موكبه إذ مرَّ بامرأة تصيح بابنها: يا لادين، فوقف سليمان وقال: إن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٤، ٣٣٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٢٧، ٦٧٦٩) ومسلم (١٧٢٠) وأحمد (٢/ ٣٢٢، ٣٤٠) والنسائي (٨/ ٢٣٦) ـ المجتبى ـ وفي «الكبرى» (٣/ ٤٧٢ ـ ٤٧٤/ ٥٩٥٨، ٥٩٥٩، ٥٩٦٠ ـ العلمية) وعبد الرزاق في «مصنفه» (٧/ رقم: ١٣٤٨٣) والطبراني في «المعجم الأوسط» (رقم: ٢٧٩٢ ـ الطحان).

من طرق؛ عن محمد بن عجلان به.

دين اللّه ظاهر، فأرسل إلى المرأة، فسألها، فقالت: إن زوجها سافر وله شريك، فزعم شريكه أنه مات وأوصى إن ولدت غلاماً أن أسميه لادين، فأرسل إلى الشريك فاعترف أنه قتله، فقتله سليمان عليه السلام.

[٢٣] ـ وعن محمد بن كعب القرظي قال: جاء رجل إلى سليمان النبي ﷺ فقال: يا نبي اللّه! إن لي جيراناً يسرقون إوزي، فنادى: الصلاة جامعة، ثم خطبهم فقال في خطبته: وأحدكم يسرق إوز جاره، ثم يدخل المسجد والريش على رأسه، فمسح رجل برأسه، فقال سليمان: خذوه فإنه صاحبكم(١).

ومن المنقول عن عيسى عليه السلام:

[٢٤] ـ أن إبليس جاء إليه، فقال له: ألست تزعم أنه لا يصيبك إلا ما كتب اللّه لك؟ قال: بلى، قال: فارم بنفسك من هذا الجبل، فإنه إن قدّر لك السلامة تسلم، فقال له: يا ملعون! إن للّه عزّ وجلّ أن يختبر عباده، وليس للعبد أن يختبر ربه عزّ وجلّ(٢).

* * *

(١) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (٧/ ٢٠٤/ ٣١٠٦) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٢٨٠). وهو في «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ١٨٤ ـ العصرية) و«حياة الحيوان» للدميري (١/ ١٠٥).

(٢) نحوه في «الزهد» للإمام أحمد (رقم: ٣١٤ ـ ط. دار الكتاب العربي).

في سياق المنقول
من ذلك عن الأمم السالفة

فمن المنقول عن لقمان:

[٢٥] ـ حدّثنا مكحول أن لقمان الحكيم كان عبداً نوبياً أسود، وكان قد أعطاه اللّه تعالى الحكمة، وكان لرجل من بني إسرائيل اشتراه بثلاثين مثقالاً ونش ـ يعني: نصف مثقال ـ وكان يعمل له، وكان مولاه يلعب بالنرد يقامر عليه، وكان على بابه نهر جار، فلعب يوماً بالنرد على أن من قمر صاحبه شرب الماء الذي في النهر كله أو افتدى منه، وإن هو قمر صاحبه فعل به مثل ذلك، قال: فقُمِر سيد لقمان، فقال له القامر: اشرب ما في النهر وإلا فافتدِ منه، قال: فسلني الفداء. قال: عينيك أَفْقَؤُهما أو جميع ما تملك، قال: أَمْهِلْني يومي هذا، قال: لك ذلك، قال: فأمسى كئيباً حزيناً إذ جاءه لقمان، وقد حمل حزمة على ظهره، فسلم على سيده ثم وضع ما معه ورجع إلى سيده، وكان سيده إذا رآه عبئ به ويسمع منه الكلمة الحكيمة فيعجب منه، فلما جلس إليه قال لسيده: ما لي أراك كئيباً حزيناً؟ فأعرض عنه، فقال له الثانية مثل ذلك، فأعرض عنه، ثم قال له الثالثة مثل ذلك فأعرض عنه، فقال له: أخبرني فلعل لك عندي فرجاً، فقص عليه القصة، فقال له لقمان: لا تغتم فإن لك عندي فرجاً، قال: وما هو؟ قال: إذا أتاك الرجل فقال لك اشرب ما في النهر، فقل له: أشرب ما بين ضفتي النهر أو المد؟ فإنه سيقول لك اشرب ما بين الضفتين، فإذا قال لك ذلك، فقل له: احبس عني المد حتى أشرب ما بين الضفتين، فإنه لا يستطيع أن يحبس عنك المد، تكون قد خرجت مما ضمنت له، فعرف سيده أنه قد صدق، فطابت نفسه، فلما أصبح جاءه الرجل، فقال له: فِ لي بشرطي، قال له: نعم أشرب ما بين الضفتين أو المد، قال: لا بل ما بين الضفتين، قال: فاحبس عني المد، قال: كيف أستطيع؟ قال: فخصمه، قال: فأعتقه مولاه.

[٢٦] ـ عن محمد بن إسحاق قال: قال لقمان لابنه: يا بني؛ إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه وإلا فاحذره.

ومن ذلك ما نقل عن عبد اللّه بن عامر الأزدي في الاحتيال للسلامة من سيل العرم.

[٢٧] ـ حدّثنا الضحاك، عن ابن عباس: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ [سبأ: ١٥] قال: كانت لا تنقطع عنهم جنتهم شتاء ولا صيفاً، فكفروا ما أنعم اللّه عليهم، فأرسل عليهم سيل العرم، فسلط على الردم الذي بنوه على غير شربهم جرذاً له مخاليب وأنياب من حديد، فأول من علم بذلك عبد اللّه بن عامر الأزدي، فانطلق نحو الردم، فرأى الجرذ يحفر بمخاليب من حديد ويقرض بأنياب من حديد، فانصرف إلى أهله فأخبر امرأته وأراها ذلك وأرسل إلى بنيه، فقال: هل ترون ما رأينا؟ قالوا: نعم. قال: فإن هذا الأمر ليس لنا إليه سبيل، اضمحلت الحيل فيه، لأن الأمر للّه وقد أذن في هلاكه، فأتى بهرة والجرذ يحفر ولا يكترث بالهرة، فلما رأت الهرة ذلك ولّت هاربة. فقال عبد اللّه: احتالوا لأنفسكم.

قالوا: يا أبت كيف نحتال؟ قال: إني محتال لكم بحيلة، قال: فدعا أصغر بنيه ثم قال له: إذا جلست اليوم في المجلس ـ وكان الناس يجتمعون إليه وينتهون إلى رأيه ـ فإذا اجتمعوا أمرت أصغركم بأمر فليغفل عنه، فإذا شتمته فليهم إليَّ فليلطمني ولا تتغيروا أنتم عليه، فإذا رأى الجلساء أنكم لم تتغيروا على أخيكم لم يجسر أحد منهم أن يتغير عليه، فأحلف أنا عند ذلك يميناً لا كفارة لها أن لا أقيم بين أظهر قوم قام إليَّ أصغر بني فلطمني، فلم يتغيروا عليه لذلك، قالوا نفعل.

فلما راح الناس إليه أمر ابنه ببعض أمره فلهى عنه، ثم أمره فلهى عنه فشتمه، فقام إليه فلطم وجهه، فعجبوا من جرأة ابنه، فنكسوا رؤوسهم وظنوا أن وَلده يتغيرون عليه، فلما لم يتغير أحد منهم قام الشيخ، فحلف أن يتحول عنهم ويستبدلوا بداره، فلا يقيم بين أظهر قوم لم يتغيروا على ابنه، فقام القوم معتذرين، وقالوا: أما كنا ظننا أن ولدك لا يتغيرون، فذلك الذي منعنا. قال: قد سبق مني ما ترون وليس إلى غير التحويل سبيل، فعرض ضياعه على البيع، وكان الناس يتنافسون فيها واحتمل بثقله وعياله فتحول عنهم، فلم يلبث القوم إلا قليلاً حتى أتى الجرذ على الردم فاستأصله، فلم يفاجئ القوم ليلة بعدما هدأت العيون إذا هم بالسيل قد أقبل، فاحتمل أنعامهم وأموالهم وخرب ديارهم[١].

وقد جاءت أخبار عن القدماء ستراها في أبوابها إن شاء اللّه تعالى.

* * *

(١) القصة أوردها الحافظ ابن كثير الدمشقي في «تفسيره» (٣/ ٦٩٩ ـ ٧٠٠ ـ ط. مؤسسة الريان) عن ابن أبي حاتم بإسناده. وفيه عمرو بن عامر بدل عبد اللّه بن عامر. وذكر أن محمد بن إسحاق ذكر القصة في «سيرته».

في سياق المنقول
من ذلك عن نبينا ﷺ كلمات تدل
على قوة الفطنة الفطرية

فأما ما حصل له بتلقي الوحي وتثقيفه، فذلك كثير وليس هو مرادنا ههنا، إنما المراد القسم الأول.

[٢٨] ـ عن حارثة بن مضرب، عن علي عليه السلام قال: لما سار رسول اللَّه ﷺ إلى بدر وجدنا عندها رجلين رجلاً من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط. فأما القرشي فأفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم واللَّه كثير عددهم شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ فقال له: «**كم القوم؟**»، فقال: هم واللَّه كثير عددهم شديد بأسهم، فجهد النبي ﷺ أن يخبره كم هم فأبى، ثم إن النبي ﷺ سأله: «**كم ينحرون من الجزر؟**»، فقال: عشراً لكل يوم، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**القوم ألف كل جزور لمائة وتبعها**»(١).

[٢٩] ـ عن كعب بن مالك قال: «كان رسول اللَّه ﷺ قلما يريد غزاة يغزوها إلا وَرَّى بغيرها» أخرجاه في «الصحيحين»(٢).

[٣٠] ـ وعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يا أيها الناس إن اللَّه عزّ وجلّ يعرض بالخمر سينزل فيها أمراً فَمَن كان عنده منها شيء**

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١١٧) أو رقم (٩٤٨ ـ شاكر) وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ١/ ٩) وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٤/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣) وابن جرير الطبري في «التفسير» (٣/ ١٣١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٤٢ و٣/ ٤٣، ٦٢).
وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨): «هذا سياق حسن...».
وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٧٥): «رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح؛ غير حارثة بن مضرب، وهو ثقة».
وصحّح إسناده المحدث أحمد شاكر في تعليقه على «المسند».

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٥٧، ٢٩٤٧) ومسلم (٢٧٦٩).

فليبعه فلينتفع به» قال: فما لبثنا إلا يسيراً حتى قال ﷺ: «**إن اللَّه عزّ وجلّ حرم الخمر فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شيء، فلا يشربه ولا يبيع**» فاستقبل الناس بما كان عندهم منها طرق المدينة فسفكوها. انفرد بإخراجه مسلم(١).

[٣١] ـ [وعن] هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة؛ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا أحدث أحدكم في الصلاة فليأخذ بأنفه ثم لينصرف**»(٢).

[٣٢] ـ [وعن] أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول اللَّه، إن لي جاراً يؤذيني فقال: «**انطلق وأخرج متاعك إلى الطريق**» فانطلق فأخرج متاعه فاجتمع الناس عليه، فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جار يؤذيني، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**انطلق وأخرج متاعك إلى الطريق**» فجعلوا يقولون: اللهم العنه، اللهم اخزه؛ فبلغه فأتاه، فقال: ارجع إلى منزلك، فواللَّه لا أؤذيك(٣).

[٣٣] ـ [وعن] زيد بن أسلم، أن رجلاً قال لحذيفة: يا حذيفة، نشكو إلى اللَّه صحبتكم رسول اللَّه ﷺ أدركتموه ولم ندركه، ورأيتموه ولم نره، فقال حذيفة: ونحن نشكو إلى اللَّه إيمانكم به ولم تروه، واللَّه ما تدري يا ابن أخي لو أدركته كيف كنت تكون، لقد رأيتنا مع رسول اللَّه ﷺ ليلة الخندق في ليلة باردة مظلمة مطيرة، وقد نزل أبو سفيان وأصحابه بالعرصة(٤)، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم أدخله اللَّه الجنة**» فما قام منا أحد، ثم قال: «**من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم جعله اللَّه رفيقي يوم القيامة**» فواللَّه ما قام منا أحد. فقال: «**من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم جعله اللَّه رفيق إبراهيم يوم القيامة**». فواللَّه ما قام منا أحد. فقال أبو بكر: يا رسول اللَّه، ابعث حذيفة. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**يا حذيفة**» فقلت: لبيك يا رسول اللَّه بأبي أنت وأمي، فقال: «**هل أنت ذاهب**» فقلت: واللَّه ما بي أن أقتل، ولكنني أخشى أن أؤسر. فقال: «**إنك لن تؤسر**» فقلت: مرني يا رسول اللَّه بما شئت. فقال: «**اذهب حتى تدخل بين ظهراني القوم فأت قريشاً فقل: يا معشر قريش إنما يريد الناس إذا كان غداً أن يقولوا أين قريش، أين قادة الناس، أين رؤوس الناس، فيقدمونكم، فتصلون القتال فيكون القتل بكم، ثم ائت قيساً فقل يا معشر قيس، إنما يريد الناس إذا كان غداً أن يقولوا:**

---

(١) برقم: (١٥٧٨).

(٢) أخرجه أبو داود (١١١٤) وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٩٨٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٥٣) وصححه الألباني.

(٤) العرصة: الساحة.

أين أحلاس الخيل، أين الفرسان، فيقدمونكم فتصلون القتال فيكون القتل بكم». .

فانطلقت حتى دخلت بين ظهراني القوم، فجعلت أصطلي معهم على نيرانهم، وجعلت أبث ذلك الحديث الذي أمرني به، حتى إذا كان وجاء السحر قام أبو سفيان فدعا اللات والعزى وأشرك، ثم قال: لينظر كل رجل من جليسه ومعي رجل منهم يصطلي على النار، فوثبت عليه فأخذت بيده مخافة أن يأخذني، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا فلان بن فلان. فقلت أولى، فلما دنا الصبح نادوا: أين قريش أين رؤوس الناس؟ فقالوا: هات الذي أتيتنا به البارحة، أين بنو كنانة أين الرماة؟ فقالوا: هات الذي أتيتنا به البارحة، فتخاذلوا وبعث اللّه عليهم تلك الليلة الريح، فما تركت لهم بناء إلا هدمته ولا إناء إلا أكفأته، حتى لقد رأيت أبا سفيان وثب على جمل له معقول، فجعل يسحبه ولا يستطيع أن يقوم، فجئت رسول اللّه ﷺ، فجعلت أخبره عن أبي سفيان، فجعل يضحك حتى بدت نواجذه وجعلت أنظر إلى أنيابه[1].

[٣٤] ـ عن عاصم الأحول، عن الحسن؛ أن رجلاً أتى رسول اللّه ﷺ برجل قد قتل حميماً له، فقال له النبي ﷺ: «**أتأخذ الدية؟**»، قال: لا. قال: «**أفتعفو؟**»، قال: لا. قال: «**اذهب فاقتله**». فلما جاوزه الرجل قال رسول اللّه ﷺ: «**إن قتَلَهُ فهو مثلُه**». قال: فلحق الرجل رجل فقال له: إن رسول اللّه ﷺ قال كذا، فتركه وهو يجر نسعه في عنقه[2].

قال ابن قتيبة[3]: «لم يرد رسول اللّه ﷺ أنه مثله في المأثم واستيجاب النار إن قتله. وكيف يريد هذا وقد أباح اللّه عزّ وجلّ قتله بالقصاص؟! ولكن كره رسول اللّه ﷺ أن يقتص، وأحبَّ له العفو، فعرض تعريضاً أوهمه به أنه إن قتله كان مثله في الإثم ليعفو عنه، وكان مراده أنه يقتل نفساً كما قتل الأول نفساً، فهذا قاتل وهذا قاتل، فقد استويا في قاتل وقاتل، إلّا أن الأول ظالم والآخر مقتص».

قال مؤلف الكتاب: وفي حديث رسول اللّه ﷺ من هذا كثير خصوصاً في المعاريض، فلنقتصر على هذه النبذة.

* * *

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤٥٤) بهذا التمام، وأصله عند مسلم (٣٢) كتاب الجهاد والسير، ٣٦ ـ باب غزوة الأحزاب.

(٢) أخرجه مسلم (١٦٨٠) من حديث وائل بن حجر. والذي هنا مرسل.

(٣) في «تأويل مختلف الحديث» (ص٣٧١).

في سياق المنقول
من ذلك عن أصحاب نبينا رضي اللَّه عنهم أجمعين

فمن المنقول عن أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه:

[٣٥] ـ حدّثنا ثابت عن أنس قال: لما هاجر رسول اللَّه ﷺ كان رسول اللَّه ﷺ يركب، وأبو بكر رديفه، وكان أبو بكر يعرف الطريق لاختلافه إلى الشام، فكان يمر بالقوم فيقولون: من هذا بين يديك يا أبا بكر؟ فيقول: هاد يهديني[١].

[٣٦] ـ حدّثنا الحسن قال: لما خرج رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر من الغار لم يستقبلهما أحد يعرف أبا بكر إلّا قال له: من هذا معك يا أبا بكر؟ فيقول: دليل يدلني الطريق. وصدق واللَّه أبو بكر.

[٣٧] ـ حدّثنا الحسن قال: لما خرج رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر إلى الناس، فقال: «إن اللَّه خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند اللَّه عزّ وجلّ». قال: فبكى أبو بكر فعجبنا من بكائه أن خبر رسول اللَّه ﷺ عن عبد خير فكان رسول اللَّه ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا به[٢].

ومن المنقول عن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه:

[٣٨] ـ حدّثنا أسلم، عن أبيه قال: قدمت على عمر بن الخطاب حلل من اليمن فقسمها بين الناس، فرأى فيها حلة رديئة. فقال: كيف أصنع بهذه إذا أعطيتها أحداً لم يقبلها إذا رأى هذا العيب فيها؟ قال: فأخذها فطواها فجعلها تحت مجلسه، وأخرج طرفها ووضع الحلل بين يديه، فجعل يقسم بين الناس. قال؛ فدخل الزبير بن العوام، وهو في تلك الحال قال: فجعل ينظر إلى تلك الحلة فقال له: ما هذه الحلة؟ قال عمر: دع هذه عنك. قال: ما هيه ما هيه ما شأنها؟ قال: دعها عنك. قال: فأعطنيها. قال: إنك لا ترضاها. قال: بلى قد رضيتها. فلما توثق منه، واشترط عليه أن يقبلها، ولا يردها رمى بها إليه، فلما أخذها الزبير ونظر إليها إذا هي رديئة، فقال: لا أريدها. فقال عمر: هيهات قد فرغت منها، فأجازها عليه وأبى أن يقبلها منه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩١١) مطوّلاً.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٦، ٣٦٥٤، ٣٩٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه.

[٣٩] ـ حدّثنا بريد بن جرير، عن أبيه، عن عمر قال له والناس يتحامون العراق وقتال الأعاجم: سر بقومك، فما قد غلبت عليه فلك ربعه، فلما جمعت الغنائم غنائم جلولاء ادعى جرير أن له ربع ذلك كله، فكتب سعد إلى عمر بذلك، فكتب عمر صدق جرير قد قلت ذلك له، فإن شاء أن يكون قاتل هو وقومه على جعل فأعطوه جعله، وإن يكن إنما قاتل للّه ولدينه ولحبيبه فهو رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، فلما قدم الكتاب على سعد أخبر جرير بذلك، فقال جرير: صدق أمير المؤمنين لا حاجة لي به، بل أنا رجل من المسلمين.

[٤٠] ـ أخبرنا نافع، عن ابن عمر قال: بينما عمر رضي اللّه عنه جالس إذ رأى رجلاً، فقال: فقد كنت مرة ذا فراسة وليس لي رأي إن لم يكن هذا الرجل ينظر ويقول في الكهانة شيئاً ادعوه لي، فدعوه فقال: هل كنت تنظر وتقول في الكهانة شيئاً؟ قال: نعم.

[٤١] ـ وقد روينا عن عمر رضي اللّه عنه أنه خرج يعس المدينة بالليل، فرأى ناراً موقدة في خباء، فوقف وقال: يا أهل الضوء وكره أن يقول يا أهل النار. وهذا من غاية الذكاء.

[٤٢] ـ وروينا عنه قال لرجل عرس: هل كان؟ فقال: لا، أطال اللّه بقاءك. فقال عمر: قد علمتم فلم تتعلموا. هلا قلت لا، وأطال اللّه بقاءك.

ومن المنقول عن علي بن أبي طالب عليه السلام

[٤٣] ـ عن أبي البختري قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب، فأطراه وكان يبغضه، فقال له: إني ليس كما تقول، وأنا فوق ما في نفسك.

[٤٤] ـ حدّثنا عبد اللّه بن سلمة قال: سمعت علياً يقول بمسكن: لا أغسل رأسي بغسل حتى آتي البصرة وأحرقها وأسوق الناس بعصاي إلى مصر. قال: فأتيت أبا مسعود البدري، فأخبرته فقال: إن علياً يورد الأمور مواردها لا يحسنون يصدرونها على رجل أصلع إنما رأسه مثل الطست، إنما حوله زغيبات أو قال شعيرات.

[٤٥] ـ أخبرنا سماك بن حرب، عن حنش بن المعتمر؛ أن رجلين أتيا امرأة من قريش، فاستودعاها مائة دينار وقالا: لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه حتى نجتمع، فلبثا حولاً، فجاء أحدهما إليها، فقال إن صاحبي قد مات، فادفعي إليَّ الدنانير، فأبت وقالت: إنكما قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه، فلست بدافعتها إليك. فثقل عليها بأهلها وجيرانها فلم يزالوا بها حتى دفعتها إليه، ثم لبثت حولاً فجاء الآخر، فقال: ادفعي إليَّ الدنانير. فقالت: إن

صاحبك جاءني، فزعم أنك مت فدفعتها إليه. فاختصما إلى عمر بن الخطاب، فأراد أن يقضي عليها، فقالت: أنشدك اللّه أن لا تقضي بيننا؛ ارفعنا إلى عليّ، فرفعهما إلى عليّ وعرف أنهما قد مكرا بها، فقال: أليس قد قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه؟ قال: بلى. قال: فإن مالك عندنا، فاذهب فجِئ بصاحبك حتى ندفعها إليكما[1].

[٤٦] ـ أخبرنا محمد، عن أبيه، عن علي أنه جيء برجل حلف، فقال: امرأته طالق ثلاثاً إن لم يطأها في شهر رمضان نهاراً، فقال تسافر بها ثم لتجامعها نهاراً.

ومن المنقول عن الحسن بن علي عليهما السلام:

[٤٧] ـ **قال مؤلف الكتاب**: قرأت بخط أبي الوفاء ابن عقيل قال: لما جيء بابن ملجم إلى الحسن قال له: أريد أن أسارك بكلمة، فأبى الحسن وقال: إنه يريد أن يعض أذني، فقال ابن ملجم: واللّه لو مكّنني منها لأخذتها من صماخه.

قال ابن عقيل: انظر إلى حسن رأي هذا السيد الذي قد نزل به من المصيبة الفادحة ما يذهل الخلق وتقصيه إلى هذا الحد، وانظر إلى ذلك اللعين كيف لم يشغله حاله عن استرداد غشه.

ومن المنقول عن الحسين عليه السلام:

[٤٨] ـ أخبرنا إبراهيم بن رباح الموصلي قال: يروى أن رجلاً ادعى على الحسين بن علي مالاً وقدمه إلى القاضي، فقال الحسين: ليحلف على ما ادعى ويأخذه، فقال الرجل: واللّه الذي لا إله إلّا هو، فقال: قل واللّه واللّه واللّه إن هذا الذي تدعيه لك قبلي، ففعل الرجل وقام، فاختلفت رجلاه وسقط ميتاً. فقيل للحسين في ذلك، فقال: كرهت أن يمجد اللّه فيحلم عنه.

ومن المنقول عن العباس عليه السلام:

[٤٩] ـ أخبرنا أبو رزين قال: سئل العباس أنت أكبر أم النبي ﷺ؟ فقال: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله.

[٥٠] ـ أخبرنا عكرمة، عن ابن عباس قال: قيل لرسول اللّه ﷺ حين فرغ من بدر: عليك العير ليس دونها شيء، فناداه العباس بن عبد المطلب وهو أسير

---

(١) سماك بن حرب وحنش بن المعتمر؛ ضعيفان.
والخبر في «تهذيب الأحكام» للطوسي (٦/ ٢٥٢/ ٨٠٤ ـ دار الأضواء).

في وثاقه: إنه لا يصلح لك. قال: ولم؟ قال: لأن اللَّه تعالى إنما وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك.

[٥١] ـ أخبرنا مجاهد قال: بينما رسول اللَّه ﷺ في أصحابه إذ وجد ريحاً فقال: ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ، فاستحيا الرجل ثم قال: ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ، فإن اللَّه لا يستحيي من الحق، فقال العباس: ألا نقوم يا رسول اللَّه كلنا فنتوضأ.

قال المؤلف: هكذا رواه الفريابي عن الأوزاعي مرسلاً، ووصله عنه محمد بن مصعب القرساني، فقال: عن مجاهد، عن ابن عباس.

وقد جرى مثل هذه القضية عند عمر رضي اللَّه عنه، عن الشعبي: أن عمر كان في بيت ومعه جرير بن عبد اللَّه، فوجد عمر ريحاً فقال: عزمت على صاحب هذه الريح أن قام فتوضأ، فقال جرير: يا أمير المؤمنين، أويتوضأ القوم جميعاً. فقال عمر: رحمك اللَّه نعم السيد كنت في الجاهلية، ونعم السيد أنت في الإسلام.

ومن المنقول عن عبد اللَّه بن جعفر:

[٥٢] ـ أخبرنا أبو مليك قال: قال ابن الزبير لابن جعفر: «أتذكر إذ تلقينا رسول اللَّه ﷺ أنا وأنت وابن عباس؟»، قال: «نعم، فحملنا وتركك». أخرجاه في «الصحيحين»[١].

وقد روي لنا هذا بالعكس؛ عن عبد اللَّه بن أبي مليكة، قال: قال عبد اللَّه بن جعفر لابن الزبير: «أتذكر إذ تلقينا رسول اللَّه ﷺ أنا وأنت وابن عباس؟»، قال: «نعم فحملنا وتركك». انفرد بإخراج هذا مسلم.

قال مؤلف الكتاب: والظاهر أنه انقلب على الراوي، وعلى هذا تكون الغبطة لابن الزبير.

ومن المنقول عن عبد اللَّه بن رواحة:

[٥٣] ـ حدّثنا عكرمة مولى ابن عباس أن عبد اللَّه بن رواحة كان مضطجعاً إلى جنب امرأته فخرج إلى الحجرة فواقع جارية له، فانتبهت المرأة فلم تره، فخرجت فإذا هو على بطن الجارية، فرجعت فأخذت شفرة، فلقيها ومعها الشفرة، فقال لها: مهيم؟ فقالت: مهيم! أما أني لو وجدتك حيث كنت لوجأتك بها. قال: وأين؟ قالت: على بطن الجارية. قال: ما كنت. قالت: بلى. قال: فإن رسول

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٨٢) ومسلم (٢٤٢٧). وانظر للتوجيه «فتح الباري» (٦/ ٢٢٢).

الله ﷺ نهى أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جُنُب، فقالت: اقرأ، فقال:

أتـانـا رسـولُ الـلّـه يـتـلـو كـتـابَـهُ ... كما لاحَ منشورٌ مِنَ الصُّبح سَاطِعُ

أرانـا الـهـدى بـعـد الـعَـمَـى فـقـلـوبُـنـا ... بـه مُـوقِـنـاتٌ أنّ مـا قـال واقِـعُ

يـبـيـتُ يـجـافـي جَـنْـبـه عـن فـراشِـه ... إذا استُثْقِلَتْ بالكافرين المَضَاجِعُ

قالت: آمنت بالله وكذبت بصري. قال: فغدوت إلى النبي ﷺ فأخبرته، فضحك حتى بدت نواجذه(١).

ومن المنقول عن محمد بن مسلمة:

[٥٤] ـ عن عمرو بن دينار: سمع جابراً يقول: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله؟**»، فقال له محمد بن مسلمة: أتحب أن أقتله يا رسول الله؟ قال: «**نعم**». قال: أنا له يا رسول الله. فَأْذَنْ لي أن أقول، قال: «**قل**»، فأتاه محمد بن مسلمة، فقال: إن هذا الرجل قد أخذنا بالصدقة، وقد عنانا وقد مللنا منه. قال الخبيث لما سمعها: والله لتملنه أو لتملن منه، وقد علمت أن أمركم سيصير إلى هذا. قال: إنا لا نستطيع أن نسلمه حتى ننظر ما يفعل، وإنا نكره بعد أن تبعناه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره، وقد جئت لتسلفني تمراً. قال: نعم على أن ترهنوني نساءكم. قال محمد: أنرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فأولادكم. قال: فيعير الناس أولادنا بأنا رهناهم بوسق أو وسقين، وربما قال: فيسب ابن أحدنا، فيقال: رُهن بوسْق أو وسقين. قال: فأي شيء ترهنوني؟ قال: نرهنك اللأْمة ـ يعني السلاح ـ. قال: نعم، فواعده أن يأتيه، فرجع محمد إلى أصحابه فأقبل وأقبل معه أبو نائلة ـ وهو أخو كعب من الرضاعة ـ، وجاء معه برجلين آخرين، فقال: إني مستمكن من لمّته فإذا أدخلت يدي في رأسه فدونكم الرجل، فجاؤوه ليلاً فأمر أصحابه، فقاموا في ظل النخل، وأتاه محمد فناداه، فقالت امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ قال: إنما هو محمد بن مسلمة، وأخي أبو نائلة، فنزل إليه ملتحفاً في ثوب واحد وينفح منه ريح الطيب، فقال محمد: ما أحسن جسدك وأطيب ريحك. قال: إن عندي ابنة فلان وهي أعطر العرب. قال: أفتأذن لي أن أشمه؟ قال: نعم. قال: فأدخل محمد يده في رأسه فشمه، ثم قال: أتأذن لي أن أشمه أصحابي؟ قال: نعم. فأدخلها في رأسه ثم شبك يده في رأسه قبضاً، ثم قال لأصحابه:

---

(١) القصة لا تصح؛ انظر «قصص لا تثبت» الجزء الثاني، ط. دار الصميعي.

دونكم عدو اللّه، فخرجوا عليه فقتلوه ثم أتى رسول اللّه ﷺ فأخبره[١].

[٥٥] ـ وعن عكرمة، عن ابن عباس قال: بعث رسول اللّه ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من اليهود ليقتله، فقال: يا رسول اللّه إني لن أستطيع ذلك إلّا أن تأذنَ لي. فقال رسول اللّه ﷺ: «**إنما الحرب خدعة فاصنع ما تريد**»[٢].

قال مؤلف الكتاب: قلت، وقد روينا عن الضحاك في اغتيالهم أبا رافع اليهودي ما يقارب هذه القصة، فلم نر التطويل بذكرها.

ومن المنقول، عن سويبط بن سعد بن حرملة ـ وقد شهد بدراً ـ:

[٥٦] ـ عن وهب بن عبد اللّه بن زمعة قال: أخبرتنا أم سلمة قالت: خرج أبو بكر في تجارة إلى بصرى قبل موت رسول اللّه ﷺ بعام، ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة، وكانا قد شهدا بدراً، وكان نعيمان على الزاد وكان سويبط رجلاً مزاحاً، فقال النعيمان: أطعمني. قال: حتى يجيء أبو بكر. قال: أما لأغيظنك. قال: فمروا بقوم فقال لهم سويبط: أتشترون مني عبداً لي؟ قالوا: نعم. قال: إنه عبد له كلام، وهو قائل لكم إني حر، فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه، فلا تفسدوا عليَّ عبدي. قالوا: لا، بل نشتريه منك. قال: فاشتروه بعشر قلائص. قال: ثم أتوه فوضعوا في عنقه عمامة أو حبلاً، فقال نعيمان: إن هذا يستهزئ بكم إني حر ولست بعبد. فقالوا: أخبرنا بخبرك فانطلقوا به، فجاء أبو بكر فأخبره بذلك، فأتبع القوم فرد عليهم القلائص، وأخذ نعيمان، فلما قدموا على النبي ﷺ وأخبروه فضحك ﷺ وأصحابه منه حولاً[٣].

ومن المنقول عن معاوية بن أبي سفيان:

[٥٧] ـ أخبرنا المدائني، عن ربيعة بن ناجد قال: قيل لمعاوية بن أبي سفيان: ما بلغ من عقلك؟ قال: ما وثقت بأحد قط.

[٥٨] ـ وقال ثعلب: نظر معاوية يوم صفين إلى إحدى جنبتي عسكره وقد مالت فلمحها فاستوت، ثم نظر إلى الجنبة الأخرى وقد مالت فلمحها فاستوت،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥١٠، ٣٠٣١، ٣٠٣٢، ٤٠٣٧) ومسلم.

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧) والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ رقم: ١١٧٩٨) بإسناد ضعيف، انظر «مجمع الزوائد» (٥/ ٣٢٠). ولفظ «الحرب خدعة» في «الصحيحين».

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٧١٩) وضعفه البوصيري والألباني.

فقال له رجل من أصحابه: أهذا كنت دبرته من زمن عثمان؟ فقال: هذا واللّه كنت دبرته منذ زمن عمر رضي اللّه عنهم.

[٥٩] ـ **قال مؤلف الكتاب**: وبلغنا أن رجلاً جاء إلى جانب معاوية فقال له: قل له: على الباب أخوك لأبيك وأمك، ثم قال له: ما أعرف هذا، ثم قال: ائذن له فدخل، فقال له: أي الأخوة أنت؟ فقال: ابن آدم وحواء. فقال: يا غلام؛ أعطه درهماً. فقال: تعطي أخاك لأبيك وأمك درهماً. فقال: لو أعطيت كل أخ لي من آدم وحواء ما بلغ إليك هذا.

ومن المنقول عن حذيفة بن اليمان:

[٦٠] ـ حدّثنا كعب القرظي قال: قال فتى منا لحذيفة: رأيت رسول اللّه ﷺ؟ قال: نعم. قال: واللّه لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض. قال حذيفة: دعاني رسول اللّه ﷺ ونحن بالخندق قال: اذهب فاجلس في القوم، فانظر ماذا يفعلون، فذهبت فدخلت في القوم والريح تفعل في جنود اللّه عزّ وجلّ ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا ماء، فقام أبو سفيان بن حرب فقال: يا معشر قريش، لينظر كل امرئ من يجالس، فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا فلان بن فلان[١].

ومن المنقول عن المغيرة بن شعبة:

[٦١] ـ عن أبي إسحاق، عن أبي الخليل قال: أخبرنا علي قال: كان للمغيرة رمح، فكنا إذا خرجنا مع رسول اللّه ﷺ في غزاة خرج به معه، فيركزه فيمر الناس عليه فيحملونه، فقلت: لئن أتيت على النبي ﷺ لأخبرنه، فقال: إنك إن فعلت لم ترفع ضالة.

[٦٢] ـ حدّثنا زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه استعمل المغيرة بن شعبة على البحرين فكرهوه وأبغضوه. قال: فعزل عنهم. قال: فخافوا أن يرد عليهم، فقال دهقانهم[٢]: إن فعلتم ما آمركم لم يردّ علينا. قالوا: مرنا بأمرك. قال: تجمعون مائة ألف درهم حتى أذهب بها إلى عمر، وأقول إن المغيرة اختار هذا فدفعه إليَّ. قال: فجمعوا له مائة ألف درهم. قال: فأتى عمر فقال: إن المغيرة اختار هذا ودفعه إليَّ. قال: فدعا عمر المغيرة فقال: ما يقول

---

(١) تقدم.

(٢) الدِّهقان: رئيس الإقليم، أو رئيس الجماعة.

هذا؟ قال: كذب أصلحك اللّه إنما كانت مائتي ألف. قال: فما حملك على ذلك؟ قال: العيال والحاجة. قال: فقال عمر للعلج: ما تقول؟ قال: لا واللّه لأصدقنك أصلحك اللّه، واللّه ما دفع إليَّ قليلاً ولا كثيراً. قال: فقال عمر للمغيرة: ما أردت إلى هذا العلج؟ قال: الخبيث كذب عليَّ فأحببت أن أُخْزِيَهُ(١).

[٦٣] ـ حدّثنا مسلم بن صبيح الكوفي قال: سمعت أبي يقول: خطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة، وكان الفتى طريراً جميلاً، فأرسلت إليهما المرأة فقالت: إنكما خَطَبْتُمَانِي ولستُ أجيبُ أحداً منكما دون أن أراه وأسمعَ كلامَهُ، فاحضرا إن شئتما، فحضرا فأجلستهما بحيث تراهما وتسمع كلامهما، فلما رآه المغيرة ونظر إلى جماله وشبابه وهيئته يئس منها، وعلم أنها لن تُؤْثِرَهُ عليه، فأقبل على الفتى فقال له: لقد أوتيتَ جمالاً وحسناً وبياناً، فهل عندك سوى ذلك؟ قال: نعم، فعدَّدَ محاسنه ثم سكتَ، فقال له المغيرة: كيف حسابك؟ قال ما يسقط عليَّ منه شيء وإني لأستدرك منه أدق من الخردلة. فقال له المغيرة: لكنني أضع البدرة في زاوية البيت فينفقها أهلي على ما يريدون فما أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها، فقالت المرأة: واللّه لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب إليَّ من هذا الذي يحصي عليّ مثل صغير الخردل، فتزوجت المغيرة.

ومن المنقول عن عمرو بن العاص:

[٦٤] ـ قال ابن الكلبي: لما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتى نزل على غزة، فبعث إليه علجها: أن أرسل إليَّ رجلاً من أصحابك أكلمه، ففكر عمرو، فقال: ما لهذا العلج أحد غيري، فقام حتى دخل على العلج فكلمه، فسمع كلاماً لم يسمع مثله قط، فقال له العلج: حدّثني هل من أصحابك أحد مثلك؟ قال: لا تسأل عن هواني عندهم إذ بعثوني إليك وعرضوني لما عرضوني، فلا يدرون ما تصنع بي. قال: فأمر له بجائزة وكسوة، وبعث إلى البواب إذا مرّ بك فاضرب عنقه وخذ ما معه. فمر برجل من النصارى من غسان فعرفه، فقال يا عمرو: قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج، فرجع، فقال له الملك: ما ردك إلينا؟ قال: نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك ليسع بني عمي، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية، فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد. قال: صدقت. اعجل بهم وبعث إلى البواب: خلِّ سبيله. فخرج عمرو

(١) الخبر في «الظِّرَاف والمتماجنين» للمصنف (ص٥٦/ فقرة رقم: ٤٢).

وهو يلتفت، حتى إذا أمن قال: لا عدت لمثلها أبداً. فلما صالحه عمرو ودخل عليه العلج فقال له: أنت هو. قال: على ما كان من غدرك.

ومن المنقول عن خزيمة بن ثابت:

[٦٥] ـ عن الزهري: قال: أخبرنا عمارة بن خزيمة الأنصاري؛ أن عمه حدثه؛ أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع النبي ﷺ المشي، وأبطأ الأعرابي فطفق رجال يعترضون الأعرابي، فيساومون الفرس لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه حتى زاد بعضهم للأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبي ﷺ، فنادى الأعرابيَّ النبيُّ ﷺ فقال: «**أليس قد ابتعته منك؟**»، قال: لا. فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان. فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني قد بايعتك، فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي: ويلك إن النبي ﷺ لا يقول إلا حقاً، حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي. فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني قد بايعتك. فقال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته. فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: «**بم تشهد؟**»، فقال: تصديقك يا رسول الله، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين(١).

وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ قال لخزيمة: «**لم تشهد ولم تكن معنا؟**»، قال: يا رسول الله أنا أصدقك بخبر السماء، أفلا أصدقك بما تقول!.

ومن المنقول عن الحجاج بن علاط:

[٦٦] ـ عن معمر، عن ثابت البناني قال: حدّثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما افتتح رسول الله ﷺ خيبر قال الحجاج بن علاط: يا رسول الله؛ إن لي بمكة مالاً، وإن لي بها أهلاً، وإني أريد أن آتيهم، فأنا في حل إن أنا نلت منك أو قلت شيئاً، فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء، فأتى امرأته حين قدم، فقال: اجمعي لي ما كان عندك، فإني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه، فإنهم قد استبيحوا وأصيبت أموالهم، وفشا ذلك بمكة فانقمع المسلمون، وأظهر المشركون سروراً وفرحاً، قال: وبلغ الخبر العباس بن عبد المطلب، فعقر وجعل لا يستطيع أن يقومَ.

قال معمر: وأخبرني عثمان الجزري، عن مقسم قال: فأخذ ابناً له كان يشبه

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢١٥ ـ ٢١٦) وأبو داود (٣٦٠٧) والنسائي في «المجتبى» (٧/ ٣٠١) والبيهقي (٧/ ٦٦ و١٠/ ١٤٦) وغيرهم، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (رقم: ٣٠٧٣).

برسول اللَّه ﷺ، فقال له: قم واستلقِ، فوضعه على صدره وجعل يقول: حبي قثم ذي الأنف الأشم، ثم أرسل غلاماً له إلى الحجاج بن علاط فقال له: ويلك ماذا جئت به، وماذا تقول؟، ما وعد اللَّه خيرٌ مما جئت به. قال: فقال الحجاج بن علاط: اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له: ليخل لي في بعض بيوته لآتيه فإن الخبر على ما يسره. قال: فجاء غلامه فلما بلغ الباب قال: أبشر يا أبا الفضل. قال: فوثب العباس فرحاً حتى قبل بين عينيه، فأخبره ما قال الحجاج فأعتقه.

قال: ثم جاء الحجاج، فأخبره أن رسول اللَّه ﷺ قد افتتح خيبر وغنم أموالهم، وجرت سهام اللَّه في أموالهم، واصطفى صفية بنت حيي واتخذها لنفسه وخيرها أن يعتقها وتكون زوجة، أو تلحق بأهلها، فاختارت أن يعتقها وتكون زوجة، ولكني جئت لمالي كان ههنا أردت أن أجمعه فأذهب به، فاستأذنت رسول اللَّه ﷺ فأذن لي أن أقول ما شئت، فأخف عني ثلاثاً ثم اذكر ما بدا لك، قال: فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي ومتاع فدفعته إليه، ثم انشمر به، فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج، فقال: ما فعل زوجك؟ فأخبرته أن قد ذهب يوم كذا وكذا، وقالت: لا يحزنك اللَّه يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك. قال: أجل. لا يحزنني اللَّه، ولم يكن بحمد اللَّه إلا ما أحببنا، فتح اللَّه خيبر على رسوله، وجرت سهام اللَّه في أموالهم واصطفى رسول اللَّه ﷺ صفية لنفسه، فإن كان لك حاجة في زوجك فالحقي به. قالت: أظنك واللَّه صادقاً، قال: فإني واللَّه صادق والأمر على ما أخبرتك.

قال: ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم: لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل. قال: لم يصبني إلا خير بحمد اللَّه، لقد أخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها اللَّه على رسوله، وجرت سهام اللَّه فيهم، واصطفى رسول اللَّه ﷺ صفية لنفسه، وقد سألني أن أخفي عنه ثلاثاً، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء ههنا ثم يذهب. فرد اللَّه الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين، وخرج المسلمون ممن كان دخل بيته مكتئباً حتى دخل أبو الفضل العباس، فأخبرهم الخبر، فسرّ المسلمون ورد اللَّه تعالى ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٨٣ ـ ١٣٩) والنسائي في «الكبرى» (٥/ ١٩٤/ ٨٦٤٦) وعبد الرزاق في «مصنفه» (٥/ ٤٦٦ ـ ٤٦٩ ـ ٩٧٧١) وأبو يعلى في «مسنده» (٦/ ١٩٤ ـ ١٩٧/ ٣٤٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٥١) وفي «دلائل النبوة» (٤/ ٢٦٨) وابن حبان في «صحيحه»=

ومن المنقول عن نعيم بن مسعود:

[٦٧] ـ قال: أخبرنا ابن إسحاق قال: بينما الناس على خوفهم يوم الأحزاب أتى نعيم بن مسعود رسول اللَّه ﷺ فحدّثني رجل عن عبد اللَّه بن كعب بن مالك قال: جاء نعيم بن مسعود إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه؛ إني قد أسلمت ولم يعلم بي أحد من قومي، مرني أمرك. فقال له رسول اللَّه ﷺ: **«إنما أنت منا رجل واحد، فحدّث عنا ما استطعت فإنما الحرب خدعة»**. فانطلق نعيم حتى أتى بني قريظة فقال لهم: يا معشر قريظة؛ وكان لهم نديماً في الجاهلية، إني لكم نديم وصديق، قد عرفتم ذلك. قالوا: صدقت. قال: تعلمون واللَّه ما أنتم وقريش وغطفان من محمد بمنزلة واحدة، إن البلد لبلدكم، به أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم، وإن قريشاً وغطفان بلادهم غيرها، وإنما جاؤوا حتى نزلوا معكم، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن رأوا غير ذلك رجعوا إلى بلادهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم، وخلوا بينكم وبين الرجل فلا طاقة لكم به، فإن هم فعلوا ذلك فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم تستوثقون به، ولا تبرحوا حتى تناجزوا مُحَمَّداً.

فقالوا: لقد أشرت برأي ونصح.

ثم ذهب إلى قريش فأتى أبا سفيان وأشراف قريش، فقال: يا معشر قريش؛ إنكم قد عرفتم ودِّي إياكم وفراقي محمداً ودينه، وإني قد جئتكم بنصيحة فاكتموا علي. فقالوا: نفعل، ما أنت عندنا بمتهم. فقال: تعلمون أن بني قريظة من يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، فبعثوا إليه: ألا يرضيك أن نأخذ لك من القوم رهناً من أشرافهم، فندفعهم إليك، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك حتى نخرجهم من بلادك؟ فقال: بلى، فإن بعثوا إليكم يسألونكم نفراً من رجالكم، فلا تعطوهم رجلاً واحداً فاحذروا.

ثم جاء غطفان، فقال: يا معشر غطفان؛ قد علمتم أني رجل منكم. قالوا: صدقت، فقال لهم كما قال لهذا الحي من قريش. فلما أصبحوا بعث إليهم أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش: إن أبا سفيان يقول لكم يا معشر يهود إن الكراع والخف قد هلكا إنا لسنا بدار مقام، فاخرجوا إلى

= (٧/ ٦٠ ـ ٦٢/ ٤٥١٣) والبزار (٢/ ٣٤٠ ـ ٣٤٢/ ١٨١٦ ـ كشف الأستار).
من طريق: معمر، عن ثابت البناني، عن أنس به.
وهذا إسناد صحيح، وانظر «مجمع الزوائد» (٦/ ١٥٤).

محمد حتى نناجزه، فبعثوا إليه أن اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم نستوثق بهم، لا تذهبوا وتدعونا حتى نناجز محمداً. فقال أبو سفيان: قد واللّه حذرنا نعيم، فبعث إليهم أبو سفيان: إنا لا نعطيكم رجلاً واحداً، فإن شئتم أن تخرجوا فتقاتلوا وإن شئتم فاقعدوا، فقالت يهود: هذا واللّه الذي قال لنا نعيم. واللّه ما أراد القوم إلّا أن يقاتلوا محمداً فإن أصابوا فرصة انتهزوها وإلّا مضوا إلى بلادهم وخلوا بيننا وبين الرجل، فبعثوا إليهم: إنا واللّه لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً، فأبوا، فبعث اللّه تعالى الريح على أبي سفيان وأصحابه وغطفان، فخذلهم اللّهم عزّ وجلّ[1].

ومن المنقول عن الأشعث بن قيس:

[٦٨] ـ عن الهيثم بن عدي قال: أخبرنا ابن عباس قال: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على الحسن ابنه أم عمران بنت سعيد بن قيس الهمداني، فقال: فوقي أمير ذو إمرة ـ يعني أمها ـ. فقال: قم فوامرها، فخرج من عنده، ولقيه الأشعث بن قيس بالباب، فأخبره الخبر فقال: ما تريد إلى الحسن يفخر عليها ولا ينصفها ويسيء إليها، فيقول: ابن رسول اللّه وابن أمير المؤمنين، ولكن هل لك في ابن عمها فهي له وهو لها قال: ومن ذلك؟ قال: محمد بن الأشعث، قال: قد زوجته، ودخل الأشعث على أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، خطبت على الحسن ابنة سعيد؟ قال: نعم. قال: فهل لك في أشرف منها بيتاً وأكرم منها حسباً وأتم منها جمالاً وأكثر مالاً. قال: ومن هي؟ قال: جعدة بنت الأشعث بن قيس. قال: متى؟ قال: الساعة بالباب. قال: فزوج الحسن جعدة، فلما لقي سعيد الأشعث قال: يا أعور، خدعتني. قال: أنت أعور خبيث حيث تستشيرني في ابن رسول اللّه ﷺ. ألست أحمق؟ ثم جاء الأشعث إلى الحسن فقال: يا أبا محمد، ألا تزور أهلك؟ فلما أراد ذلك قال: لا تمشي واللّه إلا على أردية قومي، فقدمت له كندة سماطين وجعلت له أرديتها بسطاً من بابه إلى باب الأشعث.

ومن المنقول عن وحشي بن حرب:

[٦٩] ـ عن عبد اللّه بن الفضل، عن سليمان بن يسار قال: حدّثنا

---

(١) الخبر في «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٧٨ ـ ٥٨٩) و«السيرة النبوة» لابن هشام (٣/ ١٧٩)، وانظر «فتح الباري» (٧/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥).

جعفر بن عمرو الضمري قال: خرجت مع عبيد اللّه بن عدي بن الخيار فقال لي: هل لك في وحشي، فجئنا حتى وقفنا عليه، فسلمنا فرد السلام، وعبيد اللّه معتجر بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه، فقال عبيد اللّه: يا وحشي، أتعرفني؟ فنظر إليه ثم قال: لا واللّه إلّا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة فولدت له غلاماً فاسترضعه، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه، فكأني نظرت إلى قدميه.

* * *

في سياق المنقول
من ذلك عن الخلفاء رضي اللَّه عنهم

قال مؤلف الكتاب: قد ذكرنا طرفاً عن أبي بكر الصديق وعمر وعلي والحسن والحسين ومعاوية وابن الزبير، ونحن نذكر طرفاً مما نقل إلينا عمن بعدهم من الخلفاء واللَّه الموفق.

فمن المنقول عن عبد الملك بن مروان:

[٧٠] ـ أخبرنا ابن أخي الأصمعي، عن عمه قال: وجّه عبد الملك بن مروان عامراً الشَّعبي إلى ملك الروم في بعض الأمر له، فاستكثر الشعبي فقال له: من أهل بيت الملك أنت؟ قال: لا، فلما أراد الرجوع إلى عبد الملك حمله رقعة لطيفة وقال: إذا رجعت إلى صاحبك، فأبلغته جميع ما يحتاج إلى معرفته من ناحيتنا، فادفع إليه هذه الرقعة، فلما صار الشعبي إلى عبد الملك ذكر ما احتاج إلى ذكره ونهض من عنده، فلما خرج ذكر الرقعة، فرجع فقال: يا أمير المؤمنين، إنه حملني إليك رقعة نسيتها حتى خرجت، وكانت في آخر ما حملني، فدفعها إليه ونهض، فقرأها عبد الملك قال: فأمر برده، فقال: أعلمت ما في هذه الرقعة؟ قال: فيها: عجبت من العرب كيف ملكت غير هذا. أفتدري لِمَ كتب إلي بمثل هذا؟ فقال: لا. فقال: حسدني عليك، فأراد أن يغريني بقتلك، فقال الشعبي: لو كان رآك يا أمير المؤمنين ما استكثرني، فبلغ ذلك ملك الروم، ففكر في عبد الملك، فقال: للَّه أبوه واللَّه ما أردت إلا ذلك.

ومن المنقول عن هشام بن عبد الملك:

[٧١] ـ قال هشام لمؤدب ولده: إذا سمعت منه الكلمة العوراء في المجلس بين جماعة؛ فلا تؤنبه لتخجله، وعسى أن يبصر خطأه فيكون بصره للخطأ أقبح من ابتدائه به، ولكن احفظها عليه فإذا خلا فرده عنها.

ومن المنقول عن السفاح:

[٧٢] ـ أخبرنا سعيد الباهلي، عن أبيه قال: حدّثني من حضر مجلس السفاح وهو أحسد ما كان لبني هاشم والشيعة ووجوه الناس، فدخل عبد اللَّه بن

حسين بن حسن ومعه مصحف، فقال: يا أمير المؤمنين؛ أعطنا حقنا الذي جعله اللَّه لنا في هذا المصحف، فأشفق الناس أن يجعل السفاح بشيء إليه ولا يريدون ذلك في شيخ بني هاشم أو يعيا لجوابه، فيكون ذلك نقصاً عليه وعاراً، فأقبل إليه غير مغضب ولا منزعج فقال: إن جدك علياً كان خيراً مني وأعدل ولي هذا الأمرَ فأعطى جديك الحسن والحسين، وكانا خيراً منك شيئاً، وكان الواجب أن أعطيك مثله؛ فإن كنت فعلت فقد أنصفتك، وإن كنت زدتك فما هذا جزائي منك، فما رد عبد اللَّه إليه جواباً، وانصرف والناس يعجبون من جوابه له.

[٧٣] ـ وروى ثعلب عن ابن الأعرابي قال: أول خطبة خطبها السفاح في قرية يقال لها العباسية، فلما صار إلى موضع الشهادة من الخطبة قام رجل من آل أبي طالب في عنقه مصحف، فقال: أذكرك اللَّه الذي ذكرته إلا أنصفتني من خصمي وحكمت بيني وبينه بما في هذا المصحف، فقال له: ومن ظلمك؟ قال: أبو بكر الذي منع فاطمة فدكاً. قال: وهل كان بعده أحد؟ قال: نعم، قال: مَن؟ قال: عمر. قال: وأقام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال: وهل كان بعده أحد؟ قال: نعم. قال: مَنْ؟ قال: عثمان. قال: وأقام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال: وهل كان بعده أحد؟ قال: نعم. قال: مَنْ؟ قال: علي. قال: وأقام على ظلمكم؟ قال: فأسكت الرجل وجعل يلتفت إلى ورائه يطلب مخلصاً، فقال له: واللَّه الذي لا إله إلَّا هو لولا أنه أول مقام قمته، ثم لم أكن تقدمت إليك في هذا قبل لأخذتُ الذي فيه عيناك؛ اقعد، وأقبل على الخطبة(١).

ومن المنقول عن المنصور:

[٧٤] ـ قال إسماعيل بن محمد: دخل ابن هرمة على أبي جعفر، فأنشده فقال: سل حاجتك. قال: تكتب إلى عاملك بالمدينة متى وجدني سكران لا يحدني. قال: هذا حد ولا سبيل إلى إبطاله. قال: ما لي حاجة غير ذلك. قال: اكتب إلى عاملنا بالمدينة من أتاك بابن هرمة وهو سكران، فأجلده ثمانين وأجلد الذي جاء به مائة. قال: فكان الشرطة يمرون به وهو سكران، فيقولون: من يشتري ثمانين بمائة، فيمرون ويتركونه.

[٧٥] ـ وبلغنا عن المنصور؛ أنه جلس في إحدى قباب مدينته، فرأى رجلاً ملهوفاً مهموماً يجول في الطرقات، فأرسل من أتاه به، فسأله عن حاله، فأخبره

---

(١) الخبر أورده المصنف في «تلبيس إبليس» (ص١٠٩ ـ ط. دار الخير).

الرجل أنه خرج في تجارة فأفاد مالاً وأنه رجع بالمال إلى منزله، فدفعه إلى أهله، فذكرت امرأته أن المال سرق من بيتها ولم تر نقباً ولا تسليقاً، فقال له المنصور: منذ كم تزوجتها؟ قال: منذ سنة. قال: أفبكرٌ هي تزوجتها؟ قال: لا. قال: فلها ولد من سواك؟ قال: لا. قال: فشابة هي أم مسنة؟ قال: بل حديثة، فدعا له المنصور بقارورة طيب كان يتخذه له حادّ الرائحة، غريب النوع، فدفعها إليه وقال له: تطيّب من هذا الطيب، فإنه يذهب همك، فلما خرج الرجل من عند المنصور قال المنصور لأربعة من ثقاته: ليقعد على كل باب من أبواب المدينة واحد منكم، فمن مرّ بكم فشممتم منه رائحة هذا الطيب ـ وأشمهم منه ـ؛ فليأتني به. وخرج الرجل بالطيب، فدفعه إلى امرأته وقال لها: وهبه لي أمير المؤمنين، فلما شمته بعثت إلى رجل كانت تحبه، وقد كانت دفعت المال إليه، فقالت إليه: تطيّب من هذا الطيب، فإن أمير المؤمنين وهبه لزوجي، فتطيب منه الرجل ومرّ مجتازاً ببعض أبواب المدينة، فشم الموكل بالباب رائحة الطيب منه، فأخذه فأتى به المنصور، فقال له المنصور: من أين استفدت هذا الطيب فإن رائحته غريبة معجبة؟ قال: اشتريته. قال: أخبرنا ممن اشتريته، فتلجلج الرجل وخلط كلامه فدعا المنصور صاحب شرطته، فقال له: خذ هذا الرجل إليك، فإن أحضر كذا وكذا من الدنانير فخله يذهب حيث شاء، وإن امتنع فاضربه ألف سوط من غير مؤامرة. فلما خرج من عنده دعا صاحب شرطته، فقال: هول عليه وجرده ولا تقدمن بضربه حتى تؤامرني، فخرج صاحب شرطته فلما جرده وسجنه أذعن برد الدنانير وأحضرها بهيئتها، فأعلم المنصور بذلك، فدعا صاحب الدنانير، فقال له: رأيتك إن رددت عليك الدنانير بهيئتها أتحكمني في امرأتك؟ قال: نعم. قال فهذه دنانيرك، وقد طلقت المرأة عليك، وخبره خبرها.

[٧٦] ـ عن يعقوب بن جعفر أنه قال: ومما يعرف ويؤثر من ذكاء المنصور أنه دخل مدينة، فقال للربيع: اطلب لي رجلاً يعرفني دور الناس، فإني أحب أن أعرف ذلك، فجاء برجل يعرفه إلَّا أنه لا يبدؤه حتى يسأل المنصور، فلما فارقه أمر له بألف درهم، فطالب بها الرجل الربيع، فقال: ما قال لي شيئاً وأنا أهب لك ألفاً من عندي وسيركب فاذكره، فركب معه، فجعل يعرفه الدور ولا يرى موضعاً للكلام، فلما أراد المنصور أن يفارقه قال له الرجل شعراً:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذقُ اللّسان يقولُ ما لَا يفعلُ

ثم إنه أراد الإمضاء، فضحك وقال: يا ربيع، أعطه الألف درهم الذي وعدته وألفاً آخر.

[٧٧] ـ وعن مبارك الطبري قال: سمعت أبا عبيد اللَّه يقول: خلا أبو جعفر يوماً مع يزيد بن أبي أسيد، فقال: يا يزيد؛ ما ترى في قتل أبي مسلم؟ فقال: أرى أن تقتله وتقرب إلى اللَّه بدنة، فواللَّه لا يصفو ملكك ولا تهنأ بعيش ما بقي، فنفر مني نفرة ظننت أنه سيأتي علي، ثم قال: قطع اللَّه لسانك وأشمت بك عدوك أتشير عليَّ بقتل أنصر الناس لنا، وأثقلهم على عدونا، أما واللَّه لولا حفظي لما سلف منك، وإن أعدها هفوة من هفواتك لضربت عنقك قم لا أقام اللَّه رجليك. قال: فقمت وقد أظلم بصري، وتمنيت أن تسيخ الأرض بي، فلما كان بعد قتله قال لي: يا يزيد؛ أتذكر يوم شاورتك؟ قلت: نعم. قال: فواللَّه لقد كان ذلك رأياً وما لا أشك فيه، ولكن خشيت أن يظهر منك فتفسد مكيدتي.

ومن المنقول عن المهدي:

[٧٨] ـ عن القاسم بن محمد بن خلاد، عن علي بن صالح قال: كنت عند المهدي ودخل عليه شريك بن عبد اللَّه القاضي، فأراد أن يبخّره، فقام الخادم بالعود الذي يلهى به، فوضعه في حجر شريك، فقال شريك: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا أخذه صاحب العسس البارحة، فأحببت أن يكون كسره على يد القاضي، فقال: جزاك اللَّه خيراً يا أمير المؤمنين. فكسره، ثم أفاضوا في حديث حتى نسي الأمر، ثم قال المهدي لشريك: ما تقول في رجل أمر وكيلاً له أن يأتي بشيء بعينه، فأتى بغيره فتلف ذلك الشيء؟ فقال: يضمن يا أمير المؤمنين، فقال للخادم: اضمن ما تلف بقضيته.

ومن المنقول عن محمد بن الفضل:

[٧٩] ـ قال: أخبرنا بعض أهل الأدب، عن حسن الوصيف قال: قعد المهدي قعوداً عاماً للناس، فدخل رجل، وفي يده نعل ملفوفة في منديل، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه نعل رسول اللَّه ﷺ قد أهديتها لك، فقال: هاتها فدفعها إليه، فقبل باطنها ووضعها على عينيه وأمر للرجل بعشرة آلاف درهم، فلما أخذها وانصرف قال لجلسائه: أترون أني لم أعلم أن رسول اللَّه ﷺ لم يرها فضلاً عن أن يكون لبسها، ولو كذبناه قال للناس أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول اللَّه ﷺ، فردها علي، وكان من يصدقه أكثر ممن يدفع خبره، إذ كان من شأن العامة ميلها إلى أشكالها والنصرة للضعيف على القوي، وإن كان ظالماً اشترينا لسانه وقبلنا هديته وصدقنا قوله، ورأينا الذي فعلنا أنجح وأرجح.

ومن المنقول عن المأمون رحمه اللّه:

[٨٠] ـ قال المبرد: حدّثني عمارة بن عقيل، قال ابن أبي حفصة الشاعر: أعلمت أن أمير المؤمنين ـ يعني المأمون ـ لا يبصر الشعر، فقلت: من ذا يكون أفرس منه وإنا لننشد أول البيت فيسبق آخره من غير أن يكون سمعه. قال: فإني أنشدته بيتاً أجدت فيه، فلم أره تحرك له، وهذا البيت فاسمعه:

أضحى إمامُ الهُدى المأمون مشتغلاً ... بالدِّين والنَّاسُ بالدنيا مَشَاغِيلُ

فقلت له: ما زدته على أن جعلته عجوزاً في محرابها في يدها سُبحة، فمن يقوم بأمر الدنيا إذا كان مشغولاً عنها، وهو المطوق لها. ألا قلت كما قال عمك جرير لعبد العزيز بن الوليد:

فَلَا هو في الدُّنيا مُضِيعٌ نَصِيبَه ... ولَا عَرَض الدُّنيا عن الدِّين شاغِلُهْ[1]

قال مؤلف الكتاب: وبلغنا أن حسناً اللؤلؤي كان يحدث المأمون والمأمون يومئذ أمير، فنعس المأمون، فقال له اللؤلؤي: نمت أيها الأمير، فاستيقظ المأمون وقال: سوقِيّ واللّه، يا غلام خذ بيده.

قال مؤلف الكتاب: قلت: وإنما قال ذلك لأن هؤلاء إنما يريدون الحديث ليناموا عليه، فكان إيقاظه غفلة عما يراد من الحديث وسوء أدب.

ومن المنقول عن المعتضد باللّه:

[٨١] ـ عن أبي عبد اللّه محمد بن حمدون؛ قال لي المعتضد باللّه ليلة وقد قدم له عشاء: لقمني، وكان الذي قدم له فراريج ودراريج، فلقمته من صدر فروج، فقال: لا. لقمني من فخذه، فلقمته لقماً، ثم قال: هات من الدراريج، فلقمته من أفخاذها، فقال: ويلك. هو ذا تتنادر علي هات من صدورها، فقلت: يا مولاي ركبت القياس، فضحك فقلت: إلى كم أضحكك ولا تضحكني؟ قال: فَشِل المطرح وخذ ما تحته. قال: فشلته، فإذا دينار واحد فقلت: آخذها؟ قال: نعم، فقلت: باللّه هو ذا تتنادر أنت الساعة على خليفة يجيز نديمه بدينار، فقال: ويلك لا أجد لك في بيت المال حقاً أكثر من هذا، ولا تسمح نفسي أن أعطيك من مالي شيئاً، ولكن هو ذا أحتال لك بحيلة تأخذ فيها خمسة آلاف دينار، فقبّلت يده، فقال: إذا كان غد وجاءني القاسم يعني ابن عبيد اللّه، فهو ذا أُسارُّك خبراً تقع عيني عليه سراراً طويلاً ألتفت فيه إليك كالمغضب وانظر أنت إليه في خلال

---

(١) الخبر في «أخبار الظِّراف والمتماجنين» للمصنف (ص٨٢/رقم: ١٣٤).

ذلك كالمتخالس لي نظر المترائي له، فإذا انقطع السرار، فاخرج ولا تبرح من الدهليز أو يخرج، فإذا خرجت خاطبك بخطاب جميل وأخذك إلى دعوته، ويسألك عن حالك، فاشك الفقر والخلة وقلة حظك مني وثقل ظهرك بالدَّين والعيال وخذ ما يعطيك، واطلب كل ما تقع عينيك عليه، فإنه لا يمنعك حتى تستوفي الخمسة آلاف دينار، فإذا أخذتها، فيسألك عما جرى بيننا، فاصدقه وإيَّاك أن تكذبه وعرفه أن ذاك حيلة مني عليه حتى وصل إليك هذا، وحدثه بالحديث كله على شرحه، وليكن إخبارك إياه بذلك بعد امتناع شديد وإحلاف منه بالطلاق والعتاق أن تصدقه، وبعد أن تخرج من داره كل ما يعطيك إياه تجعله في بيتك.

فلما كان الغد حضر القاسم، فحين رآه ابتدأ يُسارُني وجرت القصة على ما وضعني عليه، فخرجت فإذا القاسم في الدهليز ينتظرني، فقال: يا أبا محمد، ما هذا الجفاء لا تجيئني ولا تزورني ولا تسألني حاجة! فاعتذرت إليه باتصال الخدمة علي، فقال: ما يقنعني إلا أن تزورني اليوم وتتفرج، فقلت: أنا خادم الوزير، فأخذني إلى طيارة وجعل يسألني عن حالي وأخباري وأشكو إليه الخلة والإضاقة والدَّين والبنات وجفاء الخليفة وإمساك يده ويتوجع ويقول: يا هذا مالي لك ولن نضيق عليك ما يتسع على أن نجاوزك نعمة حصلت لي. لو عرَّفتني لعاونتك على إزالة هذا كله عنك، فشكرته وبلغنا داره، فصعد ولم ينظر في شيء، وقال: هذا يوم احتاج أن اختص فيه بالسرور بأبي محمد فلا يقطعني أحد عنه وأمر كتَّابه بالتشاغل بالأعمال وخلا بي في داره الخلوة، وجعل يحادثني ويبسطني وقدمت الفاكهة، فجعل يلقمني بيده وجاء الطعام، فكان هذا سبيله، فلما جلس للشرب وقع لي بثلاثة آلاف دينار، فأخذتها للوقت وأحضر ثياباً وطيباً ومركوباً، فأخذت ذلك كله، وكان بين يدي صينية فضة فيها مغسل فضة وخردادي بلور وكوز وقدح بلور، فأمر بحمله إلى طيارتي، وأقبلت كلما رأيت شيئاً حسناً له قيمة وافرة طلبته، وحمل إلي فرشاً نفيساً وقال: هذا للبنات، فلما تقوض أهل المجلس خلا بي، وقال: يا أبا محمد، أنت عالم بحقوق أبي عليك ومودتي لك، فقلت: أنا خادم الوزير، فقال: أريد أن أسألك عن شيء وتحلف لي أنك تصدقني عنه، فقلت: السمع والطاعة فأحلفني بالله وبالطلاق والعتاق على الصدق، ثم قال لي: بأي شيء سارَّك الخليفة اليوم في أمري؟ فصدقته عن كل ما جرى حرفاً بحرف، فقال: فرجت عني ولكون هذا هكذا مع سلامة نيته أسهل عليّ فشكرته وانصرفت إلى بيتي، فلما كان من الغد باكرت المعتضد بالله، فقال: هات حديثك، فسقته عليه، فقال: احفظ الدنانير ولا يقع لك أني أعمل مثلها بسرعة.

[٨٢] ـ أنبأنا أبو بكر بن محمد بن عبد الباقي، عن أبي القاسم علي بن المحسن، عن أبيه قال: بلغني أن المعتضد باللَّه كان يوماً جالساً في بيت يُبنى له يشاهد الصناع، فرأى في جملتهم غلاماً أسود، منكر الخِلقة، شديد المزح يصعد على السلاليم مرقاتين مرقاتين، ويحمل ضعف ما يحملونه، فأنكر أمره فأحضره وسأله عن سبب ذلك، فلجلج، فقال لابن حمدون وكان حاضراً: أي شيء يقع لك في أمره؟ فقال: ومن هذا حتى صرفت فكرك إليه ولعله لا عيال له، فهو خالي القلب. قال: ويحك قد خمنت في أمره تخميناً ما أحسبه باطلاً؛ إما أن يكون معه دنانير قد ظفر بها دفعة من غير وجهها، أو يكون لصاً يتستر بالعمل في الطين، فلاحاه[١] ابن حمدون في ذلك، فقال: عليّ بالأسود فأحضر، وقال: مقارع، فضربه نحو مائة مقرعة وقرره وحلف إن لم يصدقه ضرب عنقه وأحضر السيف والنطع، فقال الأسود: لي الأمان. فقال: لك الأمان إلَّا ما يجب عليك فيه من حد، فلم يفهم ما قال له، وظن أنه قد أمنه فقال: إني كنت أعمل في أتاتين الآجر سنين وكنت منذ شهور هناك جالساً فاجتاز بي رجل في وسطه هميان[٢] فتبعته فجاء إلى بعض الأتاتين[٣]، فجلس وهو لا يعلم مكاني فحل الهميان وأخرج منه ديناراً فتأملته فإذا كله دنانير فثاورته وكتفته وسددت فاه وأخذت الهميان، وحملته على كتفي وطرحته في نقرة الأتون وطينته، فلما كان بعد ذلك أخرجت عظامه، فطرحتها في دجلة والدنانير معي يقوى بها قلبي، فأمر المعتضد من أحضر الدنانير من منزله، وإذا على الهميان مكتوب لفلان بن فلان، فنودي في البلدة باسمه، فجاءت امرأة قالت: هذا زوجي ولي منه هذا الطفل خرج في وقت كذا ومعه هميان فيه ألف دينار، فغاب إلى الآن، فسلم الدنانير إليها، وأمرها أن تعتد، وضرب عنق الأسود وأمر أن تحمل جثته إلى الأتون.

[٨٣] ـ قال المحسن: وبلغني أن المعتضد باللَّه قام في الليل لحاجة، فرأى بعض الغلمان المردان قد نهضوا من ظهر غلام أمرد ودب على أربعته حتى اندس بين الغلمان، فجاء المعتضد فجعل يضع يده على فؤاد واحد بعد واحد إلى أن وضع يده على فؤاد ذلك الفاعل، فإذا به يخفق خفقاناً شديداً، فوكزه برجله فقعد واستدعى آلات العقوبة، فأقر، فقتله.

---

(١) أي: خاصمه ونازعه.
(٢) كيس يوضع فيه النقود، يشدُّ في الوسط.
(٣) جمع أتون: وهو الموقد الكبير.

[٨٤] ـ قال المحسن: وبلغنا عن المعتضد باللَّه أن خادماً من خدمه جاء يوماً فأخبره أنه كان قائماً على شاطئ الدجلة في دار الخليفة، فرأى صياداً وقد طرح شبكته، فثقلت بشيء، فجذبها فأخرجها فإذا فيها جراب، وأنه قدره مالاً فأخذه وفتحه، فإذا فيه آجرٌ[١] وبين الآجُرّ كف مخضوبة بحناء. قال: فأحضر الجراب والكف والآجر، فهال المعتضد ذلك، وقال: قل للصياد يعاود طرح الشبكة فوق الموضع وأسفله وما قاربه، قال: ففعل فخرج جراب آخر فيه رجل قال: فطلبوا فلم يخرج شيء آخر، فاغتم المعتضد فقال معي في البلد من يقتل إنساناً ويقطع أعضاءه ويفرقه ولا أعرف به، ما هذا مُلك.

قال: وأقام يومه كله ما طعم طعاماً، فلما كان من الغد أحضر ثقة له، وأعطاه الجراب فارغاً وقال له: طف به على كل من يعمل الجرب ببغداد، فإن عرفه منهم رجل، فسله على من باعه، فإذا دلك عليه، فسل المشتري من اشتراه منه ولا تقر على خبره أحداً.

قال: فغاب الرجل وجاءه بعد ثلاثة أيام، فزعم أنه لم يزل يتطلب في الدباغين، وأصحاب الجرب إلى أن عرف صانعه، وسأل عنه فذكر أنه باعه على عطار بسوق يحيى، وأنه مضى إلى العطار وعرضه عليه، فقال: ويحك. كيف وقع هذا الجراب في يدك؟ فقلت: أَوَتعرفه؟ قال: نعم. اشترى مني فلان الهاشمي منذ ثلاثة أيام عشرة جرب لا أدري لأي شيء أرادها وهذا منها. فقلت له: ومن فلان الهاشمي؟، فقال: رجل من ولد علي بن ريطة من ولد المهدي يقال له: فلان عظيم، إلَّا أنه شر الناس وأظلمهم وأفسدهم لحرم المسلمين وأشدهم تشوقاً إلى مكائِدهم، وليس في الدنيا من ينهي خبره إلى المعتضد خوفاً من شره ولفرط تمكنه من الدولة والمال، ولم يزل يحدثني وأنا أسمع أحاديث له قبيحةً إلى أن قال: فحسبك أنه كان يعشق منذ سنين فلانة المغنية جارية فلانة المغنية، وكانت كالدينار المنقوش وكالقمر الطالع في غاية حسن الغناء فساوم مولاتها فيها، فلم تقاربه، فلما كان منذ أيام بلغه أن سيدتها تريد بيعها على مشتر قد حضر بذل فيها ألوف دنانير، فوجه إليها: لا أقل من أن تنفذيها إليّ لتودعني، فأنفذتها إليه بعد أن أنفذ إليها جذرها[٢] لثلاثة أيام، فلما انقضت الأيام الثلاثة غصبها عليها وغيبها عنها، فما يعرف لها خبر وادعى أنها هربت من داره. وقالت الجيران: إنّه قتلها وقال

(١) نوع من أنواع الحجارة.
(٢) أي: أجرتها.

قوم: لا، بل هي عنده، وقد أقامت سيدتها عليها المأتم وجاءت وصاحت على بابه وسوّدت وجهها، فلم ينفعها شيء، فلما سمع المعتضد سجد شكراً للَّه تعالى على انكشاف الأمر له، وبعث في الحال من كبس على الهاشمي وأحضر المغنية، وأخرج اليد والرجل إلى الهاشمي، فلما رآهما امتقع لونه وأيقن بالهلاك واعترف، فأمر المعتضد بدفع ثمن الجارية إلى مولاتها من بيت المال وصرفها، ثم حبس الهاشمي، فيقال: إنه قتله. ويقال: مات في الحبس.

[٨٥] ـ قال عبد اللَّه محمد بن أحمد بن حمدون قال: كنت قد حلفت وعاهدت اللَّه أن لا أعقد مالاً من القمار وأنه لا يقع في يدي منه شيء إلا صرفته في ثمن شمع يحترق، أو نبيذ يشرب، أو جذر مغنية، فجلست يوماً ألاعب المعتضد، فقمرته بسبعين ألف درهم، فنهض المعتضد يصلي قبل العصر ركعتين من قبل أن يأمر لي بها، فجلست أفكر وأندم على ما حلفت عليه، وقلت: كم أشتري من هذه السبعين ألف شمعاً وشراباً وكم أجذر وما كانت هذه العجلة في اليمين، ولو لم أكن حلفت كنت الآن قد اشتريت بها ضيعة، وكانت اليمين بالطلاق والعتاق وصدقة الملك، فلما سلَّم من السجود قال لي: في أي شيء تفكرت؟ فقلت: خير، فقال: بحياتي اصدقني، فصدقته، فقال: وعندك أني أريد أن أعطيك سبعين ألفاً في القمار، فقلت: أفتصغر؟ قال: نعم، قد صغرت. قم ولا تفكر في هذا. قال: ودخل في صلاة الفرض، فلحقني الغم أعظم من الأول وندمت على فوت المال، وجعلت ألوم نفسي لِمَ صدقته، فلما فرغ من صلاته قال لي: يا أبا عبد اللَّه، بحياتي اصدقني عن هذا الفكر الثاني، فصدقته، فقال: أما القمار فقد قلت إني صغرت، ولكني أهب لك سبعين ألفاً من مالي ولا يكون عليَّ إثم في دفعها إليك، ولا عليك إثم في أخذها، وتخرج من يمينك فتشتري بها ضيعة حلالاً، فقبلت يده وأخذت المال فاعتقدت به ضيعة، واللَّه أعلم.

* * *

في سياق المنقول من ذلك عن الوزراء

[٨٦] ـ قال ابن الموصلي: حدّثني أبي قال: أتيت يحيى بن خالد بن برمك، فشكوت إليه ضيقة اليد، فقال: ويحك وما أصنع بك ليس عندنا في هذا الوقت شيء، ولكن عليك ههنا أمر أدلك عليه، فتكن فيه رجلاً، قد جاءني خليفة صاحب مصر يسألني أن أستهدي صاحبه شيئاً وقد أبيت ذلك فألحَّ علي، وقد بلغني أنك قد أُعطيت بجاريتك فلانة آلاف دنانير، فهو ذا أستهديه إياها وأخبره إنها قد أعجبتني وإياك أن تنقصها من ثلاثين ألف دينار وانظر كيف يكون. قال: فواللَّه ما شعرت إلا بالرجل قد أتاني فساومني الجارية، فقلت: لا أنقصها من ثلاثين ألف دينار، فلم يزل يساومني حتى بذل لي عشرين ألف دينار، فلما سمعتها ضعف قلبي عن ردها، فبعتها وقبضت العشرين ألفاً، ثم صرت إلى يحيى بن خالد، فقال لي كيف صنعت في بيعك الجارية؟ فأخبرته فقلت: واللَّه ما ملكت نفسي أن أجبت إلى العشرين ألفاً حين سمعتها. فقال: إنك لخسيس وهذا خليفة صاحب فارس قد جاءني في مثل هذا، فخذ جاريتك، فإذا ساومك، فلا تنقصها من خمسين ألف دينار، فإنه لا بد أن يشتريها منك بذلك. قال: فجاءني الرجل فاستمت عليه خمسين ألف دينار، فلم يزل يساومني حتى أعطاني ثلاثين ألف دينار، فضعف قلبي على ردها ولم أصدق بها، فأوجبتها له بها، ثم صرت إلى يحيى بن خالد، فقال لي: بكم بعت الجارية؟ فأخبرته، فقال لي: ويحك. ألم تؤدبك الأولى عن الثانية؟ قلت: ضعفت واللَّه عن رد شيء لم أطمع فيه. فقال: هذه جاريتك فخذها إليك. قال: فقلت: جارية أفدت بها خمسين ألف دينار ثم أملكها. أشهدك أنها حرة وأني قد تزوجتها.

[٨٧] ـ أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى النديم قال: قال يحيى بن خالد: ثلاثةُ أشياء تدل على عقول أربابها: الهدية، والكتاب، والرسول.

[٨٨] ـ وبلغنا أن المنصور كان يعجب بيحيى بن خالد ويجوِّد رأيه وكان يقول: ولد الآباء أبناء وولد خالد بن برمك آباء.

[٨٩] ـ وكان يحيى يقول لابنه جعفر: يا بني؛ خذ من كل أدب طرفاً فإنه من جهل شيئاً عاداه، وأنا أكره أن تكون عدو الشيء من الأدب.

[٩٠] ـ وكان يقول: مَن بلغ رتبة فتاه فيها أخبر أن محله دونها.

وقال له رجل: واللّه لأنت أحلم من الأحنف. فقال: ما نقرب إلى من أعطاني فوق حقي.

[٩١] ـ وبلغنا عن الرشيد؛ أنه رأى يوماً في داره حزمة خيزران فقال لوزيره الفضل بن الربيع: ما هذه؟ فقال: عروق الرماح يا أمير المؤمنين، ولم يرد أن يقول الخيزران لموافقته اسم أم الرشيد[١].

[٩٢] ـ وقال الفضل: إياكم ومخاطبة الملوك بما يقتضي الجواب، فإنهم إن أجابوكم شق عليهم وإن لم يجيبوكم شق عليكم.

[٩٣] ـ قال ثعلب: قلت للحسن بن سهل وقد كثر عطاؤه على اختلاف حاله: ليس في السرف خير، فقال: بل ليس في الخير سرف[٢]. فرد اللفظ واستوفى المعنى.

[٩٤] ـ ورأى الفتح بن خاقان في لحية المتوكل شيئاً فلم يمسه بيده، ولا قال له شيئاً، ولكنه نادى: يا غلام؛ مرآة أمير المؤمنين، فجيء بها، فقابل بها وجهه حتى أخذ ذلك الشيء بيده[٣].

[٩٥] ـ حدّثنا أبو علي بن مقلة قال: كنت أكتب لأبي الحسن بن الفرات أخدم بين يديه، فأول شيء برزق عشرة دنانير في كل شهر وهو يخلف أخاه في ديوان السواد، ثم زادت حاله فرقاني إلى ثلاثين ديناراً في كل شهر، فكنت كذلك معه إلى أن تَقَلَّدَ الوزارة الأولى، فحصل رزقي خمسمائة دينار في كل شهر، ثم أمر بقبض ما في دور المخالفين الذين بايعوا ابن المعتز، وكانت أمتعتهم تقبض وتحمل إليه فيراها وينفذها إلى خزائن المقتدر. فجاؤوه يوماً بصندوقين، فقالوا له: هذان وجدناهما في دار ابن المعتز، فقال: أفعلمتم ما فيهما؟ قالوا: نعم جرائد من بايعه من الناس بأسمائهم وأنسابهم، فقال: لا تفتح. ثم قال: يا غلمان هاتوا ناراً فجاء الفراشون بفحم وأمرهم فأججوا النار، وأقبل عليّ وعلى من كان حاضراً، فقال: واللّه لو رأيت من هذين الصندوقين ورقة واحدة لظن كل من له فيها اسم أني قد عرفته، فتفسد نيات العالم كلهم عليّ وعلى الخليفة وما هذا رأي حرقوهما، قال:

---

(١) الخبر في «أخبار الظِّراف والمتماجنين» (ص٨٢/ رقم: ١٣٥).

(٢) المصدر السابق (رقم: ١٣٦).

(٣) المصدر السابق (رقم: ١٣٧).

فطُرحا بأقفالهما في النار، فلما احترقا بحضرته أقبل عليّ، فقال: يا أبا علي؛ قد أمنت كل من جنى وبايع ابن المعتز، وأمرني الخليفة بأمانه، فاكتب للناس الأمان مني ولا يلتمس منك أحد أماناً كائناً من كان إلا كتبته له وجئني به لأوقع فيه، فقد أفردتك لهذا العمل. ثم قال لمن حضر: أشيعوا ما قلته حتى يأنس المستترون بأبي علي ويكاتبونه في طلب الأمان، فشكرناه. ودعت الجماعة له وشاع الخبر وكتبت الأمانات، فكتب في ذلك مائة ألف أو نحوها.

[٩٦] ـ حدّثنا ابن المحسن عن أبيه قال: سمعت أبا القاسم الحسن بن علي بن مقلة يقول: كان أبو علي بن مقلة يوماً يأكل، فلما رفعت المائدة وغسل يده رأى على ثوبه نقطة صفراء من الحلوى التي كان يأكلها، ففتح الدواة واستمد منها نقطة على الصفرة حتى لم يبق لها أثر، وقال: ذاك أثر شهوة، وهذا أثر صناعتي، ثم أنشد:

إنَّما الزَّعفرانُ عِطْرُ العذَارى وَمِدادُ الدّواةِ عِطْرُ الرِّجال[١]

[٩٧] ـ قال أبو بكر الصولي: قال لي المكتفي باللَّه، وقد أنشدته: أنت أشعر من فلان، فقلت: لإنعامك عليَّ ترى ذلك، وإلَّا ففلان أشعر مني، فلما خرجنا قال لي القاسم بن عبيد اللَّه: رددت على أمير المؤمنين لأنه قال شيئاً فقلت: لا. فقلت: من أين لي هذا الفهم؟.

[٩٨] ـ وذكر أن ملكاً كانت أسراره تظهر كثيراً إلى عدوه فيبطل تدبيره على العدو، فبلغ ذلك منه، فشكا إلى أحد نصحائه وقال له: إن جماعة يطلعون على أسرار لي لا بد من إظهارها لهم ولست أدري أيهم يظهرها، وأكره أن أنال البريء منهم بما يستحق الخائن، فدعا بكتاب فكتب فيه أخباراً من أخبار المملكة، وجعلها كذباً كلها ثم دعا برجل، رجل، كل واحد دون صاحبه ممن كان يفشي الملك إليه سره، فقال للملك: أخبر كل واحد منهم بخبر على حدة لا يظهر عليه سائر أصحابه، وأمر كل واحد بستر ما أسررت إليه، واكتب على كل خبر اسم صاحبه، فلم يلبث أن أظهر الخونة ما أفشي إليهم، وانكتمت أخبار الناصحين، فعرف الملك من يفشي سره فحذره.

[٩٩] ـ قيل: رفعت إلى فخر الملك وزير السلطان قصة رجل سعى برجل، فكتب عليها: السعاية قبيحة وإن كانت نصيحة فإن كنت أخرجتها بالنصح

---

(١) المصدر السابق (رقم: ١٣٨)، وفيه: الدَّويّ، بدل (الدواة).

فخسرانك فيها أكثر من الربح، وأنا لا أدخل في محظور ولا أسمع قول مهتوك في مستور، ولولا أنك في خفارة شيبتك لقابلتك على جريرتك مقابلة تشبه أفعالك وتردع أمثالك، فاستر على نفسك هذا العيب، واتق من يعلم الغيب، فإن اللّه للصالح والطالح بالمرصاد.

[١٠٠] ـ وقال الوزير أبو منصور بن جهير يوماً لولد أبي نصر بن الصناع: استعل بآداب وإلا كنت صناعاً بغراب.

* * *

في سياق المنقول من ذلك عن السلاطين والأمراء والحجاب والشرطة

[١٠١] ـ **قال المؤلف**: بلغني أن رجلاً قدم إلى بغداد للحج، وكان معه عقد من الحب يساوي ألف دينار، فاجتهد في بيعه، فلم ينفق، فجاء إلى عطَّار موصوف بالخير، فأودعه إياه، ثم حج وعاد، فأتاه بهدية، فقال له العطار: من أنت وما هذا؟ فقال: أنا صاحب العقد الذي أودعتك، فما كلمه حتى رفسه رفسة رماه عن دكانه، وقال تدعي عليّ مثل هذه الدعوى، فاجتمع الناس وقالوا للحاجي: ويلك هذا رجل خير ما لحقت من تدعي عليه إلَّا هذا، فتحير الحاجي وتردد إليه فما زاده إلَّا شتماً وضرباً، فقيل له: لو ذهبت إلى عضد الدولة، فله في هذه الأشياء فراسة، فكتب قصته وجعلها على قصبة ورفعها لعضد الدولة، فصاح به فجاء، فسأله عن حاله، فأخبره بالقصة، فقال: اذهب إلى العطار غداً، واقعد على دكانه، فإن منعك فاقعد على دكان تقابله، من الصبح إلى المغرب ولا تكلمه، وافعل هكذا ثلاثة أيام، فإني أمرّ عليك في اليوم الرابع وأقف وأسلم عليك، فلا تقم لي ولا تزدني على رد السلام وجواب ما أسألك عنه، فإذا انصرفت فأعد عليه العقد، ثم أعلمني ما يقول لك فإن أعطاكه فجِئْ به إلي.

قال: فجاء إلى دكان العطار ليجلس فمنعه، فجلس بمقابلته ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع اجتاز عضد الدولة في موكبه العظيم، فلما رأى الخراساني وقف وقال: سلام عليكم. فقال: الخرساني ولم يتحرك: وعليكم السلام، فقال: يا أخي تَقْدُمُ فلا تأتي إلينا ولا تعرض حوائجك علينا، فقال كما اتفق ولم يشبعه الكلام وعضد الدولة يسأله ويستحفي وقد وقف ووقف العسكر كله، والعطار قد أغمي عليه من الخوف، فلما انصرف التفت العطار إلى الحاجي فقال: ويحك متى أودعتني هذا العقد، وفي أي شيء كان ملفوفاً، فذكرني لعلي أذكره، فقال: من صفته كذا وكذا، فقام وفتش، ثم نقض جرة عنده فوضع العقد، فقال: قد كنت نسيت، ولو لم تذكرني الحال ما ذكرت. فأخذ العقد ثم قال: وأي فائدة لي في أن

الحلوى يضوع طيبها[1]، ويدهش منظرها ويعجب ريحها، وعلم أنه لا يمكنه الاستبداد بها، فدعا أصحابه، فرأوا ما لم يروه أبداً قبل ذلك، فأمعنوا في الأكل عقيب مجاعة، فانقلبوا فهلكوا عن آخرهم، فبادر التجار إلى أخذ أموالهم وأمتعتهم وسلاحهم، واستردوا المأخوذ عن آخره، فلم أسمع بأعجب من هذه المكيدة، محت أثر العاتين وحصدت شوكة المفسدين.

[١٠٤] ـ **وقال مؤلف الكتاب**: وحدثت أن بعض التجار قدم من خراسان ليحج، فتأهب للحج وبقي معه من ماله ألف دينار لا يحتاج إليها، فقال إن حملتها خاطرت بها، وإن أودعتها خفت جحد المودع، فمضى إلى الصحراء، فرأى شجرة خروع، فحفر تحتها ودفنها ولم يره أحد، ثم خرج إلى الحج وعاد، فحفر المكان فلم يجد شيئاً، فجعل يبكي ويلطم وجهه، فإذا سئل عن حاله قال: الأرض سرقت مالي، فلما كثر ذلك منه قيل له: لو قصدت عضد الدولة، فإن له فطنة، فقال: أويعلم الغيب؟ فقيل له: لا بأس بقصده. فأخبره بقصته، فجمع الأطباء وقال لهم: هل داويتم في هذه السنة أحداً بعروق الخروع؟ فقال أحدهم: أنا داويت فلاناً وهو من خواصك. فقال: عليّ به فجاء، فقال له: هل تداويت في هذه السنة بعروق الخروع؟ قال: نعم. قال: من جاءك به؟ قال: فلان الفراش قال: عليّ به، فلما جاء قال: من أين أخذت عروق الخروع؟ فقال: من المكان الفلاني، فقال: اذهب بهذا معك فأره المكان الذي أخذت منه. فذهب معه بصاحب المال إلى تلك الشجرة، وقال: من هذه الشجرة أخذت فقال الرجل: ههنا واللّه تركت مالي، فرجع إلى عضد الدولة فأخبره، فقال للفراش: هلم بالمال، فتلكأ فأوعده فأحضر المال.

[١٠٥] ـ وروى أبو الحسن بن هلال بن المحسن الصابي قال: حكى السلامي الشاعر قال: دخلت على عضد الدولة، فمدحته فأجزل عطيتي من الثياب والدنانير وبين يديه حسام خرواني فرآني ألحظه، فرمى به إليّ وقال: خذه. فقلت: وكل خير عندنا من عنده. فقال عضد الدولة: ذاك أبوك فبقيت متحيّراً لا أدري ما أراد، فجئت أستاذي فشرحت له الحال، فقال: ويحك قد أخطأت عظيمة، لأن هذه الكلمة لأبي نواس يصف كلباً حيث يقول:

أنْعَتُ كلبَ أَهْلِهِ في كَدّه قَدْ سَعُدتْ جُدودُهم بِجَدِّهِ
وكلُّ خيرٍ عندهم مِنْ عِنْدِهِ

---

(١) أي: ينتشر ويفوح طيبها.

قال: فعدت متوشحاً بكساء فوقفت بين يدي الملك فقال: ما بك؟ فقلت حممت الساعة. فقال: هل تعرف سبب حُمّاك؟ قلت: نظرت في ديوان أبي نواس، فقال: لا تخف لا بأس عليك من هذه الحمّى. فسجدت بين يديه وانصرفت(١).

[١٠٦] ـ وروى أبو الحسن بن هلال بن المحسن الصابي في تاريخه قال: حدّثني بعض التجار وقال: كنت في المعسكر، واتفق أن ركب السلطان جلال الدولة يوماً إلى الصيد على عادته، فلقيه سوادي يبكي فقال: ما لك؟ فقال: لقيني ثلاثة غلمان أخذوا حمل بطيخ كان معي وهو بضاعتي. فقال: امض إلى المعسكر فهناك قبة حمراء، فاقعد عندها ولا تبرح إلى آخر النهار، فأنا أرجع وأعطيك ما يغنيك، فلما عاد السلطان، قال لبعض شُرَّائه: قد اشتهيت بطيخاً ففتش العسكر وخيمهم على شيء منه، ففعل وأحضر البطيخ، فقال: عند من رأيتموه؟ فقيل في خيمة فلان الحاجب. فقال: أحضروه. فقال له: من أين هذا البطيخ؟ فقال الغلمان: جاؤوا به. فقال: أريدهم الساعة، فمضى وقد أحس بالشر، فهرب الغلمان خوفاً من أن يقتلوا وعاد فقال: قد هربوا لما علموا بطلب السلطان لهم. فقال: أحضروا السوادي، فأحضر فقال له: هذا بطيخك الذي أُخذ منك؟ قال: نعم. قال: فخذه وهذا الحاجب مملوك لي وقد سلمته إليك ووهبته لك حتى يحضر الذين أخذوا منك البطيخ، ووالله لئن أخليته لأضربن رقبتك. فأخذ السوادي بيد الحاجب فأخرجه، فاشترى الحاجب نفسه بثلاثمائة دينار، فعاد السوادي إلى السلطان وقال: يا سلطان قد بعت المملوك الذي وهبته لي بثلاثمائة دينار، فقال: قد رضيت بذلك؟ قال: نعم. قال: اقبضها وامض مصاحباً السلامة.

[١٠٧] ـ قال الصابي: وحكى لي من كان حاضراً بأصفهان قال: جاء إليه تركماني قد لزم يد تركماني، فلما دخلا إليه قال: هذا وجدته قد ابتنى ببنتي وأريد أن أقتله بعد إعلامك به. قال: لا. بل نزوجها به ونعطي المهر من خزائننا، فقال: لا أقنع إلّا بقتله. فقال: هاتوا السيف، فجيء به فسلّه وقال للأب: تعال، فلما قرب منه أعطاه السيف وأمسك بيده الجفن وأمره أن يعيد السيف إلى الجفن(٢)، فكلما رام الرجل ذاك قلب السلطان الجفن ولم يمكنه من إدخال السيف، فقال: يا سلطان، ما تدعني فقال: كذلك ابنتك لو لم تُرِدْ ما فعل بها هذا، فإن كنت تريد قتله لأجل فعله فاقتلهما جميعاً، ثم أحضر من زوجه بها وأعطاه المهر من خزانته.

---

(١) الخبر في «أخبار الظّراف والمتماجنين» (ص٨٣/ رقم: ١٣٩).
(٢) الجفن: الغمد؛ أي: يعيد السيف إلى غمده.

[١٠٨] ـ حدّثنا الأصمعي قال: وفد بلال بن أبي بردة على عمر بن عبد العزيز وهو بحاضرة، فلزم سارية من المسجد يصلي إليها يُحسن الركوع والخشوع وعمر بن عبد العزيز ينظر إليه، فقال عمر للعلاء بن المغيرة وكان خصيصاً لعمر: إن يكن سرّ هذا كعلانيته، فهو فعل أهل العراق غير مدافع عن فضل. فقال له العلاء بن المغيرة: أنا آتيك يا أمير المؤمنين بخبره، فأتاه وهو يصلي بين المغرب والعشاء، فقال له: اشفع صلاتك فإن لي حاجة، فلما سلم من صلاته قال له العلاء: تعرف منزلتي وموضعي من أمير المؤمنين، فإني إن أشرت عليك أن يوليك العراق ما تجعل لي؟ قال: عمالتي سنة، وكان مبلغها عشرين ومائة ألف، قال: فاكتب لي على ذلك خطاً، فقام من وقته فكتب له خطاً بذلك، فحمل ذلك الخط إلى عمر بن عبد العزيز، فلما قرأه كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وكان والياً على الكوفة: أما بعد؛ فإن بلالاً غرنا باللّه فكدنا نغتر به، ثم سبكناه فوجدناه خبثاً كله.

[١٠٩] ـ **قال مؤلف الكتاب**: وبلغنا أن رجلاً وعظ أميراً، فأنفذ إليه الأمير مالاً قبله، فلما عاد الرسول قال الأمير: كلنا صياد ولكن الشباك تختلف.

وقيل: لما خطب السفاح يوم بويع سقطت العصا من يده، فتطير من ذلك، فقام بعض أصحابه فأخذها ومسحها ودفعها إليه ثم أنشد:

فأَلقَتْ عصاها واستقرت بها النّوى كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المُسَافِرُ

فسرّ بذلك وسُرّي عنه وأكرمه.

[١١٠] ـ نزل أمير بقرية، فاحتاج إلى المزين يمسح شعره، فجاء الأمير وحده إليه، وقال: أنا حاجب هذا الأمير الذي قد نزل بكم، فامسح شعري، فإن كنت حاذقاً جاء الأمير فمسحت شعره وإنما فعل ذلك لئلا يعلم أنه الأمير فينزعج فيجرحه.

[١١١] ـ حدّثني عمر بن عثمان قال: دخل المنصور أمير المؤمنين قصراً فرأى في جداره كتاباً:

وما لي لا أبكي بعينٍ حزينةٍ وَقَدْ قَرُبَتْ للظّاعنين حُمُولُ

وتحته مكتوب: إيه إيه. قال أبو عمر: ويروى: آه آه، فقال المنصور: أي شيء إيه إيه؟ قال له الربيع، وهو إذ ذاك تحت يدي أبي الخصيب الحاجب: يا أمير المؤمنين؛ إنه لما كتب البيت أحب أن يخبر أنه يبكي، فقال له: اللّه ما كان أطرفه فكان هذا أول ما ارتفع به الربيع.

[١١٢] ـ **قال المؤلف**: نقلت من خط أبي الوفاء بن عقيل قال: دخل هاشمي على المنصور فاستدناه ودعا بغدائه وقال: اُدْنُهْ، فقال: قد تغديت، فكف عنه، فلما خرج دفع الربيع في قفاه، فوافقه الحجاب، فدخل عمومته فشكو إلى المنصور، فقال الربيع: هذا الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف، فأدناه أمير المؤمنين واستجلسه، ثم أذن له في الغداء، فقال له: قد تغديت. قول من يظن أن الغداء عند أمير المؤمنين لا يصلح إلا لسد الخلة ومثل هذا لا يكون أدبه بالقول ولكن بالفعل.

[١١٣] ـ حدّثنا المدايني عن غياث بن إبراهيم أن معن بن زائدة دخل على أبي جعفر أمير المؤمنين، فقارب في خطوه، فقال له أبو جعفر: كبرت سنك يا معن، فقال: في طاعتك يا أمير المؤمنين. قال: وإنك لجلد. قال: على أعدائك، قال: وإن فيك لبقية، قال: هي لك.

[١١٤] ـ حدّثنا أبو الفضل الربعي قال: حدّثني أبي قال: قال المأمون لعبد اللّه بن طاهر: أيما أطيب مجلسي أو منزلك؟ قال: ما عدلت به يا أمير المؤمنين. قال: ليس لي إلى هذا، إنما ذهبت إلى الموافقة في العيش واللذة، قال: منزلي يا أمير المؤمنين. قال: ولِمَ ذلك؟ قال: لأني فيه مالك، وأنا ههنا مملوك[١].

[١١٥] ـ وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني أن أحمد بن طولون جلس يوماً في متنزه له يأكل، فرأى سائلاً في ثوبٍ خَلِقٍ فوضع يده في رغيف ودجاجة وفرخ وقطع لحم وقطعة فالوذج، وأمر بعض الغلمان بمناولته، فرجع الغلام وذكر أنه ما هش له، فقال ابن طولون للغلام: جئني به، فمثل به بين يديه، فاستنطقه فأحسن الجواب ولم يضطرب من هيبته، فقال له: أحضرني الكتب التي معك وأصدقني عمن بعث بك، فقد صح عندي أنك صاحب خبر، واستحضر السياط فاعترف له بذلك فقال بعض من حضر: هذا واللّه السحر، فقال أحمد: ما هو بسحر، ولكنه قياس صحيح رأيت سوء حال هذا، فوجهت إليه بطعام يسر إلى أكله الشبعان، فما هش له ولا مد يده فأحضرته فتلقاني بقوة جأش، فلما رأيت رثاثة حاله وقوة جنانه علمت أنه صاحب خبر.

[١١٦] ـ ورأى ابن طولون يوماً حمالاً يحمل صندوقاً وهو يضطرب تحته، فقال: لو كان هذا الاضطراب من ثقل المحمول لغاصت عنقه وأنا أرى عنقه

(١) الخبر في «أخبار الظِّراف والمتماجنين» (ص٧٧/ رقم: ١٧٧).

بارزة، وما هذا إلا من خوف ما يحمل، فأمر بحط الصندوق، فوجد فيه جارية قد قتلت وقطعت، فقال: اصدقني عن حالها، فقال: أربعة نفر في الدار الفلانية أعطوني هذه الدنانير وأمروني بحمل هذه المقتولة. فضرب الحمال مائتي ضربة بعصا، وأمر بقتل الأربعة.

[١١٧] ـ وكان ابن طولون يبكر ويخرج، فيسمع قراءة الأئمة في المحاريب، فدعا بعض أصحابه يوماً وقال: امض إلى المسجد الفلاني، وأعط إمامه هذه الدنانير. قال: فمضيت فجلست مع الإمام وباسطته حتى شكا أن زوجته ضربها الطلق، ولم يكن معه ما يصلح به شأنها، وأنه صلى فغلط مراراً في القراءة، فعدت إلى ابن طولون فأخبرته، فقال: صدق، لقد وقفت أمس، فرأيته يغلط كثيراً فعلمت شغل قلبه.

[١١٨] ـ حدّثنا سهل بن محمد السجستاني قال: وفد علينا عامل من أهل الكوفة لم أرَ في عمال السلطان بالبصرة أبرع منه، فدخلت مسلماً عليه، فقال: يا سجستاني؛ من أعلمكم بالبصرة؟ قال: الزيادي أعلمنا بعلم الأصمعي، والمازني أعلمنا بالنحو، وهلال الرأي أفقهنا، والشاذكوني أعلمنا بالحديث، وأنا رحمك اللّه أنسب إلى علم القرآن، وابن الكلبي من أكتبنا للشروط، قال: فقال لكاتبه: إذا كان غد فاجمعهم إليَّ. قال: فجمعنا. قال: أيكم المازني؟ قال أبو عثمان: ها أنا ذا يرحمك اللّه، قال: هل يجزئ في الظهار عتق عبد أعور، فقال المازني: لست صاحب فقه، أنا صاحب عربية، فقال: يا زيادي كيف تكتب بين بعل وامرأة خالعها زوجها على الثلث من صداقها قال: ليس هذا من علمي هذا من علم هلال الرأي، قال يا هلال: كم أسند ابن عون عن الحسن؟ قال: ليس هذا من علمي هذا من علم الشاذكوني، قال: يا شاذكوني؛ من قرأ: ﴿**أَلَا إنهم يُثْنُونَ صدورهم**﴾ قال: ليس هذا من علمي هذا من علم أبي حاتم. فقال: يا أبا حاتم؛ كيف تكتب كتاباً إلى أمير المؤمنين تصف فيه خصاصة أهل البصرة، وما أصابهم في الثمرة، وتسأله لهم النظر بالبصرة؟ قال: لست رحمك اللّه صاحب بدعة وكتابة، أنا صاحب قرآن. قال: ما أقبح بالرجل يتعاطى بالعلم خمسين سنة لا يعرف إلا فناً واحداً حتى إذا سئل عن غيره لم يجل فيه، ولم يمر، لكن عالمنا بالكوفة الكسائي لو سئل عن هذا كله لأجاب.

[١١٩] ـ نظر بعض العمال في ديوانه إلى رجل يصغي إلى سره، فأمر بضربه وحبسه. فقال كاتب الحبس: كيف أكتب قصته؟ قال: اكتب: استرق السمع فأتبعه شهاب ثاقب.

[١٢٠] ـ ووُجد أعمى مع عمياء فلم يدر الكاتب كيف يكتب قصتهما، فقال صاحب الربع: اكتب: ظُلُماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ.

[١٢١] ـ قال الحسين بن الحسن بن أحمد بن يحيى الواثقي: كان جدي يتقلد شرطة بغداد للمكتفي بالله، فعمل اللصوص في أيامه عملة عظيمة، فاجتمع التجار وتظلموا إلى المكتفي بالله، فألزمه بإحضار اللصوص أو غرامة المال، فتحيّر حتى كان يركب وحده ويطوف بالليل والنهار إلى أن اجتاز يوماً في زقاق خالٍ في بعض أطراف بغداد، فدخله فوجد فيه منكراً ووجد فيه زقاقاً لا ينفذ، فدخله فرأى على بعض أبواب دور الزقاق شوك سمكة كبيرة وعظم الصلب. وتقدير ذلك أن تكون السمكة فيها مائة وعشرون رطلاً، فقال لواحد من أصحاب المسالخ: ويحك ما ترى عظام هذه السمكة كم تقدر ثمنها؟ قال: دينار، فقال: أهل هذا الزقاق لا تحمل أحوالهم شراء مثل هذه السمكة لأنه زقاق بين الاحتلال إلى جانب الصحراء لا ينزله من معه شيء يخافه، أو له مال ينفق منه مثل هذه النفقة، وما هي إلا بلية يجب أن يكشف عنها، فاستبعد الرجل هذا، وقال: هذا فكر بعيد، فقال: اطلبوا امرأة من الدرب أكلمها، فدق باباً غير الباب الذي عليه الشوك واستسقى ماءً، فخرجت عجوز ضعيفة، فما زال يطلب شربة بعد شربة وهي تسقيهم، والواثقي في خلال ذلك يسأل عن الدرب وأهله، وهي تخبره غير عارفة بعواقب ذلك إلى أن قال لها: فهذه الدار من يسكنها وأومأ إلى التي عليها عظام السمك؟ فقالت: والله ما ندري على الحقيقة مَن سكانها إلَّا أن فيها خمسة شباب أعفار، كأنهم تجار قد نزلوا منذ شهر لا نراهم يخرجون نهاراً إلَّا كل مدة طويلة، وإنا نرى الواحد منهم يخرج في الحاجة ويعود سريعاً، وهم طول النهار يجتمعون فيأكلون ويشربون ويلعبون بالشطرنج والنرد، ولهم صبي يخدمهم، وإذا كان الليل انصرفوا إلى دار لهم في الكرخ. ويدَعُون الصبي في الدار يحفظها، فإذا كان سحراً بليل جاؤوا ونحن نيام لا نعقل بهم وقت مجيئهم. قال: فقطع الوالي استسقاء الماء ودخلت العجوز، وقال للرجل: هذه صفة لصوص أم لا؟ فقال: توكلوا بحوالي الدار ودعوني على بابها. قال: وأنفذ في الحال واستدعى عشرة من الرجال، وأدخلهم إلى سطوح الجيران، ودق هو الباب، فجاء الصبي ففتح فدخل والرجال معه، فما فاتهم من القوم أحد، وحملهم إلى مجلس الشرطة وقررهم، فكانوا هم أصحاب الخيانة بعينها، ودلوا على باقي أصحابهم فتبعهم الواثقي، وكان يفتخر بهذه القصة.

[١٢٢] ـ **قال مؤلف الكتاب**: وبلغنا عن بعض ولاة مصر أنه كان يلعب

بالحمام فتسابق هو وخادم له فسبقه الخادم، فبعث الأمير إلى وزيره ليعلم الحال، فكره الوزير أن يكتب إليه أنك قد سبقت، ولم يدر كيف يكني عن ذلك، فكان ثَمَّ كاتب فقال: إن رأيت أن تكتب شعراً:

يا أيُّها الملكُ الّذي جَدُّه ... لكلِّ جَدٍّ قاهر غالبُ
طائرك السَّابقُ لكنّه ... أتى وفي خدمته حاجِبُ

فاستحسن ذلك وأمر له بجائزة وكتب به[1].

[١٢٣] ـ قال الشيخ: حدّثني أبو محمد عبد اللّه بن علي المقري قال: كان حاجب باب ابن النسوي ذكياً، فسمع في بعض ليالي الشتاء صوت برّادة، فأمر بكبس الدار، فأخرجوا رجلاً وامرأة، فقيل له: من أين علمت هذا؟ قال: في الشتاء لا يبرد الماء، وإنما هذه علامة بين هذين.

[١٢٤] ـ وبه حدّثني أبو حكيم إبراهيم بن دينار الفقيه قال: حدّثني أبي قال: جيء إلى ابن النسوي برجلين قد اتهما بالسرقة فأقامهما بين يديه، ثم قال: شربة ماء فجاء بها، فأخذ يشرب ثم ألقاها من يده عمداً فوقعت فانكسرت، فانزعج أحد الرجلين لانكسارها وثبت الآخر، فقال للمنزعج: اذهب أنت، وقال للآخر: رد ما أخذت، فقيل له من أين علمت؟ فقال: اللص قوي القلب لا ينزعج وهذا المنزعج بريء لأنه لو تحركت في البيت فأرة لأزعجته ومنعته أن يسرق.

[١٢٥] ـ وبه ذكر بعض مشايخنا: أن رجلاً من جيران ابن النسوي كان يصلي بالناس دخل على ابن النسوي في شفاعة، وبين يديه صحن فيه قطائف فقال له ابن النسوي: كُلْ. فامتنع، فقال: كأنني بك وأنت تقول من أين لابن النسوي شيء حلال، ولكن كُلْ، فما أكلت قط أحل من هذا. فقال بحكم المداعبة: من أين لك شيء لا يكون فيه شبهة؟ فقال: إن أخبرتك تأكل؟ قال: نعم، فقال: كنت منذ ليال في مثل هذا الوقت، فإذا الباب يدق، فقالت الجارية: من؟ فقالت: امرأة تستأذن، فأذن لها، فدخلت، فأكبت على قدمي تقبلها، فقلت: ما حاجتك؟ قالت: لي زوج ولي منه ابنتان لواحدة اثنتا عشرة سنة وللأخرى أربع عشرة سنة، وقد تزوج عليّ وما يقربني والأولاد يطلبونه، فيضيق صدري لأجلهم، وأريد أن يجعل ليلة لي ولتلك ليلة، فقلت لها: ما صناعته؟ فقالت: خباز، قلت: وأين دكانه؟ قالت: بالكرخ، ويعرف بفلان بن فلان. فقلت: وأنت بنت من؟ فقالت:

---

(١) الخبر في «أخبار الظّراف والمتماجنين» (ص٧٧/ رقم: ١٩٩).

بنت فلان، قلت: فما اسم بناتك؟ قالت: فلانة وفلانة. . . قلت: أنا أرده إليك إن شاء اللَّه تعالى، فقالت: هذه شقة قد غزلتها أنا وابنتاي، وأنت في حل منها. قلت: خذي شقتك وانصرفي. فمضت فبعثت إليه اثنين وقلت: أحضراه ولا تزعجاه. فأحضراه وقد طار عقله، فقلت: لا بأس عليك إنما استدعيتك لأعطيك كِرا طعام وعمالته تقيمه خبزاً للرحالة، فسكن روعه وقال: ما أريد له عمالة. قلت: بلى. صديق مخسر عدو مبين أنت مني وإليَّ، كيف هي زوجتك فلانة تلك بنت عمتي، وكيف بناتها فلانة وفلانة؟ فقال: بكل خير، قلت: اللَّه اللَّه لا أحتاج أن أوصيك بها لا تضيق صدرها فقبّل يدي، فقلت: امض إلى دكانك وإن كان لك حاجة فالموضع بحكمك فانصرف. فلما كان في هذه الليلة جاءت المرأة فدخلت، وهذا الصحن معها، وأقسمت عليَّ باللَّه أن لا أردها، وقالت: قد جمعت شملي وشمل أولادي، وهذا واللَّه من ثمن غزالي، فباللَّه لا ترده، فقبلته، فهل هو حلال؟ فقال: واللَّه ما في الدنيا أحل من هذا. قال: فكُلْ، فأكل.

[١٢٦] ـ كان لأحمد بن خصيب وكيل له في ضياعه، فرمى إليه بخيانة، فعزم على القبض عليه والإساءة إليه، فهرب فكتب إليه أحمد يؤنسه ويحلف له على بطلان ما اتصل إليه، ويأمره بالرجوع إلى عمله فكتب إليه:

أنا لك عبدٌ سامعٌ ومطيعٌ ... وإنِّي لما تَهْوى إليك سَريعُ

ولكنَّ لي كفاً أعيشُ بفضلِها ... فما أشتري إلا بها وأبيعُ

أأجعلها تحت الرحائم أبتغي ... خَلَاصاً لها إني إذاً لرقيعُ

[١٢٧] ـ حدّثنا أبو سهل بن زياد قال: كان شاعر له ضويعة فهجا عاملها، وبلغه ذلك فأمسك عنه، فلما كان وقت الغلة ركب العامل إلى البيدر، فقسمها وحمل غلة الشاعر أصلاً، فجاء الشاعر إليه يشكو، فقال: يا هذا ليس بيننا، هجوتنا بالشعر ونحن نهجوك بالشعير، فقد استوت الحال بيننا وبينك.

[١٢٨] ـ قال الشيخ: وحدّثني ابن شبيب المشرف بالمحرز أنه لقي الخليفة المستنجد فقال له الخليفة: أين شتيت؟ قال: عندك يا أمير المؤمنين، وأراد الخليفة تصحيف ابن شبيب، وأراد هو تصحيف عبدك.

[١٢٩] ـ كان بعض العمال واقفاً على رأس أمير، فأخذه البول. فخرج، فلما جاء قال: أين كنت؟ قال: أصوب الرأي، يعني أنه لا رأي لحاقن.

[١٣٠] ـ حدّثني بعض الشيوخ قال: سرق من رجل خمسمائة دينار، فحمل المتهمين إلى الوالي، فقال الوالي: أنا ما أضرب أحداً منكم، بل عندي خيط ممدود في بيت مظلم، فادخلوا فليمر كل منكم يده عليه من أول الخيط إلى آخره ويلف يده في كمه ويخرج، فإن الخيط يلف على يد الذي سرق، وكان قد سوّد الخيط بسخام، فدخلوا فكلهم جرَّ يده على الخيط في الظلمة إلا واحد منهم، فلما خرجوا نظر إلى أيديهم مسودة إلا واحد فألزمه بالمال، فأقرَّ به.

* * *

في سياق المنقول
من ذلك عن القضاة

[١٣١] ـ حدّثنا الشعبي قال: جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه فقالت: أشكو إليك خير أهل الدنيا إلا رجل سبقه بعمل أو عمل مثل عمله يقوم الليل حتى يصبح، ويصوم النهار حتى يمسي، ثم أخذها الحياء فقالت: أقِلْني يا أمير المؤمنين، فقال: جزاك اللّه خيراً فقد أحسنتِ الثناء قد أَقَلْتُكِ. فلما ولّت قال كعب بن سور: يا أمير المؤمنين؛ لقد أبلغت إليك في الشكوى، فقال: ما اشتكت؟ قال: زوجها. قال: عليَّ بالمرأة وزوجها، فجيء بهما، فقال لكعب: اقض بينهما. قال: أأَقضي وأنت شاهد؟ قال: إنك قد فطنت ما لم أفطن إليه. قال: فإن اللّه يقول: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣] صم ثلاثة أيام وأفطر عندها يوماً، وقم ثلاث ليال وبت عندها ليلة. فقال عمر: لهذا أعجب إليَّ من الأول، فرَحَّلَهُ بدابة وبعثَهُ قاضياً لأهل البصرة[١].

[١٣٢] ـ أخبرنا مجالد بن سعيد قال: قلت للشعبي: يقال في المثل: إن شريحاً أدهى من الثعلب وأحيل فما هذا؟ فقال لي في ذلك: إن شريحاً خرج أيام الطاعون إلى النجف، وكان إذا قام يصلي يجيء ثعلب فيقف تجاهه، فيحاكيه ويخيل بين يديه، فيشغله عن صلاته، فلما طال ذلك عليه نزع قميصه، فجعله على قصبة، وأخرج كمّيه وجعل قلنسوته وعمامته عليه، فأقبل الثعلب، فوقف على عادته، فأتى شريح من خلفه، فأخذه بغتة، فلذلك يقال: هو أدهى من الثعلب وأحيل.

[١٣٣] ـ أخبرنا مجالد عن الشعبي قال: شهدت شريحاً وقد جاءته امرأة تخاصم رجلاً، فأرسلت عينيها فبكت، فقلت: يا أبا أمية؛ ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة. فقال: يا شعبي؛ إن أخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاءً يبكون.

---

(١) أخرجه وكيع في «أخبار القضاة» (١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦)، قال: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدّثنا منصور بن عبد الرحمن، قال: حدّثنا الشّعبي به.
والشعبي؛ هو عامر بن شراحيل لم يدرك زمن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه. وأخرج نحوه أبو جعفر الطوسي في «الأمالي» (ص١٣٠/ رقم: ٢٠٦) عن الأصمعي نحوه.

[١٣٤] ـ حدّثنا شيخ من قريش قال: عرض شريح ناقة يبيعها، فقال له المشتري: يا أبا أمية، كيف لبنها؟ قال: احلب في أي إناء شئت. قال: كيف الوطء؟ قال: افرش ونم. قال: كيف نجاؤها؟ قال: إذا رأيتها في الإبل عرفت مكانها على سوطك. فقال: كيف قوتها؟ قال: احمل على الحائط ما شئت، فاشتراها. فلم ير شيئاً مما وصف، فرجع إليه فقال: لَمْ أر فيها شيئاً مما وصفتها به. قال: ما كذبتك. قال: أقلني. قال: نعم(١).

[١٣٥] ـ قال القرشي: وحدّثني أبو القاسم السلمي عن غير واحد من أشياخه قال: إن شريحاً خرج من عند زياد وهو مريض، فأرسل إليه مسروق بن الأجدع رسولاً يسأله: كيف وجدت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهى. قال: يأمر بالوصية، وينهى عن النياحة(٢).

[١٣٦] ـ قال الشيخ: وقد روينا أن عدي بن أرطأة أتى شريحاً وهو في مجلس القضاء فقال لشريح: أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط. قال: اسمع مني. قال: لهذا جلست مجلسي. قال: إني رجل من أهل الشام. قال: الحبيب القريب. قال: وتزوجت امرأة من قومي، قال: بارك اللّه لك بالرفاء والبنين. قال: وشرطت لأهلها أن لا أخرجها، قال: الشرط أملك. قال: وأريد الخروج. قال: في حفظ اللّه. قال: اقض بيننا. قال: قد فعلت.

[١٣٧] ـ حدّثنا صالح بن أحمد العجلي قال: حدّثني أبي قال: دخل على إياس بن معاوية ثلاث نسوة، فقال: أما واحدة فمرضع، والأخرى بكر، والثالثة ثيب، فقيل له: بم علمت؟ قال: أما المرضع فإنها لما قعدت أمسكت ثديها بيدها، وأما البكر فلما دخلت لم تلتفت إلى أحد، وأما الثيب فلما دخلت رمقت بعينها يميناً وشمالاً.

[١٣٨] ـ أخبرنا أبو الحسن القيسي قال: استودع رجل رجلاً من أبناء الناس مالاً، وكان أميناً لا بأس به، وخرج المستودع إلى مكة، فلما رجع طلبه فجحده، فأتى إياساً فأخبره، فقال له إياس: أعَلِمَ أنك أتيتني؟ قال: لا. قال: فنازعته عند أحد؟ قال: لا. لم يعلم أحد بهذا. قال: فانصرف واكتم أمرك، ثم عد إليَّ بعد يومين، فمضى الرجل، فدعا إياس أمينه ذلك، فقال: قد حضر مال كثير أريد أن أسلمه إليك، أفحصين منزلك؟ قال: نعم. قال: فأعدّ موضعاً للمال وقوماً

(١) الخبر في «أخبار الظّراف والمتماجنين» للمصنف (ص٦٠/رقم: ٥٢).
(٢) المصدر السابق (رقم: ٥٣).

يحملونه، وعاد الرجل إلى إياس فقال له: انطلق على صاحبك، فاّطلب المال، فإن أعطاك فذاك، وإن جحدك فقل له: إني أخبر القاضي، فأتى الرجل صاحبه فقال: مالي وإلا أتيت القاضي وشكوت إليه، وأخبرته ما جرى، فدفع إليه ماله، فرجع الرجل إلى إياس فقال: قد أعطاني المال، وجاء الأمين إلى إياس فزبره وانتهره، وقال: لا تقربني يا خائن.

[١٣٩] ـ وذكر الجاحظ أن إياس بن معاوية نظر إلى صدع في أرض، فقال: تحت هذه دابة، فنظروا فإذا حية، فقيل له: من أين علمت؟ قال: رأيت ما بين الآجرتين ندياً من بين جميع تلك الرحبة، فعلمت أن تحتها شيئاً يتنفس.

[١٤٠] ـ قال الجاحظ: وحج إياس فسمع نباح كلب، فقال: هذا كلب مشدود، ثم سمع نباحه، فقال قد أرسل، فانتهوا إلى الماء، فسألوهم فكان كما قال. فقيل له: من أين علمت؟ قال: كان نباحه وهو موثق يسمع من مكان واحد، ثم سمعته يقرب مرة ويبعد أخرى.

[١٤١] ـ ومرّ إياس ليلة بماء فقال: أسمع صوت كلب غريب، فقيل له: كيف عرفته، قال: بخضوع صوته وشدة نباح الآخرين، فسألوا: فإذا كلب غريب والكلاب تنبحه.

[١٤٢] ـ حدّثنا أبو سهل قال: لم يشرك في القضاء بين أحد قط إلا بين عبيد اللّه بن الحسن العنبري وبين عمر بن عامر على قضاء البصرة، وكانا يجتمعان جميعاً في المجلس وينظران جميعاً بين الناس، قال: فتقدم إليهما قوم في جارية لا تثيب. فقال فيها عمر بن عامر: هذه ضئيلة. وقال عبيد اللّه بن الحسن: كل ما خالف ما عليه الخلقة فهو عيب.

[١٤٣] ـ أخبرنا يزيد بن هارون قال: تقلد القضاء في واسط رجل ثقة كثير الحديث، فجاء رجل فاستودع بعض الشهود كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف دينار، فلما حصل الكيس عند الشاهد وطالت غيبة الرجل قدَّر أنه قد هلك، فهمَّ بإنفاق المال، ثم دبر وفتق الكيس من أسفله، وأخذ الدنانير، وجعل مكانها دراهم، وأعاد الخياطة كما كانت. وقدِّر أن الرجل وافى وطلب الشاهد بوديعته، فأعطاه الكيس بختمه، فلما حصل في منزله فضّ ختمه فصادف في الكيس دراهم، فرجع إلى الشاهد، فقال له: عافاك اللّه، ارْدُدْ عليَّ مالي فإني استودعتك دنانير والذي وجدت دراهم مكانها، فأنكره ذلك، واستعدى عليه القاضي المقدم ذكره، فأمر بإحضار الشاهد مع خصمه، فلما حضرا سأل الحاكم: منذ كم أودعته هذا الكيس؟

قال: منذ خمس عشرة سنة، فأخذ القاضي الدراهم وقرأ سككها، فإذا هي دراهم حديثة منها ما قد ضرب منذ سنتين وثلاث ونحوها، فأمره أن يدفع الدنانير إليه، فدفعها إليه وأسقطه وقال له: يا خائن. ونادى مناديه: ألا إن فلان بن فلان القاضي قد أسقط فلان بن فلان الشاهد، فاعلموا ذلك ولا يغترن به أحد بعد اليوم، فباع الشاهد أملاكه في واسط وخرج عنها هارباً، فلم يعلم له خبر ولا أحسَّ منه أثر.

[١٤٤] ـ أخبرنا أبو محمد القرشي قال: استودع رجل رجلاً مالاً، ثم طلبه فجحده، فخاصمه إلى إياس بن معاوية، فقال الطالب: إني دفعت المال إليه قال: ومن حضر؟ قال: دفعته في مكان كذا وكذا ولم يحضرنا أحد. قال: فأي شيء في ذلك الموضع؟ قال: شجرة. قال: فانطلق إلى ذلك الموضع وانظر الشجرة، فلعل اللّه تعالى يوضح لك هناك ما يتبين به حقك، لعلك دفنت مالك عند الشجرة ونسيت، فتتذكر إذا رأيت الشجرة، فمضى الرجل، قال إياس للمطلوب: اجلس حتى يرجع خصمك، فجلس وإياس يقضي وينظر إليه ساعة ثم قال له: يا هذا؛ أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التي ذكر؟ قال: لا. قال: يا عدو اللّه؛ إنك لخائن. قال: أقلني أقالك اللّه، فأمر من يحتفظ به حتى جاء الرجل، فقال له إياس: قد أقر لك بحقك فخذه.

[١٤٥] ـ حدّثنا ابن السماك قال: اختصم إلى قاضي القضاة الشامي يوماً رجلان وهو بجامع المنصور، فقال أحدهما: إني أسلمت إلى هذا عشرة دنانير، فقال للآخر: ما تقول؟ قال: ما أسلم إليَّ شيئاً. فقال للطالب: هل لك بيِّنة؟ قال: لا. قال: ولا سلمتها إليه بعين أحد؟ قال: لا، لم يكن هناك إلا اللّه عزّ وجلّ. قال: فأين سلمتها إليه؟ قال: بمسجد بالكرخ. فقال للمطلوب: أتحلف؟ قال: نعم. قال للطالب: قم إلى ذلك المسجد الذي سلمتها إليه فيه وائتني بورقة من مصحف لأحلفه بها، فمضى الرجل واعتقل القاضي الغريم، فلما مضت ساعة التفت القاضي إليه، فقال: تظنُّ أنه بلغ ذلك المسجد؟ فقال: لا ما بلغ إليه، فكان هذا كالإقرار، فألزمه بالذهب فأقرَّ به.

[١٤٦] ـ حدّثنا أبو العيناء قال: ما رأيت في الدنيا أقوم على أدب من ابن أبي داود، ما خرجت من عنده يوماً فقال: يا غلام خذ بيده، بل كان يقول: يا غلام؛ اخرج معه، فكنت أفتقد هذه الكلمة عليه، فلا يخل بها ولا أسمعها من غيره.

[١٤٧] ـ ذكر أبو علي عيسى بن محمد الطوماري أنه سمع أبا حازم القاضي

يقول: سمعت أبي يقول: ولي يحيى بن أكثم قضاء البصرة وسنه عشرون أو نحوها، فقال له أحدهم: كم سِنُّ القاضي؟ قال: فعلم أنه قد استصغر. فقال له: أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجه به النبي ﷺ قاضياً على أهل مكة يوم الفتح، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي ﷺ قاضياً على أهل اليمن، وأنا أكبر من كعب بن سور الذي وجه به عمر بن الخطاب قاضياً على أهل البصرة.

[١٤٨] ـ حدّثنا ابن الليث قال: باع رجل من أهل خراسان جِمَالاً بثلاثين ألف درهم من مرزبان المجوسي وكيل أم جعفر، فمطله بثمنها وحبسه، فطال ذلك على الرجل، فأتى بعض أصحاب حفص بن غياث فشاوروه، فقال: اذهب إليه فقل له: أعطني ألف درهم، وأحيل عليك بالمال الباقي، واخرج إلى خراسان، فإذا فعل هذا فأتني حتى أشاور عليك، ففعل الرجل، فأتى مرزبان فأعطاه ألف درهم، فرجع إلى الرجل فأخبره فقال: عد إليه فقل له: إذا ركبت غداً فطريقك على القاضي، فأحضر وأوكل رجلاً بقبض المال واخرج، فإذا جلس إلى القاضي فادَّع عليه بما بقي لك من المال، ففعل ذلك، فحبسه القاضي فأخرجته أم جعفر وقالَت لهارون: قاضيك حبس وكيلي، فمره لا ينظر في الحكم، فأمر لها بالكتاب، وبلغ حفصاً الخبر فقال للرجل: أحضر لي شهوداً حتى أسجل لك على المجوسي قبل ورود كتاب أمير المؤمنين، فحضر، فقال للرجل: مكانك. فلما فرغ من السجل أخذ الكتاب، فقرأه وقال للخادم: اقرأ على أمير المؤمنين السلام، وأخبره أن كتابه ورد، وقد أنفذت الحكم.

[١٤٩] ـ حدّثنا المدايني قال: كان المطلب بن محمد الحنظبي على قضاء مكة، وكان عنده امرأة قد مات عندها أربع أزواج، فمرض مرض الموت، فجلست عند رأسه تبكي، وقالت: إلى من توصي بي؟ قال: إلى السادس الشقي[(١)].

[١٥٠] ـ **قال المؤلف**: وبلغنا أن رجلاً جاء إلى أبي حازم فقال له: إن الشيطان يأتيني فيقول: إنك قد طلقت زوجتك فيشككني. فقال له: أَوَليس قد طلقتها؟ قال: لا. قال: ألم تأتني أمس فطلقتها عندي؟ فقال: واللّه ما جئتك إلّا اليوم ولا طلقتها بوجه من الوجوه. قال: فاحلف للشيطان إذا جاءك كما حلفت لي، وأنت في عافية[(٢)].

[١٥١] ـ قال أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي:

---

(١) الخبر في «أخبار الظِّراف والمتماجنين» للمصنف (ص٧١/ رقم: ٩٣).

(٢) المصدر السابق (ص٧٨/ رقم: ١٢١).

حدّثني من أثق به؛ أن قاضياً من القضاة سألته زوجته أن يبتاع لها جارية، فتقدم إلى النخاسين بذلك، فحملوا إليه عدة جوار، فاستحسن إحداهن، فأشار على زوجته بها قال: أبتاعها لك من مالي؟ فقالت: ما لي إليه حاجة، ولكن خذ هذه الدنانير فابتعها لي بها، وأعطته مائة دينار، فأخذها فعزلها في مكان وخرج، فاشتراها لنفسه وأعطى ثمنها من ماله وكتب عهدتها باسمه، وأعلم الجارية بذلك سراً واستكتمها، فكانت زوجته تستخدمها، فإذا أصاب خلوة من زوجته وطئ على الجارية، فاتفق يوماً أنها صادفته فوقها، فقالت له: ما هذا يا شيخ سوء زانٍ، أما تتّقي اللَّه، أما أنت من قضاة المسلمين؟ فقال: أما الشيخ فنعم، وأما الزنا فمعاذ اللَّه، وأخرج عهدة الجارية باسمه، وعرفها الحيلة، وأخرج دنانيرها بختمها، فعرفت صحة ذلك، ولم تزل تداريه حتى باعها.

[١٥٢] ـ أخبرنا التنوخي، عن أبيه قال: سمعت قاضي القضاة أبا السَّائب يقول: كان ببلدنا همدان رجل مستور، فأحب القاضي قبول قوله، فسأل عنه فزُكِّي له سراً وجهراً، فراسله في حضور المجلس ليقبل قوله، وأمر بأخذ خطه في كتاب ليحضر، فيقيم الشهادة فيها، وجلس القاضي وحضر الرجل مع الشهود، فلما أراد إقامة الشهادة لم يقبله القاضي، فسئل القاضي عن سبب ذلك، فقال: انكشف لي أنه مراء، فلم يسعني قبول قوله، فقيل له: وكيف؟ قال: كان يدخل إلي في كل يوم فأعد خطواته من حيث تقع عيني عليه من داري إلى مجلسي، فلما دعوته اليوم للشهادة جاء فعددت خطاه من ذلك المكان، فإذا هي قد زادت خطوتين أو ثلاثاً، فعلمت أنه متصنع، فلم أقبله.

[١٥٣] ـ قال أبو بكر الصولي: حدّثنا أبو العيناء قال: كان الأفشين يحسد أبا دلف ويبغضه للفروسية والشجاعة، فاحتال عليه حتى شهد عليه عنده بخيانة وقتل، فأحضر السيَّاف، فبلغ ابن أبي داود، فركب مع من حضر من عدوله، فدخل على الأفشين، ثم قال: إني رسول أمير المؤمنين إليك، وقد أمرك أن لا تحدث في القاسم بن عيسى حدثاً حتى تحمله إليه مسلِّماً، ثم التفت إلى العدول فقال: اشهدوا أني قد أديت الرسالة عن أمير المؤمنين إليه، فلم يقدم الأفشين عليه وسار ابن أبي داود إلى المعتصم، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد أديت عنك رسالة لم تقلها لي ما أعتد بعمل خير خير منها، وإني لأرجو لك الجنة بها، ثم أخبره الخبر، فصوب رأيه ووجه من أحضر القاسم، فأطلقه ووهب له، وعنف الأفشين فيما عزم عليه.

[١٥٤] ـ قال ابن قتيبة: شهد الفرزدق عند بعض القضاة، فقال: قد أجزنا شهادة أبي فراس وزيدوناً، فقيل له حين انصرف: واللّه ما أجاز شهادتك.

[١٥٥] ـ تقدم رجلان إلى أبي ضمضم القاضي، فادعى أحدهما على الآخر طنبوراً، وأنكر المدعى عليه، فقال المدعي: لي بينة، فجاء برجلين فشهدا، فقال المدعى عليه: أيها القاضي سلهما عن صناعتهما، فقال أحدهما: أنا نباذ، وقال الآخر: هو قواد. فالتفت القاضي إلى المدعى عليه، فقال له: أتريد على طنبور أعدل من هذين؟ قم فأعطه طنبوراً.

[١٥٦] ـ اختصم رجلان في شاة وكل واحد منهما قد أخذ بأذنها، فجاء رجل، فقالا: قد رضينا بحكمك، فقال: إن رضيتما بحكمي فليحلف كلّ واحدٍ منكما بالطّلاق أنّه لا يرجع فيما أحكم به، فحلفا. فقال: خلياها فخلياها، فأخذ بأذنها وساقها، فجعلا ينظران إليه ولا يقدران على كلامه.

[١٥٧] ـ **قال المؤلف**: بلغنا عن أبي عمر القاضي أنه قلد بعض الأعيان القضاء، فذكر عنده بأشياء لا تليق بالقضاء، فأراد صرفه فعوتب على ذلك، وقيل له: إن صح عندك ما رمي به فاعزله، فقال: ما صح عندي ولا بد من صرفه. قيل: ولِمَ ذاك؟ قال: أليس قد احتمل عرضه أن يقال فيه مثل هذا، وتشبهت صورته بصورة من إذا رمي بهذا يُصار أن يشك فيه، والقضاء أرق من هذا، فصرفه.

[١٥٨] ـ دخل أحمد بن أبي داود على الواثق، فقال له: كان عندي الساعة محمد بن عبد الملك الزيات، فذكرك بكل قبيح، فقال: الحمد للّه يا أمير المؤمنين الذي أحوجه إلى الكذب عن قول الصدق عليّ ورغبتي عنه.

[١٥٩] ـ تقدم رجل إلى بعض القضاة ليشهد في كتاب بمهر، فقال له القاضي: ما اسمك؟ قال: المسيب. فقال: اليوم لا.

* * *

في سياق المنقول
من ذلك عن علماء هذه الأمة وفقهائها

فمن المنقول عن الشَّعْبِيِّ:

[١٦٠] ـ قال مجاهد: دخل الشعبي الحمام فرأى داود الأزدي بلا مئزر، فغمض عينيه، فقال داود: متى عميت يا أبا عمرو؟ قال: منذ هتك اللَّه سترك[١].

[١٦١] ـ ودخل الشَّعْبِيُّ على عبدِ الملك بن مروان، قال: فجعل يلقمني بيده ويقول: يا شعبيّ؛ لحديثك أشهى إليَّ من الماء البارد، ثم قال: كم عطاءَكَ؟ قلت: ألفي درهم، فجعل يسار أهل الشام ويقول: لحن العراقي، ثم قال: كم عطاؤك؛ لأرد قولي فيغلطني، فقلت: ألفا درهم، فقال: ألم تقل ألفي درهم؟! فقلت: لحنتَ يا أميرَ المؤمنين فلحنتُ، لأني كرهتُ أن تكونَ راجلاً وأكونَ فارساً. فقال: صدقت واستحيا[٢].

[١٦٢] ـ من المنقول عن إبراهيم النخعي:

قال الشيخ: حدّثنا المبارك بن علي قال: حدّثنا جرير عن مغيرة قال: كان إبراهيم إذا طلبه إنسان لا يحب أن يلقاه، وخرجت الخادم فقالت: اطلبوه في المسجد[٣].

[١٦٣] ـ قال القرشي: حدّثني الأعمش عن إبراهيم قال: أتاه رجل فقال: إني ذكرت رجلاً بشيء، فبلغه عني، فكيف لي أن أعتذر إليه؟ قال: تقول: واللَّه إن اللَّه ليعلم ما قلت من ذلك من شيء.

[١٦٤] ـ وقال إبراهيم بن هاشم عن رجل قد سماه؛ قال: كنا إذا خرجنا من عند إبراهيم يقول: إن سئلتم عني، فقولوا: لا ندري أين هو، فإنكم إذا خرجتم لا تدرون أين أكون.

---

(١) الخبر في «أخبار الظِّراف والمتماجنين» (ص٦٢/ رقم: ٦١).
(٢) المصدر السابق (ص٦٢/ رقم: ٦٠).
(٣) المصدر السابق (ص٦٣/ رقم: ٦٦).

ومن المنقول عن الأعمش:

[١٦٥] ـ أخبرنا جرير قال: جئنا الأعمش يوماً، فوجدناه قاعداً في ناحية، فجلسنا في ناحية أخرى، وفي الموضع خليج من ماء المطر، فجاء رجل عليه سواد، فلما بصر بالأعمش وعليه فروة حقيرة قال: قم عبّرني هذا الخليج، وجذب بيده، فأقامه وركبه، وقال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ [الزخرف: ١٣] فمضى به الأعمش حتى توسط به الخليج ثم رمى به وقال: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٩]. ثم خرج وترك المسود يتخبط في الماء[١].

[١٦٦] ـ حدّثنا أبو بكر بن عياش قال: كان الأعمش إذا صلى الفجر جاءه القراء، فقرؤوا عليه، وكان أبو حصين إمامهم. فقال الأعمش يوماً: إن أبا حصين يتعلم القراءة منا لا يقوم من مجلسه كل يوم، حتى يفرغ ويتعلم بغير شكر، ثم قال لرجل ممن يقرأ عليه: إن أبا حصين يكثر أن يقرأ بالصافات في صلاة الفجر، فإذا كان غداً فاقرأ عليّ الصافات واْهمز الحوت، فلما كان من الغد قرأ عليه الرجل الصافات وهمز الحوت، ولم يأخذ عليه الأعمش، فلما كان بعد يومين أو ثلاثة قرأ أبو حصين بالصافات في الفجر، فلما بلغ الحوت همز، فلما فرغوا من صلاتهم ورجع الأعمش إلى مجلسه دخل عليه بعض إخوانه، فقال له الأعمش: يا أبا فلان؛ لو صليت معنا الفجر لعلمت ما لقي الحوت من هذا المحراب، فعلم أبو الحصين ما الذي فعل به، فأمر بالأعمش فسحب حتى أخرج من المسجد قال: وكان أبو حصين عظيم القدر في قومه من بني أسد.

[١٦٧] ـ أخبرنا أبو الحسن المدايني قال: جاء رجل إلى الأعمش، فقال: يا أبا محمد؛ اكتريتُ حماراً بنصف درهم فأتيتك لأسألك عن حديث كذا وكذا، فقال: اكترِ بالنصف وارجع.

ومن المنقول عن أبي حنيفة رضي اللّه عنه:

[١٦٨] ـ أخبرنا ابن المبارك قال: رأيت أبا حنيفة في طريق مكة وشُوي لهم فصيل ثمين فاشتهوا أن يأكلوه بخلٍّ فلم يجدوا شيئاً يصبون فيه الخلّ فتحيروا فرأيت أبا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السفرة، وسكب الخل على ذلك الموضع، فأكلوا الشواء بالخل، فقالوا له: تحسن كل شيء. فقال: عليكم بالشكر فإن هذا شيء ألهمته لكم فضلاً من اللّه عليكم.

---

(١) المصدر السابق (رقم: ٦٧)

[١٦٩] ـ حدّثنا محمد بن الحسن قال: دخل اللصوص على رجل، فأخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ثلاثاً أن لا يُعْلِمَ أحداً، قال: فأصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر أن يتكلم من أجل يمينه، فجاء الرجل يشاور أبا حنيفة، فقال له أبو حنيفة: أحضرني إمام حيك والمؤذن والمستورين منهم، فأحضره إياهم فقال لهم أبو حنيفة: هل تحبون أن يرد اللّه على هذا متاعه؟ قالوا: نعم. قال فاجمعوا كل ذي فجر عندكم وكل متهم فأدخلوهم في دار أو في مسجد، ثم أخرجوا واحداً واحداً، فقولوا هذا لصّك، فإن كان ليس بلصه قال: لا، وإن كان لصه فليسكت، فإذا سكت فاقبضوا عليه، ففعلوا ما أمرهم به أبو حنيفة، فرد اللّه عليه جميع ما سرق منه.

[١٧٠] ـ حدّثنا حسين الأشقر قال: كان بالكوفة رجل من الطالبيين من خيارهم، فمر بأبي حنيفة، فقال له: أين تريد؟ قال: أريد ابن أبي ليلى قال: فإذا رجعت أحب أن أراك، وكانوا يتبركون بدعائه، فمضى إلى ابن أبي ليلى ثلاثة أيام، وإذ رجع مرّ بأبي حنيفة، فدعاه وسلم عليه فقال له أبو حنيفة: ما جاء بك ثلاثة أيام إلى ابن أبي ليلى، فقال شيء كتمته الناس، فأملت أن يكون لي عنده فرج. فقال أبو حنيفة: قل ما هو. قال: إني رجل موسر وليس لي من الدنيا إلا ابن كلما زوجته امرأة طلقها، وإن اشتريت له جارية أعتقها قال: فما قال لك؟، قال: قال لي: ما عندي في هذا شيء، فقال أبو حنيفة: اقعد عندي حتى أخرجك من ذلك، فقرب إليه ما حضر عنده فتغدى عنده، ثم قال له: ادخل أنت وابنك إلى السوق فأي جارية أعجبته ونالت يدك ثمنها، فاشترها لنفسك لا تشترها له، ثم زوجها منه، فإن طلقها رجعت إليك، وإن أعتقها لم يجز عتقه، وإن ولدت ثبت نسبه إليك قال: وهذا جائز؟ قال: نعم هو كما قلت، فمر الرجل إلى ابن أبي ليلى فأخبره فقال: هو كما قال لك.

[١٧١] ـ وعن أبي يوسف قال: دعا المنصور أبا حنيفة، فقال الربيع حاجب المنصور، وكان يعادي أبا حنيفة: يا أمير المؤمنين، هذا أبو حنيفة يخالف جدك كان عبد اللّه بن عباس يقول إذا حلف على اليمين، ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين؛ جاز الاستثناء، وقال أبو حنيفة: لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً باليمين، فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين؛ إن الربيع يزعم أن ليس لك في رقاب جندك بيعة. قال: وكيف؟ قال: يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم، فضحك المنصور وقال: يا ربيع؛ لا تعرض لأبي حنيفة، فلما خرج أبو حنيفة قال

له الربيع: أردت أن تشيط بدمي. قال: لا. ولكنك أردت أن تشيط بدمي، فخلصتك وخلصت نفسي.

[١٧٢] ـ حدّثنا عبد الواحد بن غياث قال: كان أبو العباس الطوسي سيِّئ الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فأقبل عليه فقال: يا أبا حنيفة؛ إن أمير المؤمنين يدعو الرجل منا فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو؛ أيسعه أن يضرب عنقه؟ فقال: يا أبا العباس؛ أمير المؤمنين يأمر بالحق أو الباطل؟ قال: بالحق. قال: أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه، ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه: إن هذا أراد أن يوثقني فربطته(١).

[١٧٣] ـ حدّثنا علي بن عاصم قال: دخلت على أبي حنيفة وعنده حجّام يأخذ من شعره، فقال للحجام: تتبع مواضع البياض لا تزد. قال: ولِمَ؟ قال: لأنه يكثر، فتتبع مواضع السواد لعله يكثر(٢).

[١٧٤] ـ حدّثنا يحيى بن جعفر قال: سمعت أبا حنيفة يقول: احتجت إلى ماء بالبادية، فجاءني أعرابي ومعه قربة من ماء، فأبى أن يبيعنيها إلا بخمسة دراهم، فدفعت إليه خمسة دراهم وقبضت القربة، ثم قلت: يا أعرابي؛ ما رأيك في السويق؟ فقال: هات. فأعطيته سويقاً ملتوتاً بالزيت، فجعل يأكل حتى امتلأ، ثم عطش، فقال: شربة. قلت: بخمسة دراهم، فلم أنقصه من خمسة دراهم على قدح من ماء، فاستردت الخمسة وبقي معي الماء.

[١٧٥] ـ حدّثنا عبد المحسن بن علي قال: ذكر أبو حنيفة وفطنته، فقال: استودع رجل من الحجاج رجلاً بالكوفة وديعة، فحج ثم رجع، فطلب وديعته، فأنكر المستودع وجعل يحلف له، فانطلق الرجل إلى أبي حنيفة يشاوره، فقال: لا تُعْلِمْ أحداً بجحوده. قال: وكان المستودع يجالس أبا حنيفة، فخلا به وقال له: إن هؤلاء قد بعثوا يستشيروني في رجل يصلح للقضاء، فهل تنشط؟ فتمانع الرجل قليلاً، وأقبل أبو حنيفة يرغبه فانصرف على ذلك وهو طمع، ثم جاء صاحب الوديعة، فقال له أبو حنيفة: اذهب إليه وقل له: أحسبك نسيتني أودعتك في وقت كذا والعلامة كذا. قال: فذهب الرجل فقال له؛ فدفع إليه الوديعة، فلما رجع المستودع قال أبو حنيفة: إني نظرت في أمرك فأردت أن أرفع قدرك ولا أسميك حتى يحضر ما هو أجل من هذا.

---

(١) الخبر في «أخبار الظِّراف والمتماجنين» (ص٧٢/ رقم: ١٠٠).
(٢) المصدر السابق (رقم: ٩٩).

[١٧٦] ـ حدّثنا ابن الوليد قال: كان في جوار أبي حنيفة فتى يغشى مجلس أبي حنيفة ويكثر الجلوس عنده، فقال يوماً لأبي حنيفة: إني أريد التزويج إلى فلان من أهل الكوفة، وقد خطبت إليهم، وقد طلبوا مني من المهر فوق وسعي وطاقتي، وقد تعلقت نفسي بالتزويج، فقال أبو حنيفة: فاستخر اللّه تعالى وأعطهم ما يطلبونه منك، فأجابهم إلى ما طلبوه فلما عقدوا النكاح بينهم وبينه جاء إلى أبي حنيفة، فقال له: إني قد سألتهم أن يأخذوا مني البعض وليس في وسعي الكل، وقد أبوا أن يحملوها إلا بعد وفاء الدين كله، فماذا ترى؟ قال: احتل واقترض حتى تدخل بأهلك، فإن الأمر يكون أسهل عليك من تشدد هؤلاء القوم، ففعل ذلك وأقرضه أبو حنيفة فيمن أقرضه، فلما دخل بأهله وحملت إليه قال أبو حنيفة: ما عليك أن تظهر أنك تريد الخروج عن هذا البلد إلى موضع بعيد، وأنك تريد أن تسافر بأهلك معك، فاكترى الرجل جملين وجاء بهما وأظهر أنه يريد الخروج إلى خراسان في طلب المعاش، وأنه يريد حمل أهله معه، فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاؤوا إلى أبي حنيفة ليسألوه ويستعينوه في ذلك، فقال لهم أبو حنيفة: له أن يخرجها إلى حيث شاء. قالوا له: ما يمكننا أن ندعها تخرج. فقال لهم أبو حنيفة: فأرضوه بأن تردوا عليه ما أخذتموه منه، فأجابوه إلى ذلك. فقال أبو حنيفة للفتى: إن القوم قد سمحوا أن يردوا عليك ما أخذوه منك من المهر ويبرؤوك منه، فقال له الفتى: وأنا أريد منهم شيئاً آخر فوق ذلك، فقال أبو حنيفة: أيما أحب إليك أن ترضى بهذا الذي بذلوه لك، وإلا أقرت المرأة لرجل بدين لا يمكنك أن تحملها ولا تسافر بها حتى تقضي ما عليها من الدين، قال: فقال الرجل: اللّه اللّه لا يسمعون بهذا، فلا آخذ منهم شيئاً، فأجاب إلى الجلوس وأخذ ما بذلوه من المهر.

[١٧٧] ـ أخبرنا أحمد بن الدقاق قال: بلغني أن رجلاً من أصحاب أبي حنيفة أراد أن يتزوج، فقال أهل المرأة: نسأل عنه أبا حنيفة، فأوصاه أبو حنيفة، فقال: إذا دخلت عليَّ فضع يدك على ذكرك، ففعل ذلك، فلما سألوه عنه قال: قد رأيت في يده ما قيمته عشرة آلاف درهم.

[١٧٨] ـ وبلغنا أن رجلاً جاء إلى أبي حنيفة فشكا له أنه دفن مالاً في موضع ولا يذكر الموضع، فقال أبو حنيفة: ليس هذا فقهاً فأحتال لك فيه، ولكن اذهب فصلِّ الليلة إلى الغداة، فإنك ستذكره إن شاء اللّه تعالى، ففعل الرجل ذلك، فلم يمض إلّا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره فقال: قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى تذكر، فهلا أتممت ليلتك شكراً للّه عزّ وجلّ!!.

ومن المنقول عن ابن عون:

[١٧٩] ـ قال أبو بكر القرشي: حدّثنا ابن مثنى؛ أن ابن عون كان في جيش، فخرج رجل من المشركين، فدعا للبراز، فخرج إليه ابن عون وهو متلثم، فقتله ثم اندس فجهد الوالي أن يعرفه فلم يقدر عليه، فنادى مناديه: أعزم على من قتل هذا المشرك إلا جاءني، فجاءه ابن عون فقال: وما على الرجل أن يقول: أنا قتلته.

[١٨٠] ـ وعن يحيى بن يزيد قال: جاء شرطي يطلب رجلاً من مجلس ابن عون فقال: يا أبا عون؛ فلاناً رأيته؟ قال: ما في كل الأيام يأتينا، فذهب وتركه.

ومن المنقول عن هشام بن الكلبي:

[١٨١] ـ أخبرنا محمد بن أبي السري قال: قال لي هشام بن الكلبي: حفظت ما لم يحفظ أحد، ونسيت ما لم ينسه أحد كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن، فدخلت بيتاً وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن، فحفظته في ثلاثة أيام ونظرت يوماً في المرآة، فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة فأخذت ما فوق القبضة.

ومن المنقول عن عمارة بن حمزة:

[١٨٢] ـ بلغنا عن عمارة بن حمزة أنه دخل على المنصور، فجلس على مرتبته المرسومة له، فقام رجل فقال: مظلوم يا أمير المؤمنين. فقال: من ظلمك؟ قال: عمارة غصبني ضيعتي، فقال المنصور: قم يا عمارة فاجلس مع خصمك، قال: ما هو لي بخصم. قال: وكيف وهو يتظلم منك؟ قال: إن كانت الضيعة له لم أنازعه فيها، وإن كانت لي فقد تركتها له، ولا أقوم من مجلس شرفني أمير المؤمنين بالرفعة فيه، فأجلس في أدناه بسبب ضيعة.

ومن المنقول عن ابن المبارك رضي اللَّه عنه:

[١٨٣] ـ قال ابن حميد: عطس رجل عند ابن المبارك، فلم يحمد اللَّه، فقال له ابن المبارك: أي شيء يقول العاطس إذا عطس؟ قال: الحمد للَّه. قال: يرحمك اللَّه.

ومن المنقول عن أبي يوسف رحمه اللَّه تعالى:

[١٨٤] ـ حدّثنا علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه قال: حدّثني أبي قال: كان عند الرشيد جارية من جواريه وبحضرته عقد جوهر، فأخذ يقلبه ففقده فاتهمها، فسألها عن ذلك، فأنكرت فحلف بالطلاق والعتاق والحج لتصدقنه، فأقامت على الإنكار وهو متهم لها، وخاف أن يكون قد حنث في يمينه، فاستدعى

أبا يوسف وقص عليه القصة، فقال أبو يوسف: تخليني مع الجارية وخادم معنا حتى أخرج من يمينك، ففعل ذلك. فقال لها أبو يوسف: إذا سألك أمير المؤمنين عن العقد فأنكريه، فإذا أعاد عليك السؤال فقولي: قد أخذته، فإذا أعاد عليك الثالثة فانكري، وخرج. فقال للخادم: لا تقل لأمير المؤمنين ما جرى. وقال للرشيد: سلها يا أمير المؤمنين ثلاث دفعات متواليات عن العقد، فإنها تصدقك، فدخل الرشيد فسألها، فأنكرت أول مرة، وسألها الثانية، فقالت: نعم قد أخذته، فقال: أي شيء تقولين؟ فقالت: واللّه ما أخذته ولكن هكذا قال لي أبو يوسف، فخرج إليه فقال: ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، قد خرجت من يمينك لأنها أخبرتك أنها قد أخذته، وأخبرتك أنها لم تأخذه، فلا يخلو أن تكون صادقة في أحد القولين، وقد خرجت أنت من يمينك، فسرَّ ووصل أبا يوسف، فلما كان بعد مدة وجد العقد.

[١٨٥] ـ وبلغنا أن الرشيد قال لأبي يوسف: ما تقول في الفالوذج[١] واللوزينج[٢] أيهما أطيب؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لا أقضي بين غائبين عني فأمر بإحضارهما، فجعل أبو يوسف يأكل من هذا لقمة ومن ذاك أخرى حتى نصَّف جاميهما[٣]، ثم قال: يا أمير المؤمنين؛ ما رأيت خصمين أجدل منهما كلما أردت أن أسجل لأحدهما أدلى الآخر بحجة[٤].

ومن المنقول عن يزيد بن هارون:

[١٨٦] ـ قال أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان: قال لي يزيد بن هارون: أنت أثقل عندي من نصف رحى البزر. قلت: يا أبا خالد؛ لِمَ لَمْ تقل من الرحى كله؟ فقال: إنه إذا كان صحيحاً تدحرج، وإذا كان نصفاً لم يرفع، إلّا بجهد.

ومن المنقول عن الإمام الشافعي رضي اللّه تعالى عنه:

[١٨٧] ـ حدّثنا الحسن بن الصياح قال: لما أن قدم الشافعي إلى بغداد، وأوفق عقد الرشيد للأمين والمأمون على العهد. قال: فبكر الناس ليهنوا الرشيد، فجلسوا في دار العامة ينتظرون الإذن، فجعل الناس يقولون: كيف ندعو لهما فإنا

---

(١) نوع من أنواع الطعام الحُلو.
(٢) كلمة فارسية معرّبة؛ من الحلويات، وهو ما يعرف في أيامنا بهريسة اللوز.
(٣) جاميهما: مثنى جام؛ وهو الإناء.
(٤) الخبر في «أخبار الظِّراف والمتماجنين» (ص٧٩/ رقم: ١٢٧).

إذا فعلنا ذلك كان دعاء على الخليفة، وإن لم ندعُ لهما كان تقصيراً قال: فدخل الشافعي، فجلس فقيل له في ذلك، فقال: اللَّه الموفق، فلما أذن دخل الناس، فكان أول متكلم الشافعي فقال:

لا قَصّرا عنها ولا بَلَغاهَا   حتّى يطولَ على يديْك طُوالُها

[١٨٨] ـ قال عبد العزيز بن أبي رجاء: سمعت الربيع يقول، مرض الشافعي، فدخلت عليه، فقلت: يا أبا عبد اللَّه؛ قوّى اللَّه ضعفك. فقال: يا أبا محمد؛ واللَّه لو قوّى اللَّه ضعفي على قوتي أهلكني. قلت: يا أبا عبد اللَّه؛ ما أردت إلَّا الخير، فقال: لو دعوت اللَّه عليَّ لعلمت أنك لم تُرِدْ إلَّا الخير.

قال المؤلف: من فقه الشافعي رضي اللَّه عنه أنه أخذ بظاهر اللفظ، فعلم أنه إذا نوى الضعف حصل الأذى. وقد جاءني حديث صحيح عن النبي ﷺ أنه علَّم رجلاً دعاء فقال: قل: «**اللَّهم قوِّ في رِضَاكَ ضَعْفي**»[١]، إلَّا أن معناه قوِّ ما ضعف، وفي هذا نوع تجوز، والربيع تجوز، والشافعي قصد الحقيقة.

[١٨٩] ـ حدّثنا الربيع قال: رأيت الشافعي وقد جاءه رجل يسأله عن مسألة، فقال: من أهل صنعاء أنت؟ قال: نعم. قال: فلعلك حداد؟ قال: نعم.

[١٩٠] ـ حدّثنا حرملة بن يحيى قال: سمعت الشافعي وقد سأله رجل فقال: حلفت بالطلاق إن أكلت هذه الثمرة أو رميت بها. قال: تأكل نصفها وترمي نصفها.

قال المؤلف: وهذا المنقول عن الشافعي هو قول أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه. وقد ذكر أصحابنا من جنس هذه المسألة كثيراً لا يكاد يتنبه له في الفتوى إلَّا الفطن، فتذكر منه ههنا مسائل لأن ذكر مثل هذا ينبه الفطن.

فمنها: إذا قال لزوجته وهي في ماء: إن أقمت في هذا الماء فأنت طالق، وإن خرجت منه فأنت طالق، فإننا ننظر فإن كان الماء جارياً ولا نية له لم تطلق سواء خرجت أو أقامت، وإن كان راكداً فالحيلة أن تحمل في الحال مكرهة. فإن كانت على سلم فقال لها: إن صعدت فيه أو نزلت أو أقمت أو رميت نفسك أو حطك أحد فأنت طالق، فإنها تنتقل إلى سلم آخر.

فإن أكل رطباً كثيراً. ثم قال: أنت طالق إن لم تخبريني بعدد ما أكلت، فخلاصها أن تعد من واحد إلى عدد يتحقق أن ما أكله قد دخل فيه، فإن أكل رطباً، فقال لها: أنت طالق إن لم تميزي نوى ما أكلت من نوى ما أكلتِ، وقد

---

(١) لم أجده فيما بين يديَّ من مصادر، واللَّه أعلم.

اختلط، فإنها تفرد كل نواة على حدة، فإن قال لها: أنت طالق إن لم تصدقيني هل سرقت مني أم لا، فإنها إذا قالت سرقت ما سرقت لم تطلق، فإن كان له ثلاث زوجات، فاشترى لهن خمارين، فاختصمن عليهما، فقال: أنتن طوالق إن لم تختمر كل واحدة منكن عشرين يوماً في هذا الشهر، فالوجه أن تختمر الكبرى والوسطى بالخمارين عشرة أيام، ثم تدفع الكبرى الخمار إلى الصغرى ويبقى خمار الوسطى إلى تمام عشرين يوماً، ثم تأخذ الكبرى خمار الوسطى إلى تمام الشهر.

مسألة: إذا سافر بالنسوة سفراً قدره ثلاثة فراسخ، ومعه بغلان، فاختصمن على الركوب، فحلف بالطلاق لتركبن كل واحدة منكن فرسخين، فتركب الكبرى والوسطى فرسخاً ثم تنزل الوسطى وتركب الكبرى مكانها، وتركب الصغرى مكان الوسطى إلى تمام المسافة وتركب الوسطى مكان الكبرى عند تمام الفرسخين، واللّه أعلم.

مسألة: إذا حمل إلى بيته ثلاثين قارورة عشرة ملأى وعشرة في كل واحدة نصفها وعشرة فرغ، ثم قال: أنتن طوالق إن لم أقسمها بينكن بالسوية من غير أن أستعين على القسمة بميزان ولا مكيال، فإنه يملأ خمساً من المنصفات بالخمس الآخر، ثم يدفع إلى كل واحدة خمسة مملوءة وخمسة فرغاً.

فإن رأى مع زوجته إناء فيه ماء، فقال: اسقنيه فامتنعت، فحلف بالطلاق: لا شربت هذا الماء، ولا أرقتِه ولا تركتِه في الإناء ولا فعلتِ غير ذلك، فالحيلة أن تطرح في الإناء ثوباً يشرب الماء، ثم يجفف في الشمس.

فإن حلف رجل أن امرأته بعثت إليه: قد حرمت عليك وتزوجت بغيرك، وأوجبت عليك أن تبعث لي نفقتي ونفقة زوجي، فهذه امرأة زوَّجها أبوها من مملوكه، ثم بعث بالمملوك في تجارة، فمات الأب، فإن البنت ترثه وينفسخ نكاح العبد، وتقضي العدة، وتتزوج برجل، فتبعث إليه: أنفذ لي المال الذي معك فهو لي.

فإن كان له زوجتان إحداهما في الغرفة، والأخرى في الدار، فصعد في الدرجة فقالت كل واحدة: إليَّ، فحلف لا صعدت إليك ولا نزلت إليك ولا أقمت مكاني ساعتي هذه، فإن التي في الدار تصعد والتي في الغرفة تنزل، وله أن يصعد أو ينزل إلى أيتهما شاء.

فإن حلف على زوجته: لا أُدخل بيتك بارِيَّةً ولا وطئتك إلا على بارِيَّةٍ، فوطئها في البيت ولم يحنث، فوَجْهُهُ: أن يحمل إلى بيته قصباً وينسج له الصانع بارية في البيت ويطأها عليه.

فإن حلف لا بد أن يطأ زوجته نهار يوم ولا يغتسل فيه من جنابة مع قدرته على استعمال الماء، ولا تفوته الصلاة في الجماعة مع الإمام فإنه يصلي مع الإمام الفجر والظهر والعصر، ومن ثَمَّ يطأ بعد العصر فإذا غربت الشمس اغتسل وصلى مع الإمام.

فإن حلف أني رأيت رجلاً يصلي إماماً بنفسين وهو صائم، فالتفت عن يمينه، فنظر إلى قوم يتحدثون، فحرمت عليه امرأته وبطل صومه، ووجب جلد المأمومين ونقض الجامع، فهذا رجل تزوج بامرأة قد غاب زوجها، وشهد المأمومان بوفاته وأنه وصى بداره أن تجعل مسجداً وكان مقيماً صائماً، فالتفت فرأى زوج المرأة قد قدم والناس يقولون خرج يوم الصوم وجاء يوم العيد، وهو لم يعلم بأن هلال شوال قد رُئي، ورأى إلى جانبه ماء وعلى ثوبه نجاسة، فإن المرأة تحرم عليه بقدوم زوجها وصومه يبطل بكون اليوم عيداً، وصلاته تبطل برؤية الماء، ويجلد الرجلان لكونهما شاهدي زور، ويجب نقض المسجد لأن الوصية ما صحت والدار لمالكها.

فإن كان عنده تمر وتين وزبيب ووزن الجميع عشرون رطلاً فحلف أنه باع التمر كل رطل بنصف درهم، والتين كل رطل بدرهمين، والزبيب كل رطل بثلاثة دراهم، فجاء ثمن الجميع عشرين درهماً، فإنه قد كان التمر أربع عشرة رطلاً، والتين خمسة أرطال، والزبيب رطل واحد.

ومن المنقول عن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي:

[١٩١] ـ قال محمد بن يحيى النديم: حدّثنا المبرد قال: سأل المأمون يحيى بن المبارك عن شيء فقال: لا، وجعلني اللّه فداك يا أمير المؤمنين. فقال: للّه درك ما وُضعت واو قط موضعاً أحسن منها في هذا الموضع ووصله وجمله.

ومن المنقول عن أبي العيناء:

[١٩٢] ـ أخبرنا محمد بن يحيى قال: حدّثنا أبو العيناء قال: قال المتوكل: قد أردتك لمجالستي، فقلت: لا أطيق ذلك ولا أقول هذا جهلاً بما لي في هذا المجلس من الشرف، ولكنني محجوب والمحجوب تختلف إشارته، ويخفى عليه الإيماء، ويجوز أن يتكلم بكلام غضبان، ووجهك راض، وبكلام راض ووجهك غضبان، ومتى لم أميز هذين هلكت. قال: صدقت، ولكن تلزمنا. فقلت: لزوم الفرض الواجب، فوصلني بعشرة آلاف درهم.

[١٩٣] ـ قال: وروي أن المتوكل قال: أشتهي أن أنادم أبا العيناء لولا أنه

ضرير. فقال أبو العيناء: إن عفاني أمير المؤمنين من رؤية الهلال ونقش الخواتم، فإني أصلح.

[١٩٤] ـ وبلغنا عن أبي العيناء أنه شكا تأخر رزقه إلى عبد اللّه بن سليمان، فقال: ألم يكن كتبنا لك إلى فلان فما فعل في أمرك؟ قال: جرني على شوك المطل. قال: أنت اخترته. قال: وما عليَّ وقد اختار موسى قومه سبعين رجلاً فما كان فيهم رشيد فأخذتهم الرجفة، واختار رسول اللّه ﷺ ابن أبي سرح كاتباً فلحق بالكفار مرتداً، واختار علي أبا موسى، فحكم عليه.

[١٩٥] ـ شكا بعض الوزراء كثرة الأشغال، فقال أبو العيناء: لا أراني اللّه يوم فراغك.

وقيل لأبي العيناء: بقي من يلقي؟ قال: نعم في البئر.

وسُئل أبو العيناء عن حماد بن زيد بن درهم، وعن حماد بن سلمة بن دينار فقال: بينهما في القدر ما بين أبوابهما في الصرف.

ومن المنقول عن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري:

[١٩٦] ـ حدّثنا غلام لابن المزوق البغدادي قال: كان مولاي مكرماً لي، فاشترى جارية وزوجنيها فأحببتها حباً شديداً، وأبغضتني بغضاً شديداً عظيماً، وكانت تنافرني دائماً وأَحتملها إلى أن أضجرتني يوماً، فقلت لها: أنتِ طالق ثلاثاً إن خاطبتيني بشيء إلَّا خاطبتك بمثله، فقد أفسدك احتمالي لك، فقالت لي في الحال: أنت طالق ثلاثاً بتاتاً قال: فأبلست ولم أدرِ ما أجيبها به خوفاً أن أقول لها مثل ما قالت؛ فتصير بذلك طالقاً مني، فأرشدت إلى أبي جعفر الطبري، فأخبرته بما جرى، فقال: أقم معها بعد أن تقول لها أنت طالق ثلاثاً إن أنا طلقتك، فتكون قد خاطبتها به فوفيت بيمينك ولم تطلقها ولا تعاود الأيمان.

ومن المنقول عن علي بن عيسى الربعي:

[١٩٧] ـ أنه كان يمشي على دجلة، فرأى الرضي والمرتضى في سفينة ومعهما عثمان بن جني، فقال: من أعجب أحوال الشريفين أن يكون عثمان جالساً بينهما وعلي يمشي على الشط بعيداً عنهما.

ومن المنقول عن أبي الوفاء بن عقيل رضي اللّه عنه:

[١٩٨] ـ حدّثني أزهر بن عبد الوهاب قال: جاء رجل إلى ابن عقيل فقال: إني كلما أنغمس في النهر غمستين وثلاثاً لا أتيقن أنه قد غمسني الماء، ولا أني قد تطهرت فكيف أصنع؟ قال له: لا تصل، فقيل له: كيف قلت هذا؟ قال: لأن النبي

ﷺ قال: **«رُفِعَ القلمُ عَنْ ثلاثٍ عَنِ الصبيِّ حتّى يبلغَ وعنِ النّائم حتى ينتبه وعنِ المجنون حتى يفيقَ»**[1] ومن ينغمس في النهر مرة أو مرتين أو ثلاثاً ويظن أنه ما اغتسل؛ فهو مجنون.

[١٩٩] ـ قال: وحدّثني أبو حكيم إبراهيم بن دينار، عن ابن عقيل قال: بلغني أن السلطان محمد بن علي عزم على القدوم إلى بغداد، فخرجت متطيلساً، فجلست على تل في طريقه، فلما وصل سأل عني، فقيل: هذا ابن عقيل، فانحرف فنزل وجلس معي، وقال: كنت أحب أن ألقاك وسألني عن مسائل في الطهارة، ثم قال لخادمه: أي شيء معك؟ فأخرج خمسين ديناراً، فقال: تقبل هذه. فقلت: لست بمحتاج، فإن أمير المؤمنين لا يحوجني إلى أحد ولا أقبلها، فلما انصرفت إلى المنزل إذا خادم قد جاءني بمال من عند الخليفة وشكر فعلي. قال: وأنا علمت أن ثم من هو عين للخليفة يخبره بما جرى.

[٢٠٠] ـ وبلغني عن ابن عقيل أنه تعوَّق يوماً عن الجمعة فجاؤوه يستوحشون له، فقال: أنا صليت عند الصناديق. واحتبس يوماً فاستوحشوا له، فقال: أنا صليت عند المنارة وإنما عنى صناديق بيته ومنارة بيته.

ومن المنقول عن بعض الفقهاء:

[٢٠١] ـ أن رجلاً قال له إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر أغتسل أتوجه إلى القبلة أم إلى غيرها. قال: توجه إلى ثيابك التي نزعتها.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٠٠ ـ ١٠١، ١٤٤) وأبو داود (٤٣٩٨) والنسائي في «المجتبى» (٦/ ١٥٦) وفي «الكبرى» (٣/ ٣٦٠/ ٥٦٢٥) وابن ماجه (٢٠٤١) وغيرهم، وهو حديث صحيح؛ صحّحه المحدّث أحمد محمد شاكر رحمه الله في تعليقه على «الرسالة» للإمام الشافعي رحمه الله (ص٥٨)، وصحّحه العلامة الألباني رحمه الله في «إرواء الغليل» (رقم: ٢٩٧).

في سياق المنقول
من ذلك عن العُبَّاد والزُّهاد

[٢٠٢] ـ حدّثنا جعفر الخلدي قال: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: اعتللت بطرسوس علة الذرب[١]، فدخل عليّ هؤلاء القراء يعودوني، فجلسوا فأطالوا فآذاني جلوسهم، ثم قالوا: إن رأيت أن تدعو اللّه، فمددت يدي فقلت: اللهم علمنا أدب العيادة.

[٢٠٣] ـ حدّثنا أبو الحسين محمد بن عبد اللّه بن جعفر الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: قيل لي: إن ذا النون يعرف اسم اللّه الأعظم، فدخلت مصر وخدمته سنة، ثم قلت: يا أستاذي؛ إني قد خدمتك وقد وجب حقي عليك، وقيل لي: إنك تعرف اسم اللّه الأعظم، وقد عرفتني ولا تجد له موضعاً مثلي، فأحب أن تعلّمني إياه قال: فسكت عني ذو النون ولم يجبني وكأنه أومأ إليَّ أنه يخبرني قال: فتركني بعد ذلك ستة أشهر، ثم أخرج لي من بيته طبقاً ومكبة مشدوداً في منديل، وكان ذو النون يسكن الجيزة، فقال: تعرف فلاناً صديقنا من الفسطاط؟ قلت: نعم. قال: فأحب أن تؤدي هذا إليه. قال: فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشي طول الطريق، وأنا متفكر فيه؛ مثل ذي النون يوجه إلى فلان بهدية ترى أي شيء هي؟، فلم أصبر إلى أن بلغت الجسر، فحللت المنديل ورفعت المكبة، فإذا فأرة قفزت من الطبق ومرت. قال: فاغتظت غيظاً شديداً وقلت: ذو النون يسخر بي ويوجه مع مثلي فأرة، فرجعت على ذلك الغيظ، فلما أن رآني عرف مما في وجهي، فقال: يا أحمق، إنما جربناك، ائتمنتك على فأرة، فخنتني أفأأتمنك على اسم اللّه الأعظم؟، مُرَّ عني، فلا أراك.

* * *

(١) داء يعرض للمعدة؛ فلا تهضم الطعام، فيفسد فيها، ثم لا تمسكه المعدة.

في سياق المنقول
من ذلك عن العرب وعلماء العربية

[٢٠٤] ـ حدّثنا علي بن المغيرة قال: لما حضرت نزار بن معد الوفاة قُسم ماله بين بنيه وهم أربعة: مضر وربيعة وإياد وأنمار، فقال: يا بَنِيّ، هذه القبة الحمراء وهي من أدم وما أشبهها من المال لمضر، فسمي مضر الحمراء. وهذا الخباء الأسود وما أشبه من المال لربيعة فأخذ خيلاً دهماً فسمي ربيعة الفرس. وهذه الخادم وما أشبهها من المال لإياد، وكانت الخادم شمطاء، فأخذ إياد البلق. وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه، فأخذ أنمار ما صار له.

وقال لهم: إن أشكل الأمر عليكم في ذلك واختلفتم في القسمة، فعليكم بالأفعى الجرهمي، فاختلفوا فتوجهوا إلى الأفعى، فبينما هم يسيرون إذ رأى مضر كَلَأً قد رعي، فقال: إن البعير الذي رعى هذا لأعور، فقال ربيعة: وهو أزور، وقال إياد: وهو أبتر، وقال أنمار: وهو شرود، فلم يسيروا إلَّا قليلًا حتى لقيهم رجل توضع به راحلته، فسألهم عن البعير فقال مضر: هو أعور؟ قال: نعم، قال ربيعة: هو أزور؟ قال: نعم. قال إياد: هو أبتر؟ قال: نعم. قال أنمار: هو شرود؟ قال: نعم. هذه واللّٰه صفة بعيري دلوني عليه، فحلفوا له أنهم ما رأوه، فلزمهم وقال: كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته، فساروا حتى قدموا على نجران، فنزلوا بالأفعى الجرهمي، فنادى صاحب البعير: أصحاب بعيري وصفوا لي صفته، ثم قالوا: لم نره. فقال الجرهمي: كيف وصفتموه ولم تروه، فقال مضر: رأيته يرعى جانباً ويدع جانباً، فعرفت أنه أعور. وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر، فعرفت أنه أفسدها بشدة وطأته لازوراره. وقال إياد: عرفت بتره باجتماع بعره ولو كان ذيالًا لمصع بعره به، وقال أنمار: عرفت أنه شرود أنه كان يرعى في المكان الملتف نبته، ثم يجوز إلى مكان آخر أرق منه وأخبث. فقال الشيخ: ليسوا بأصحاب بعيرك، فاطلبه. ثم سألهم من هم؟ فأخبروه فرحب بهم وقال: تحتاجون إليَّ وأنتم كما أرى؟ فدعا لهم بطعام فأكل وأكلوا وشرب شربوا، فقال مضر: لم أر كاليوم خمراً أجود لولا أنها على قبر. وقال ربيعة: لم أر كاليوم لحماً أطيب لولا أنه ربي بلبن كلبة. وقال إياد: لم أر كاليوم

رجلًا سرياً لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى له. وقال أنمار: لم أر كاليوم كلاماً أنفع من حاجتنا. فلما سمع صاحبهم كلامهم، فقال: ما هؤلاء إلّا شياطين، فسأل أمه فأخبرته أنها كانت تحت ملك ولا يولد له ولد، فكرهت أن يذهب الملك فأمكنت رجلًا نزل بهم من نفسها، فوطئها، وقال للقهرمان: الخمر التي شربناها ما أمرها؟ قال: من حبة غرستها على قبر أبيك وسأل الراعي عن اللحم ما أمره؟ فقال: شاة أرضعناها من لبن كلبة ولم يكن ولد في الغنم شيء غيرها. فأتاهم فقال: قصوا قصتكم، فقصوا عليه ما وصى به أبوهم وما كان من اختلافهم، فقال: ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر فصارت له الدنانير والإبل وهن حمر فسميت مضر الحمراء، وما أشبه الخباء الأسود من دابة ومال فهو لربيعة فصارت له الخيل وهي دهم فسمي ربيعة الفرس، وما أشبه الخادم وكانت شمطاء من مال فيه بلق، فهو لإياد، فصارت له الماشية البلق من الخيل والبقر. وقضى لأنمار بالدراهم والأرض فساروا من عنده على ذلك.

قال مؤلف الكتاب: واعلم أن العرب تضرب المثل للذكي بالدهاء، فيقولون: أدهى من قيس بن زهير وهو سيد عبس، وكان شديد الذكاء، ومن كلامه: أربعة لا يطاقون: عبد ملك، ونذل شبع، وأمة ورثت، وقبيحة تزوجت.

[٢٠٥] ـ عن الشعبي قال: خرج عمرو بن معديكرب يوماً حتى انتهى إلى حي، فإذا بفرس مشدودة ورمح مركوز، وإذا صاحبه في وَهْدَة[١] يقضي حاجته، فقلت له: خذ حذرك فإني قاتلك. قال: ومن أنت؟ قلت: عمرو بن معديكرب. قال: يا أبا ثور ما أنصفتني أنت على ظهر فرسك وأنا في بئر، فأعطني عهداً أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي وآخذ حذري، فأعطيته عهداً أن لا أقتله حتى يركب فرسه ويأخذ حذره، فخرج من الموضع الذي كان فيه حتى احتبى بسيفه وجلس، فقلت له: ما هذا؟ قال: ما أنا براكب فرسي ولا مقاتلك، فإن كنت نكثت عهداً، فأنت أعلم، فتركته ومضيت، فهذا أحيل من رأيت[٢].

[٢٠٦] ـ عن أبي حاتم الأصمعي قال: حدّثنا شيخ من بني العنبر قال: أسرت بنو شيبان رجلاً من بني العنبر، فقال لهم: أرسلوا إلى أهلي ليفدوني. قالوا: ولا تكلم الرسول إلّا بين أيدينا، فجاؤوه برسول، فقال له: ائت قومي فقل لهم: إن الشجر قد أورق، وإن النساء قد اشتكت، ثم قال له: أتعقل؟ قال: نعم

---

(١) الوهدة: الحفرة، أو الأرض المنخفضة.

(٢) الخبر في «أخبار الظِّراف والمتماجنين» (ص١١٣/ رقم: ٢٣١).

أعقل. قال: فما هذا وأشار بيده؟ قال: هذا الليل. قال: أراك تعقل انطلق، فقل لأهلي عرُّوا جملي الأصهب، واركبوا ناقتي الحمراء، وسلوا حارثة عن أمري. فأتاهم الرسول فأرسلوا إلى حارثة فقص عليهم الرسول القصة، فلما خلا معهم قال: أما قوله: إن الشجر قد أورق، فإنه يريد أن القوم قد تسلحوا. وقوله: إن النساء قد اشتكت، فإنه يريد أنها قد اتخذت الشكل للغزو وهي الأسقية. وقوله: هذا الليل؛ يريد يأتوكم مثل الليل أو في الليل. وقوله: عروا جملي الأصهب؛ يريد ارتحلوا عن الصمان. وقوله: اركبوا ناقتي؛ يريد اركبوا الدهناء، فلما قال لهم ذلك تحملوا من مكانهم، فأتاهم القوم، فلم يجدوا منهم أحداً[١].

[٢٠٧] ـ **قال مؤلف الكتاب**: وبلغني عن ابن الأعرابي قال: أسرت طيِّء رجلاً شاباً من العرب، فقدم عليه أبوه وعمه ليفدياه، فاشتطوا عليهما في الفداء، فأعطيا به عطية لم يرضوها، فقال أبوه: لا والذي جعل الفرقدين يصبحان ويمسيان على جبل طيء لا أزيدكم على ما أعطيتكم، ثم انصرفا، فقال الأب للعم: لقد ألقيت إلى ابني كلمة لئن كان فيه خير لينجُوَنَّ، فلما لبث أن جاء وطرد قطعة من إبلهم، فذهب بها كأنه قال له: الزم الفرقدين على جبل طيء فإنهما طالعان عليه ولا يغيبان عنه[٢].

[٢٠٨] ـ حدّثنا ابن الأعرابي عن بعض مشايخه: أن رجلاً من بني تميم كانت له ابنة جميلة وكان غيوراً، فابتنى لها في داره صومعة، وجعلها فيها، وزوجها من أكفائه من بني عمها، وإن فتى من كنانة مرّ بالصومعة، فنظر إليها ونظرت إليه، فاشتد وجد كل واحد منهما بصاحبه ولم يمكنه الوصول إليها، وأنه افتعل بيتاً من الشِّعْرِ ودعا غلاماً من الحي، فعلمه البيت وقال له: ادخل هذه الدار وأنشد كأنك لاعب، ولا ترفع رأسك ولا تصوبه ولا تومئ في ذلك إلى أحد، ففعل الغلام ما أمر به، وكان زوج الجارية قد أزمع على سفر بعد يوم أو يومين، فأنشد الغلام يقول:

لَحَى اللّه مَنْ يُلحي على الحبِّ أَهْلَه ... وَمَنْ يمنعُ النفس اللجوجَ هَواهَا

قال: فسمعت الجارية ففهمت، فقالت:

ألا إنّما بين التفرُّق ليلة ... وتُعْطى نُفُوس العاشقينَ مُنَاهَا

---

(١) المصدر السابق (رقم: ٢٤٢).

(٢) المصدر السابق (ص١١٦/ رقم: ٢٤٣).

قال: فسمعت الأم ففهمت، فأنشأت تقول:

ألا إنَّما تَعنون ناقة رَحْلِكُم فَمَن كانَ ذا نُوقٍ لديه رَعَاهَا

قال: فسمع الأب، فأنشأ يقول:

فَإنَّا سَنَرْعاها ونُوثِقُ قَيْدَها ونَطْرُدُ عَنْها الوَحْشَ حِينَ أَتاها

فسمع الزَّوج ففهم، فأنشأ يقول:

سَمِعتُ الَّذي قُلْتم فها أنا مُطَلِّقٌ فَتَاتُكُمْ مَهْجُورةٌ لِبَلاَهَا

قال: فطلقها الزوج وخطبها ذلك الفتى وأرغبهم في المهر فتزوجها.

[٢٠٩] ـ حدّثنا العتبي قال: اشتد الحر عندنا بالبصرة ليلة، وركدت الريح، فقيل لأعرابي: كيف هواؤكم البارحة؟ قال: أمسك، كأنه يستمع.

[٢١٠] ـ حدّثنا الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: وقف أعرابي على قوم فقال: رحمكم اللّه إني من أبناء سبيل وإفضاء سفر، فرحم اللّه امرأً أعطى من سعة وواسى من كفاف، فأعطاه رجل درهماً، فقال له: آجرك اللّه من غير أن يبتليك.

[٢١١] ـ عن ابن الأعرابي قال: قال رجل من الأعراب لأخيه: أتشرب الخازر من اللبن ولا تتنحنح؟ فقال: نعم، فتجاعلا جعلاً، فلما شربه آذاه، فقال: كبش أملح ونبت أقبح وأنا فيه أسجح، فقال أخوه: قد تنحنحت، فقال: من تنحنح فلا أفلح[١].

[٢١٢] ـ حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال: قدم أعرابي من أهل البادية على رجل من أهل الحَضر قال: فأنزله وكان عنده دجاج كثير وله امرأة وابنان وابنتان منها، قال: فقلت لامرأتي: اشوي لي دجاجة وقدميها لنا نتغدى بها، فلما حضر الغداء جلسنا جميعاً أنا وامرأتي وابناي وابنتاي والأعرابي، قال: فدفعنا إليه الدجاجة، فقلنا: اقسمها بيننا نريد بذلك أن نضحك منه قال: لا أحسن القسمة، فإن رضيتم بقسمتي قسمت بينكم قلنا: فإنا نرضى. قال: فأخذ رأس الدجاجة، فقطعه، ثم ناولنيه، وقال: الرأس للرئيس، ثم قطع الجناحين قال: والجناحان للابنين، ثم قطع الساقين فقال: والساقان للابنتين، ثم قطع الزِّمِكَّى وقال: العجُز للعجوز، ثم قال: الزور للزائر، فأخذ الدجاجة بأسرها، فلما كان من الغد قلت لامرأتي: اشوي لنا خمس دجاجات، فلما حضر الغداء قلنا: اقسم بيننا قال: أظنكم وجدتم من قسمتي أمس. قلنا: لا. لم نجد، فاقسم بيننا، فقال: شفعاً أو وتراً قلنا: وتراً. قال: نعم. أنت وامرأتك ودجاجة ثلاثة ورمى بدجاجة، ثم قال:

---

(١) انظر «نثر الدر» (٤/ ١٢٢) و«أخبار الظِّراف» (ص١١٢/ رقم: ٢٢٩).

وابناك ودجاجة ثلاثة ورمى الثانية، ثم قال: وابنتاك ودجاجة ثلاثة، ثم قال: وأنا ودجاجتان ثلاثة، فأخذ الدجاجتين، فرآنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه قال: ما تنظرون لعلكم كرهتم قسمتي. الوتر ما تجيء إلا هكذا، قلنا: فاقسمها شفعاً. قال: فقبضهن إليه ثم قال: أنت وابناك ودجاجة أربعة، ورمى إليه بدجاجة، والعجوز وابنتاها ودجاجة أربعة ورمى إليهن بدجاجة، ثم قال: وأنا وثلاث دجاجات أربعة وضم إليه ثلاث دجاجات، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: الحمد للَّه أنت فهمتها لي[١].

[٢١٣] ـ قال: قيل لأعرابي: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وأرى كل شيء مني في إدبار وإدباري في إقبال.

[٢١٤] ـ حدّثني مهدي بن سابق قال: أقبل أعرابي يريد رجلاً وبين يدي الرجل طبق تين، فلما أبصر الأعرابي غطى التين بكسائه، والأعرابي يلاحظه، فجلس بين يديه، فقال له الرجل: هل تحسن من القرآن شيئاً؟ قال: نعم. قال: فاقرأ. فقرأ: ﴿وَٱلزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ١، ٢]. قال الرجل: فأين التين؟ قال: التين تحت كسائك[٢].

[٢١٥] ـ حدّثنا عيسى بن عمر قال: ولي أعرابي البحرين، فجمع يهودها وقال: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ قالوا: نحن قتلناه وصلبناه. قال: فقال الأعرابي: لا جرم، فهل أديتم ديته؟ فقالوا: لا. فقال: واللَّه لا تخرجون من عندي حتى تؤدوا إليَّ ديته، فما خرجوا حتى دفعوها له[٣].

[٢١٦] ـ حدّثنا ابن قتيبة قال: كان أبو العاج على جوالي البصرة، فأتي برجل من النصارى، فقال: ما اسمك؟ فقال: بندار شهر بندار فقال: أنتم ثلاثة وجزية واحدة. لا واللَّه العظيم، فأخذ منه ثلاث جزى. قال: وولي تبالة، فصعد المنبر فما حمد اللَّه ولا أثنى عليه حتى قال: إن الأمير ولاني بلدكم وإني واللَّه ما أعرف من الحق موضع سَوْطي هذا، ولن أوتى بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضرباً، فكانوا يتعاطون الحق بينهم ولا يرتفعون إليه[٤].

[٢١٧] ـ قال: روي أن أعرابياً جاء إلى عمرو بن عبيد فقال له: إن ناقتي سرقت، فادع اللَّه أن يردها عليَّ فقال: اللهم إن ناقة هذا الفقير سرقت ولم ترد

---

(١) الخبر في «أخبار الظِّراف والمتماجنين» (ص١١٢/ رقم: ٢٣٠). و«نهاية الأرب» (١٠/ ٢٢٣) و«الحيوان للجاحظ» (٢/ ٣٥٧).
(٢) الخبر في «أخبار الظِّراف والمتماجنين» (ص١١٤/ رقم: ٢٣٦).
(٣) «العقد الفريد» (٣/ ٤٨٩) و«أخبار الظِّراف» (ص١١٦/ رقم: ٢٤٤).
(٤) الخبر في «أخبار الظِّراف» (ص١١٦ ـ ١١٧/ رقم: ٢٤٥).

سرقتها، اللهم اردها عليه، فقال الأعرابي: يا شيخ؛ الآن ذهبت ناقتي ويئست منها. قال: وكيف؟ قال: لأنه إذا أراد أن لا تسرق فسرقت لم آمن أن يريد رجوعها فلا ترجع، ونهض من عنده منصرفاً.

[٢١٨] ـ استأذن حاجب بن زرارة على كسرى، فقال له الحاجب: من أنت؟ قال: أنا رجل من العرب، فأذن له، فلما وقف بين يديه قال له: من أنت؟ قال: سيد العرب. قال: ألم تقل للحاجب: أنا رجل منهم؟ قال: بلى ولكنني وقفت بباب الملك وأنا رجل منهم، فلما وصلت إلى الملك سدتهم، فقال كسرى: زه احشوا فاه دراً(١).

[٢١٩] ـ قال الجاحظ: قال رجل لأعرابي: أتهمز إسرائيل؟ قال: إني إذن لرجل سوء. قال: تَجُرّ فلسطين؟ قال: إني إذن لقوي.

قال: كتب أبو صاعد الشاعر إلى الغنوي رقعة فيها:

رأيتُ في النّومِ أني مالِكٌ فرساً ... ولي نصيف وفي كفّي دنانيرُ
فقال قومٌ لهم عِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ ... رأيت خيراً وللأحلام تفسيرُ
اقْصُصْ مَنَامَكَ فِي دَارِ الأميرِ تَجِدْ ... تحقيقَ ذاك وللفَالِ التَّباشيرُ

فلما قرأها كتب في ظهرها: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤].

[٢٢٠] ـ قال: أنشد رجل أبا عثمان المازني شعراً له. قال: كيف تراه؟ قال: أراك قد عملت عملاً بإخراج هذا من جوفك، لأنك لو تركته لأورثك الشك.

[٢٢١] ـ قيل: نزل أعرابي في سفينة، فاحتاج إلى البراز، فصاح: الصلاة الصلاة، فقربوا إلى الشط، فخرج فقضى حاجته، ثم رجع، قال: ادفعوا فصلاتكم بعد وقت(٢).

[٢٢٢] ـ وقف أعرابي على قوم فسألهم عن أسمائهم، فقال أحدهم: اسمي وثيق، وقال الآخر: منيع، وقال الآخر: اسمي ثابت، وقال الآخر: اسمي شديد. فقال الأعرابي: ما أظن الأقفال عملت إلا من أسمائكم.

[٢٢٣] ـ قال هشام بن عبد الملك يوماً لأصحابه: من يسبني ولا يفحش

---

(١) المصدر السابق (ص١١٤/ رقم: ٢٣٤).
(٢) المصدر السابق (ص١١٤/ رقم: ٢٣٥).

وهذا المطرف له؟ وكان فيهم أعرابي، فقال: ألقه يا أحول، فقال: خذه قاتلك اللَّه.

[٢٢٤] ـ وقف أبو العيناء على باب صاعد، فقيل له: هو يصلي فانصرف وعاد، فقيل له: في الصلاة، فقال: لكل جديد لذة.

[٢٢٥] ـ سئل الحسن: لأي شيء استحب صوم أيام البيض؟ فقال: لا أدري. فقال أعرابي في حلقته: لكني أدري. قال: وما هو؟ قال: لأن القمر لا ينكسف إلَّا فيهن، فأحب اللَّه عزّ وجلّ أن لا يحدث في السماء أمر إلا حدثت له في الأرض عبادة.

[٢٢٦] ـ حضر أعرابي مائدة سليمان بن عبد الملك، فجعل يمد يديه، فقال له الحاجب: كُلْ مما بين يديك، فقال: من أجدب انتجع، فشق ذلك على سليمان وقال: لا يعد إلينا.

[٢٢٧] ـ ودخل أعرابي آخر، فمد يديه، فقال له الحاجب: كُلْ مما يليك. فقال: من أخصب تخير، فأعجب ذلك سليمان وقضى حوائجه.

[٢٢٨] ـ حدث ابن المدبر قال: انفرد الرشيد وعيسى بن جعفر بن المنصور والفضل بن الربيع في طريق الصيد، فلقوا أعرابياً فصيحاً، فولغ به عيسى إلى أن قال له: يا ابن الزانية! فقال له: بئس ما قلت قد وجب عليك ردها أو العوض، فارض بهذين المليحين يحكمان بيننا. قال عيسى: قد رضيت، فقالا للأعرابي: خذ منه دانقين عوضاً من شتمك، فقال: هذا الحكم؟ قال: نعم. قال: فهذا درهم خذوه، وأمكم جميعاً زانية، وقد أرجحت لكم بدل ما وجب لي عليكم، فغلب عليهم الضحك، وما كان لهم سرور في ذاك النهار إلا حديث الأعرابي، وضمه الرشيد إلى خاصته.

[٢٢٩] ـ سمع أعرابي رجلاً يروي عن ابن عباس أنه قال: من نوى حجة وعاقه عنها عائق كتبت له. فقال الأعرابي: ما وقع العام كراء أرخص من هذا.

[٢٣٠] ـ نظر أعرابي إلى البدر في رمضان فقال: سمنت فأهزلتني أراني اللَّه فيك السبل.

[٢٣١] ـ ودعا أعرابي على عامل، فقال: صب اللَّه عليك الصادات. يعني الصفع والصرف والصلب.

[٢٣٢] ـ وقال أعرابي: اللهم من ظلمني مرة فأجزه، ومن ظلمني مرتين فأجزني وأجزه، ومن ظلمني ثلاث مرات فأجزني ولا تجزه.

[٢٣٣] ـ وقال أعرابي لامرأته: أين بلغت قدركم؟ قالت: قد قام خطيبها، تعني الغليان.

[٢٣٤] ـ وقف المهدي على عجوز من العرب، فقال لها: ممن أنت؟ قالت: من طيِّء، فقال: ما منع طيِّئاً أن يكون فيهم آخر مثل حاتم، فقالت مسرعة: الذي منع الملوك أن يكون فيهم مثلك، فعجب من سرعة جوابها وأمر لها بصلة.

[٢٣٥] ـ وقال الأصمعي: سألت أعرابية عن ولدها كنت أعرفه، فقالت: مات واللّه وقد آمنني اللّه بفقده المصائب ثم قالت:

وكُنْتُ أخافُ الدَّهْرَ ما كان باقياً فلمَّا تولّى ماتَ خَوْفِي مِنَ الدَّهْرِ

[٢٣٦] ـ سمع ابن الأعرابي رجلاً يقول: أتوسل إليكم بعلي ومعاوية. فقال له: جمعت بني ساكنين.

* * *

في ذكر
من احتال بذكائه لبلوغ غرض

[٢٣٧] ـ حدّثنا محمد بن سعد قال: كان الهرمزان من أهل فارس، فلما انقضى أمر جلولاء خرج يزدجرد من حلوان إلى أصبهان، ثم أتى أصطخر، ووجهه الهرمزان إلى بلدة تستر، فضبطها وتحصن في القلعة، وحاصرهم أبو موسى، ثم نزل أهل القلعة على حكم عمر، فبعث أبو موسى بالهرمزان ومعه اثنا عشر أسيراً من العجم عليهم الديباج ومناطق الذهب وأسورة الذهب، فقدم بهم المدينة في زيّهم ذلك، فجعل الناس يعجبون، فأتوا بهم منزل عمر، فلم يصادفوه فجعلوا يطلبونه، فقال الهرمزان بالفارسية: قد ضل ملككم، فقيل لهم: هو في المسجد، فدخلوا فوجدوه نائماً متوسداً رداءه، فقال الهرمزان: إن هذا ملككم. قالوا: هذا الخليفة. قال: أما له حاجب ولا حارس؟ قالوا: اللّه حارسه حتى يأتي عليه أجله. فقال الهرمزان: هذا الملك الهني، فقال عمر: الحمد للّه الذي أذل هذا وشيعته بالإسلام، فاستسقى الهرمزان، فقال عمر: لا يجمع عليك القتل والعطش، فدعا له بماء، فأمسك بيده، فقال عمر: اشرب لا بأس عليك إني غير قاتلك حتى تشربه، فرمى بالإناء من يده، فأمر عمر بقتله، فقال: أولم تؤمني؟ قال: وكيف؟ قال: قلت لي لا بأس عليك، فقال الزبير وأنس وأبو سعيد: صدق. فقال عمر: قاتله اللّه أخذ أماناً ولا أشعر، ثم أسلم بعد ذلك الهرمزان[١].

[٢٣٨] ـ عن عبد الملك بن عمير قال: سمعت المغيرة بن شعبة يقول: ما خدعني قط غير غلام من بني الحارث بن كعب، فإني ذكرت امرأة منهم وعندي شاب من بني الحارث، فقال: أيها الأمير؛ إنه لا خير لك فيها. فقلت: ولم؟ قال: رأيت رجلاً يقبلها، فأقمت أياماً، ثم بلغني أن الفتى تزوج بها، فأرسلت إليه فقلت: ألم تعلمني أنك رأيت رجلاً يقبلها؟ قال: بلى. رأيت أباها يقبلها، فإذا ذكرت الفتى وما صنع غمني ذلك.

[٢٣٩] ـ قال الهيثم: وأخبرنا الفرات بن الأحنف بن مرح العبدي، عن

---

(١) «نهاية الأرب» (٦/ ٧٧).

أبيه: أن رجلاً خطب إلى قوم، فقالوا: ما تعالج؟ قال: أبيع الدواب فزوجوه، ثم سألوا عنه، فإذا هو يبيع السنانير، فخاصموه إلى شريح، فقال: السنانير دواب، وأنفذ تزويجه.

[٢٤٠] ـ أخبرنا الأصمعي أن محمد بن الحنفية أراد أن يقدم الكوفة أيام المختار، فقال المختار حين بلغه ذلك: إن في المهدي علامة يضربه رجل في السوق بالسيف فلا يضره، فلما بلغ ذلك محمداً أقام ولم يقدم الكوفة[١].

[٢٤١] ـ أخبرنا داود بن الرشيد قال: قلت للهيثم بن عدي: بأي شيء استحق سعيد بن عبد الرَّحمٰن أن ولاه المهدي القضاء، وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة؟ قال: إن خبره في اتصاله بالمهدي ظريف، فإن أحببت شرحته لك. قال: قلت: واللَّه قد أحببت ذلك. قال: اعلم أنه وافى الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة إلى المهدي، فقال: استأذن على أمير المؤمنين، فقال له الربيع: من أنت وما حاجتك؟ قال: أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين رؤيا صالحة، وقد أحببت أن تذكروني له، فقال له الربيع: يا هذا، إن القوم لا يصدقون ما يرونه لأنفسهم، فكيف ما يراه لهم غيرهم، فاحتل بحيلة هي أرد عليك من هذه. فقال له: إن لم تخبره بمكاني سألت من يوصلني إليه، فأخبرته أني سألتك الإذن عليه، فلم تفعل، فدخل الربيع على المهدي فقال له: يا أمير المؤمنين؛ إنكم قد أطمعتم الناس في أنفسكم، فقد احتالوا لكم بكل ضرب. قال له: هكذا صنع الملوك فما ذاك؟ قال: رجل بالباب يزعم أنه قد رأى لأمير المؤمنين رؤيا حسنة، وقد أحب أن يقصها عليه، فقال له المهدي: ويحك يا ربيع إني واللَّه أرى الرؤيا لنفسي، فلا تصح لي، فكيف إذا ادعاها من لعله قد افتعلها؟ قال: واللَّه قلت له مثل هذا، فلم يقبل. قال: هات الرجل، فأدخل إليه سعيد بن عبد الرّحمٰن وكان له رؤية وجمال ومروءة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان، فقال له المهدي: هات بارك اللَّه عليك. ماذا رأيت؟ قال: رأيت يا أمير المؤمنين آتياً أتاني في منامي، فقال لي: أخبر أمير المؤمنين المهدي أنه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة، وآية ذلك أنه يرى في ليلته هذه في منامه كأنه يقلِّب يواقيت، ثم يعدُّها، فيجدها ثلاثين ياقوتة، كأنها قد وهبت له، فقال المهدي: ما أحسن ما رأيت، ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة على ما أخبرتنا به، فإن كان الأمر على ما ذكرته أعطيناك ما تريد، وإن كان الأمر بخلاف ذلك لم نعاقبك، لعلمنا أن الرؤيا ربما صدقت وربما اختلفت. قال له سعيد: يا أمير المؤمنين، فما

---

(١) انظر «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ١٨٣/ رقم: ١٣٣ ـ ط. المكتبة العصرية).

أنا أصنع الساعة إذا صرت إلى منزلي وعيالي، فأخبرتهم أني كنت عند أمير المؤمنين ثم رجعت صفراً؟ قال له المهدي: فكيف نعمل؟ قال: يعجل لي أمير المؤمنين ما أحب وأحلف له بالطلاق أني قد صدقت، فأمر له بعشرة آلاف درهم، وأمر أن يؤخذ منه كفيل ليحضره من غد ذلك اليوم، فقبض المال، وقيل: من يكفل بك، فمد عينيه إلى خادم فرآه حسن الوجه والزي، فقال: هذا يكفل بي، فقال له المهدي: أتكفل به؟ فاحمر وخجل وقال: نعم. وكفله وانصرف، فلما كان في تلك الليلة رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفاً حرفاً وأصبح سعيد في الباب واستأذن فأذن له، فلما وقعت عين المهدي عليه قال: أين مصداق ما قلت لنا؟ قال له سعيد: وما رأى أمير المؤمنين شيئاً؟ فضجع في جوابه. فقال سعيد: امرأتي طالق إن لم تكن رأيت شيئاً. قال له المهدي: ويحك ما أجرأك على الحلف بالطلاق. قال: لأنني أحلف على صدق. قال له المهدي: فقد واللّه رأيت ذلك مبيناً. فقال له سعيد: اللّه أكبر، فأنجز يا أمير المؤمنين ما وعدتني، قال له: حباً وكرامة ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار، وعشرة تخوت ثياب من كل صنف، وثلاثة مراكب من أنفس دوابه محلاة، فأخذ ذلك وانصرف، فلحق به الخادم الذي كان كفل به، وقال له: سألتك باللّه هل كان لهذه الرؤيا التي ذكرتها من أصل؟ قال له سعيد: لا واللّه. قال الخادم: كيف وقد رأى أمير المؤمنين ما ذكرته له. قال: هذه من المخاريق الكبار التي لا يأبه لها أمثالكم، وذلك أني لما ألقيت إليه هذا الكلام خطر بباله، وحدّث به نفسه، وأسرَّ به قلبه، وشغل به فكره، فساعة نام خيل له ما حلَّ في قلبه، وما كان شغل به فكره في المنام. قال له الخادم: فقد حلفت بالطلاق. قال: طلقت واحدة، وبقيت معي على ثنتين فأرد في مهر عشرة دراهم، وأتخلص وأتحصل على عشرة آلاف درهم، وثلاثة آلاف دينار، وعشرة تخوت من أصناف الثياب، وثلاثة مراكب. قال: فبهت الخادم في وجهه وتعجب من ذلك، فقال له سعيد: قد صدقتك وجعلت صدقي لك مكافأتك على كفالتك بي، فاستر عليَّ ذلك، ففعل ذلك، فطلبه المهدي لمنادمته، فنادمه وحظي عنده وقلّده القضاء على عسكر المهدي، فلم يزل كذلك حتى مات المهدي.

قال مؤلف الكتاب: هكذا رويت لنا هذه الحكاية.

[٢٤٢] ـ عن عاصم الأحول قال: حدّثنا سمير أن رجلاً خطب امرأة وتحته أخرى، فقالوا: لا نزوجك حتى تطلق. قال: اشهدوا أني قد طلقت ثلاثاً، فزوجوه وأقام على امرأته وادعى القوم الطلاق، فقال لهم: كيف قلت؟ قالوا: قلنا لا نزوجك حتى تطلق ثلاثاً، فقلت: اشهدوا أني قد طلقت ثلاثاً. فقال: أما تعلمون

أنه كان تحتي فلانة بنت فلان فطلقتها؟ قالوا: بلى. قال: فقد طلقت ثلاثاً. قالوا: ما هذا أردنا، فلما وفد شقيق بن ثور إلى عثمان وقدم علينا شقيق أخبر أنه سأل عثمان عن ذلك، فجعلها نية[١].

[٢٤٣] ـ عن عوف بن مسلم النحوي، عن أبيه قال: خرج عمر بن محمد صاحب السند وأصحابه يسيرون في بلاد الشرك، فرأوا شيخاً ومعه غلام، وقد كان العدو ندر بهم، فهربوا، فقال عمر: يا شيخ؛ دلنا على قومك وأنت آمن. قال: أخاف إن دللتك أن يسعى بي هذا الغلام إلى الملك فيقتلني، ولكن أقتل هذا الغلام حتى أدلك، فضرب عنق الغلام، فقال الشيخ: إنما كرهت إن لم أخبرك أنا أن يخبرك الغلام فالآن قد أمنت، واللّٰه لو كانوا تحت قدمي ما رفعتها. فضرب عنقه.

[٢٤٤] ـ حدّثنا الحسن بن عمارة قال: أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث، فقلت: إما أن تحدّثني وإما أن أحدثك؟ فقال: حدّثني. فقلت: حدّثني الحكم بن عتبة، عن يحيى بن الجزار قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: ما أخذ اللّٰه عزّ وجلّ على أهل الجهل أن ينتظموا، حتى أخذ على أهل العلم أن يعلِّموا. قال: فحدّثني أربعين حديثاً.

[٢٤٥] ـ حدّثنا الحميدي قال: كنا عند سفيان بن عيينة، فحدّثنا بحديث في زمزم أنه لِما شُرب له، فقام رجل من المجلس ثم عاد، فقال له: أبا محمد أليس الحديث بصحيح الذي حدّثتنا به في زمزم أنه لما شرب له، فقال سفيان: نعم، فقال: إني قد شربت الآن دلواً من زمزم على أن تحدّثني بمائة حديث، فقال سفيان: اقعد، فحدثه بمائة حديث[٢].

[٢٤٦] ـ حدّثنا ابن أبي ذر قال: كان الحاج إذا ورد جلس سفيان بن عيينة بباب بني هاشم على موضع عالٍ ليرى الناس، فجاء رجل من أصحاب الحديث، فقعد بين يديه، فقال: يا أبا محمد، حدّثني فحدثه أحاديث، فقال: زدني فزاده، فدفعه في صدره، فوقع إلى الوادي، فتفاشى ذلك، فاجتمع الحاج قال: سفيان بن عيينة قتل رجلاً من الحاج، فلما كثر ذلك أشفق سفيان، فنزل إلى الرجل، فترك رأسه في حجره وقال: ما لك؟ أي شيء أصابك؟ فلم يزل يركض رجليه ويزبد من فيه. قال: وكثر الضجيج، سفيان بن عيينة قتل رجلاً، فقال له: قم ويلك أما ترى

---

(١) الخبر في «أخبار الظِّراف والمتماجنين» (ص٧٢/ رقم: ٩٨).

(٢) المصدر السابق (ص١٢١/رقم: ٢٥٦) و«مثير العزم الساكن» (٢/ ٥١ ـ ٥٢/ ٢٩٩) للمصنف و«المجالسة» للدينوري (٢/ ٣٤٢/ ٥٠٩).

الناس يقولون؟ فقال له وهو يخفي صوته: لا واللّه لا أقوم حتى تحدّثني مائة حديث عن الزهري وعمرو بن دينار ففعل فقام.

[٢٤٧] ـ قال المحسن بن علي التنوخي، عن أبيه قال: حججتُ في موسم اثنين وأربعين، فرأيت مالاً عظيماً وثياباً كثيرة تفرق في المسجد الحرام، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: بخراسان رجل صالح عظيم النعمة والمال يقال له: علي الزراد أنفذ عام أول مالاً وثياباً إلى ههنا مع ثقة له، وأمره أن يعتبر قريشاً، فمن وجده منها حافظاً للقرآن دفع إليه كذا وكذا ثوباً. قال: فحضر الرجل عام أول، فلم يجد في قريش البتة أحداً يحفظ القرآن إلّا رجلاً واحداً من بني هاشم، فأعطاه قسطه، وتحدث الناس بالحديث ورد باقي المال إلى صاحبه، فلما كان في هذه السنة عاد بالمال والثياب، فوجد خلقاً عظيماً من جميع بطون قريش قد حفظوا القرآن، وتسابقوا إلى تلاوته بحضرته، وأخذوا الثياب والدراهم، فقد فنيت وبقي منهم من لم يأخذ، وهم يطالبونه. قال: فقلت: لقد توصل هذا الرجل إلى رد فضائل قريش عليها بما يشكره اللّه سبحانه له.

[٢٤٨] ـ حدّثنا إبراهيم بن عبد اللّه قال: كنت في بيت عمتي ولها بنون، فسألت عنهم فقالوا: قد مضوا إلى عبد اللّه بن داود فأبطؤوا ثم جاؤوا يذمونه، وقالوا: طلبناه في منزله فلم نجده، وقالوا: هو في بُستينة له فقصدناه، وسلمنا عليه، وسألناه أن يحدّثنا فقال: متعت بكم أنا في شغل عن هذا. هذه البستينة لي فيها معاش، وتحتاج أن تسقى وليس لنا من يسقيها، فقلنا: نحن ندير الدولاب ونسقيها، فقال: إن حضرتكم نية فافعلوا، فأدرنا الدولاب حتى سقينا البستان، ثم قلنا له: حدّثنا الآن فقال: متعت بكم ليس لي نية في أن أحدثكم، وأنتم كانت لكم نية تؤجرون عليها.

[٢٤٩] ـ أخبرنا علي بن المحسن، عن أبيه قال: أخبرني جماعة من شيوخ بغداد أنه كان بها في طرف الجسر سائلان أعميان؛ أحدهما يتوسل بأمير المؤمنين علي، والآخر بمعاوية، ويتعصب لهما الناس، ويجمعان القطع، فإذا انصرفا فيقتسمان القطع، وكانا يحتالان بذلك على الناس.

[٢٥٠] ـ حدّثنا عبد الواحد بن محمد الموصلي، حدّثنا بعض فتيان الموصلي قال: لما قتل ناصر الدولة أبا بكر بن رايق الموصلي نهب الناس داره بالموصل، فدخلت لأنهب، فوجدت كيساً فيه أكثر من ألف دينار، فأخذته وخفت أن أخرج وهو معي كذلك، فيبصرني بعض الجند، فيأخذه مني، فطفت الدار،

فوقعت على المطبخ، فعمدت إلى قدرة كبيرة فيها سكباج، فطرحت الكيس فيها، وحملتها على يدي، فكل من استقلبني نظر أني ضعيف قد حملني الجوع على أخذ تلك القدرة التي سلمت إلى منزلي.

[٢٥١] ـ وحدّثني أبو الحسن بن عباس القاضي قال: رأيت صديقاً على بعض زوارق الجسر ببغداد جالساً في يوم شديد الريح، وهو يكتب رقعة، فقلت: ويحك في هذا الموضع وهذا الوقت. قال: أريد أن أزوّر على رجل مرتعش ويدي لا تساعدني، فتعمدت الجلوس ههنا لتحرك الزورق بالموج في هذه الريح فيجيء خطي مرتعشاً فيشبه خطه.

[٢٥٢] ـ قال المحسن: وحدّثني أبو الطيب بن عبد المؤمن قال: خرج بعض حذاق المكيدين من بغداد إلى حمص ومعه امرأته، فلما حصل بها قال: إن هذا بلد حماقة وأريد أن أعمل حيلة فتساعديني، فقالت: شأنك. قال: كوني بموضعك ولا تجتازي بي البتة، فإذا كان كل يوم فخذي لي ثلثي رطل زبيب وثلثي رطل لوز آنياً، فاعجنيه واجعليه وقت الهاجرة على آجرة جديدة نظيفة لأعرفها في الميضأة الفلانية، وكانت قريبة من الجامع. ولا تزيديني على هذا شيئاً ولا تمري بناحيتي، فقالت: أفعل، وجاء هو فأخرج جبة صوف كانت معه، فلبسها وسراويل صوف ومئزر، وجعلها على رأسه، ولزم أسطوانة يمر الناس عليها، فصلى نهاره أجمع وليلته أجمع لا يستريح إلَّا في الأوقات المحظور فيها الصلاة، فإذا جلس فيها سبح ولم ينطق بلفظة، فتنبه على مكانه، وروعي مدة، ووضعت العيون عليه، فإذا هو لا يقطع الصلاة ولا يذوق الطعام، فتحير أهل البلد في أمره، وكان لا يخرج من الجامع إلا في وقت الهاجرة في كل يوم دفعة إلى تلك الميضأة فيبول فيها، ويعدل إلى الآجرة وقد عرفها وعليها ذاك المعجون، وقد صار منحلاً وصورته صورة الغائط، فمن يدخل ويخرج لا يشك أنه غائط، فيأكله فيقيم أوده ويرجع، فإذا كان وقت صلاة العتمة أو في الليل شرب من الماء قدر كفايته، وأهل حمص يظنون أنه لا يطعم الطعام ولا يذوق الماء، فعظم شأنه عندهم فقصدوه وكلموه فلم يجبهم، وأحاطوا به، فلم يلتفت، واجتهدوا في خطابه، فلزم الصمت، فزاد مجلة عندهم حتى إنهم كانوا يتمسحون بمكانه، ويأخذون التراب من موضعه، ويحملون إليه المرضى والصبيان، فيمسح بيده عليهم، فلما رأى منزلته، وقد بلغت إلى ذلك، وكان قد مضى على هذا السمت سنة اجتمع مع امرأته في الميضأة وقال: إذا كان يوم الجمعة حين يصلي الناس فتعالي فاعلقي بي والطمي وجهي وقولي: يا عدو اللّٰه يا فاسق قتلت ابني ببغداد وهربت إلى ههنا تتعبد وعبادتك مضروب بها

وجهك، ولا تفارقيني وأظهري أنك تريدين قتلي بابنك، فإن الناس سيجتمعون إليك، وأمنعهم أنا من أذيتك وأعترف بأني قتلته وتبت وجئت إلى ههنا للعبادة والتوبة والندم على ما كان مني، فاطلبي قودي بإقراري، وحملي إلى السلطان، فيعرضون عليك الدية فلا تقبليها حتى يبذلوا لك عشر ديات، أو ما استوى لك بحسب ما ترين من زيادتهم وحرصهم، فإذا تناهت أعطيتهم في افتدائي إلى حد يقع لك أنهم لا يزيدون بعده شيئاً، فاقبلي الفداء منهم، واجمعي المال وخذيه واخرجي من يومك إلى بغداد ولا تقيمي بالبلد، فإني سأهرب وأتبعك.

فلما كان من الغد جاءت المرأة فتعلقت به وفعلت به ما قال، فقام أهل البلد ليقتلوها وقالوا: يا عدوة اللَّه هذا من الأبدال، هذا قوَّام العالم، هذا قطب الوقت، فأومأ إليهم أن اصبروا ولا تناولوها بشر فصبروا، وأوجز في صلاته ثم سلم، وتمرغ في الأرض طويلاً ثم قال: أيها الناس، هل سمعتم لي كلمة منذ أقمت عندكم؟ فاستبشروا بسماع كلامه وارتفعت ضجة عظيمة وقالوا: لا. قال: إني إنما أقمت عندكم تائباً مما ذكرته، وقد كنت رجلاً في دفع وخسارة، فقتلت ابن هذه المرأة وتبت، وجئت إلى هٰهنا للعبادة، وكنت محدثاً نفسي بالرجوع لها لتقتلني خوفاً من أن تكون توبتي ما صحت، وما زلت أدعو اللَّه أن يقبل توبتي ويمكنها مني إلى أن أجيبت دعوتي باجتماعي بها وتمكينها من قودي، فدعوها تقتلني وأستودعكم اللَّه. قال: فارتفعت الضجة والبكاء، وهو مار إلى والي البلد ليقتله بابنها. فقال الشيوخ: يا قوم، لقد ضللتم عن مداواة هذه المحنة وحراسة بلدكم بهذا العبد الصالح، فارفقوا بالمرأة واسألوها قبول الدية نجمعها من أموالنا، فطافوا بها وسألوها. فقالت: لا أفعل. فقالوا: خذي ديتين، فقالت: شعرة من ابني بألف دية، فما زالوا حتى بلغوا عشر ديات، فقالت: اجمعوا المال، فإذا رأيته وطاب قلبي بقبوله فعلت، وإلَّا قتلت القاتل، فجمعوا مائة ألف درهم وقالوا: خذيها. فقالت: لا أريد إلَّا قتل قاتل ابني في نفسي أثر، فأقبل الناس يرمون ثيابهم وأرديتهم وخواتيمهم والنساء حليهن، فأخذت ذلك وأبرأته من الدم وانصرفت، وأقام الرجل بعد ذلك في الجامع أياماً يسيرة حتى علم أنها قد بعدت، ثم هرب في بعض الليالي وطلب فلم يوجد ولا عرف له خبر، حتى انكشف لهم أنه كان حيلة بعد مدة طويلة.

[٢٥٣] ـ قال: كان بالكوفة امرأة قد ضاق بزوجها المعاش، فقالت له: لو خرجت فضربت في البلاد وطلبت من فضل اللَّه تعالى، فخرج إلى الشام فكسب ثلاثمائة درهم، فاشترى بها ناقة فارهة وكانت زَعِرة، فأضجرته واغتاظ منها ومن

زوجته حيث أمرته بالخروج، فحلف بالطلاق ليبيعنّها يوم يدخل الكوفة بدرهم، ثم ندم وأخبر زوجته، فعمدت إلى سِنَّوْر فعلقتها في عنق الناقة وقالت: أدخلها السوق ونادِ عليها: من يشتري هذا السِّنَّوْر بثلاثمائة درهم والناقة بدرهم ولا أفرق بينهما، ففعل فجاء أعرابي يدور حول الناقة ويقول: ما أحسنك ما أفرهك لولا هذا السِّنَّوْر الذي في عنقك.

[٢٥٤] ـ وبلغنا عن أبي دلامة أنه دخل على المهدي، فأنشده قصيدة فقال له: سلني حاجتك. فقال: يا أمير المؤمنين؛ تهب لي كلباً، فغضب وقال: أقول لك سلني حاجتك، فتقول تهب لي كلباً! فقال: يا أمير المؤمنين؛ الحاجة لي أم لك؟ قال: لا بل لك. قال: فإني اسألك أن تهب لي كلب صيد، فأمر له بكلب، فقال: يا أمير المؤمنين؛ هبني خرجت إلى الصيد أعدو على رجلي، فأمر له بدابة، فقال: يا أمير المؤمنين؛ فمن يقوم عليها، فأمر له بغلام. فقال: يا أمير المؤمنين؛ فهبني قصدت صيداً وأتيت به المنزل، فمن يطبخه، فأمر له بجارية، فقال: يا أمير المؤمنين؛ هؤلاء أين يبيتون فأمر له بدار، فقال: يا أمير المؤمنين، قد صيرت في عنقي كفاً أي جمعاً من عيال، فمن أين ما يتقوَّتُ به هؤلاء؟ قال: فإن أمير المؤمنين قد أقطعك ألف جريب عامرٍ وألف جريب غامرٍ، فقال: أما العامر فقد عرفته، فما الغامر؟ قال: الخراب الذي لا شيء فيه. قال: فأنا أقطع أمير المؤمنين مائة ألف جريب بالدَّوِّ، ولكنني أسأل أمير المؤمنين من ألفي جريب جريباً واحداً عامراً. قال: من أين؟ قال: من بيت المال، فقال المهدي: حولوا المال وأعطوه جريباً، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إذا حولوا منه المال صار غامراً، فضحك منه وأرضاه[١].

[٢٥٥] ـ كان نصراني يختلف إلى الضحاك بن مزاحم، فقال له يوماً: لِمَ لا تُسْلِم؟ قال: لأني أحب الخمر ولا أصبر عنها. قال: فأسلم واشربها، فأسلم، فقال له الضحاك: إنك قد أسلمت الآن، فإن شربت حددناك، وإن رجعت عن الإسلام قتلناك.

[٢٥٦] ـ وروى ضمرة عن شوذب قال: كان لرجل جارية فوطئها سراً، ثم قال لأهله: إن مريم كانت تغتسل في هذه الليلة، فاغتسلوا، فاغتسل هو واغتسل أهله.

[٢٥٧] ـ قال الجاحظ: كان رجل يرقي الضرس يسخر بالناس ليأخذ منهم

(١) الخبر في «أخبار الظِّراف والمتماجنين» (ص١١٩/رقم: ٢٥٢).

شيئاً، وكان يقول للذي يرقيه: إياك أن يخطر على قلبك الليلة ذكر القرد، فيبيت وجعاً فيبكر إليه، فيقول لعلك ذكرت القرد. فيقول: نعم. فيقول: من ثم لم تنفع الرقية.

[٢٥٨] ـ وبلغنا عن عقبة الأزدي أنه أتي بجارية قد جُنَّتْ في الليلة التي أراد أهلها أن يدخلوها إلى زوجها، فعزم عليها، فإذا هي قد سقطت، فقال لأهلها: أخلو بي بها، فقال لها: اصدقيني عن نفسك وعلى خلاصك، فقالت: إنه قد كان لي صديق وأنا في بيت أهلي، وإنهم أرادوا أن يدخلوا بي على زوجي ولست ببكر، فخفت الفضيحة. فهل عندك حيلة في أمري؟ فقال: نعم، ثم خرج إلى أهلها، فقال: إن الجني قد أجابني إلى الخروج منها، فاختاروا من أي عضو تحبون أن أخرجه من أعضائها، واعلموا أن العضو الذي يخرج منه الجني لا بد أن يهلك ويفسد، فإن خرج من عينها عميت وإن خرج من أذنها صمَّت، وإن خرج من فمها خرست، وإن خرج من يدها شلت، وإن خرج من رجلها عرجت، وإن خرج من فرجها ذهبت عذرتها. فقال أهلها: ما نجد شيئاً أهون من ذهاب عذرتها، فأخرج الشيطان من فرجها، فأوهم أنه قد فعل، ودخلت المرأة على زوجها!.

[٢٥٩] ـ لطم رجل الأحنف بن قيس فقال له: لِمَ لطمتني؟ قال: جُعِلَ لي جُعْلٌ أن ألطم سيد بني تميم قال: ما صنعت شيئاً عليك بحارثة بن قدامة، فإنه سيد بني تميم، فانطلق فلطمه فقطع يده وذلك ما أراده الأحنف.

[٢٦٠] ـ قال الشيخ: حكى لنا أبو محمد الخشاب النحوي قال: جاز بعض الحاكة على طبيب، فرآه يصف لهذا النقوع ولهذا التمر هندي، فقال: من لا يحسن مثل هذا؟ فرجع إلى زوجته فقال: اجعلي عمامتي كبيرة، فقالت: ويحك أي شيء قد طرأ لك؟ قال: أريد أن أكون طبيباً. قالت: لا تفعل فإنك تقتل الناس فيقتلوك، قال: لا بد، فخرج أول يوم فقعد يصف للناس، فحصل قراريط، فجاء فقال لزوجته: أنا كنت أعمل كل يوم بحبة، فانظري إيش يحصل. فقالت: لا تفعل. قال: لا بد، فلما كان في اليوم الثاني اجتازت جارية، فرأته فقالت لسيدتها، وكانت شديدة المرض، اشتهيت هذا الطبيب الجديد يداويك قالت: ابعثي إليه فجاء، وكانت المريضة قد انتهى مرضها ومعها ضعف، فقال: عليَّ بدجاجة مطبوخة، فجيء بها، فأكلت، فقويت، ثم استقامت، فبلغ هذا إلى السلطان، فجاء به فشكا إليه مرضاً يشتكيه، فاتفق أنه وصف له شيئاً أصلح به، فاجتمع إلى السلطان جماعة يعرفون ذاك الحائك، فقالوا له: هذا رجل حائك لا يدري شيئاً. فقال السلطان: هذا قد صلحت على يديه وصلحت الجارية على يديه، فلا أقبل

قولكم. قالوا: فنجربه بمسائل قال: افعلوا، فوضعوا له مسائل وسألوه عنها، فقال: إن أجبتكم عن هذه المسائل لم تعلموا جوابها، لأن الجواب لهذه المسائل لا يعرفه إلا طبيب، ولكن أليس عندكم مارستان؟ قالوا: بلى. قال: أليس فيه مرضى لهم مدة؟ قالوا: بلى. قال: فأنا أداويهم حتى ينهض الكل في عافية في ساعة واحدة، فهل يكون دليل على علمي أقوى من ذلك؟ قالوا: لا، فجاء إلى باب المارستان وقال: اقعدوا لا يدخل معي أحد، ثم دخل وحده وليس معه إلا قيّم المارستان، فقال للقيم: إنك واللّه إن تحدثت بما أعمل صلبتك، وإن سكت أغنيتك قال: ما أنطق. قال: فأحلفه بالطلاق، ثم قال: عندك في هذا المارستان زيت؟ قال: نعم. قال: هاته، فجاء منه بشيء كثير، فصبه في قدر كبير، ثم أوقد تحته، فلما اشتد غليانه صاح بجماعة المرضى، فقال لأحدهم: إنه لا يصلح لمرضك إلا أن تنزل إلى هذا القدر، فتقعد في هذا الزيت فقال المريض: اللّه اللّه في أمري، قال: لا بد، قال: أنا قد شفيت، وإنما كان بي قليل من صداع، قال: إيش يقعدك في المارستان وأنت معافى؟ قال: لا شيء. قال: فاخرج وأخبرهم، فخرج وأخبرهم، فخرج يعدو ويقول: شفيت بإقبال هذا الحكيم، ثم جاء إلى آخر، فقال: لا يصلح لمرضك إلا أن تقعد في هذا الزيت، فقال: اللّه اللّه أنا في عافية: قال: لا بد، قال: لا تفعل فإني من أمس أردت أن أخرج. قال: فإن كنت في عافية فاخرج، وأخبر الناس بأنك في عافية، فخرج يعدو ويقول: شفيت ببركة الحكيم، وما زال على هذا الوصف حتى أخرج الكل شاكرين له، واللّه الموفق.

[٢٦١] ـ بلغنا أن امرأة كان لها عشيق، فحلف عليها: إن لم تحتالي حتى أطأك بمحضر من زوجك لم أكلمك، فوعدته أن تفعل ذلك، فواعدها يوماً وكان في دارهم نخلة طويلة، فقالت لزوجها: أشتهي أصعد هذه النخلة فأجتني من رطبها بيدي، فقال: افعلي، فلما صارت في رأس النخلة أشرفت على زوجها وقالت: يا فاعل! من هذه المرأة التي معك. ويلك أما تستحي تجامعها بحضرتي، وأخذت تشتمه وتصيح وهو يحلف أنه وحده وما معه أحد، فنزلت فجعلت تخاصمه ويحلف بطلاقها إنه ما كان إلا وحده، ثم قال لها: اقعدي حتى أصعد أنا، فلما صار في رأس النخلة استدعت صاحبها، فوطئها فاطّلع الزوج، فرأى ذلك فقال لها: جعلت فداك لا يكون في نفسك شيء مما رميتِني به، فإن كل من يصعد هذه النخلة يرى مثل ما رأيت.

[٢٦٢] ـ وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى: أن الفرزدق مرّ بامرأة وعليه ثوب وشي فتعرض لها، فقالت جاريتها: ما أحسن هذا البرد، فقال: هل لك أن

أقبل مولاتك وأهب لها هذا البرد، فقالت الجارية لمولاتها: ماذا يضرك من هذا الأعرابي الذي لا يعرفه الناس، فأذنت له فقبلها وأعطاها البرد، ثم قال للجارية: اسقني ماء، فجاءته الجارية بماء في قدح زجاج ولما وضعته في يده ألقاه من يده، فانكسر، فقعد الفرزدق مكانه إلى أن جاء صاحب الدار فقال: يا أبا فراس ألك حاجة؟ قال: لا، ولكني استسقيت من هذه الدار ماء، فأتيت بقدح من زجاج، فوقع الإناء من يدي فانكسر، فأخذوا بردي رهناً، فدخل الرجل فشتم أهله وقال: ردوا على الفرزدق برده.

* * *

في ذكر
من احتال فانعكس عليه مقصوده

[٢٦٣] ـ حدّثنا إبراهيم قال: لما أسن معاوية اعتراه أرق وكان إذا هو نام أيقظته النواقيس، فلما أصبح ذات يوم ودخل الناس عليه، قال: يا معشر العرب، هل فيكم من يفعل ما آمره به وأعطيه ثلاث ديات أعجلها له وديتين إذا رجع؟ فقام فتى من غسان فقال: أنا يا أمير المؤمنين. قال: تذهب بكتابي إلى ملك الروم، فإذا صرت على بساطه أذَّنتَ، قال: ثم ماذا؟ قال: فقط. قال: لقد كلفت صغيراً وأعطيت كثيراً، فلما خرج وصار على بساط قيصر أذن، فحارت البطارقة واخترطوا سيوفهم، فسبق إليه ملك الروم، فجثى عليه وجعل يسألهم بحق عيسى وبحقه عليهم حتى كفوا، ثم ذهب إلى سريره حتى صعد به، ثم جعله بين رجليه، فقال: يا معشر البطارقة؛ إن معاوية قد أسن ومن أسن أرق، وقد آذته النواقيس، فأراد أن يقتل هذا على الأذان فيقتل من بلاده على ضرب النواقيس، وباللّه ليرجعن إليه على خلاف ما ظن فكساه وجمله، فلما رجع إلى معاوية قال له: أوقد جئتني سالماً؟ قال: أما من قبلك فلا.

[٢٦٤] ـ ويقال: ما ولي المسلمين أحد إلا ومَلِك الروم مثله إن حازماً وإن عاجزاً، وكان الذي مُلْكُهُ على عهد عمر بن الخطاب هو الذي دوّن لهم الدواوين ودوّخ لهم العدو، وكان الذي على عهد معاوية يشبه معاوية في حزمه وعمله.

[٢٦٥] ـ حدّثنا رجل من الجند قال: خرجت من بعض بلدان الشام أريد قرية من قراها، فلما صرت في الطريق، وقد سرت عدة فراسخ تعبت وكنت على دابة وعليه خرجي ورحلي، وقد قرب المساء، فإذا بحصن عظيم وفيه راهب في صومعة، فنزل إليَّ واستقبلني، وسألني المبيت عنده، وأن يضيفني ففعلت، فلما دخلت الدير لم أجد فيه غيري، فأخذ بدابتي وجعل رحلي في بيت وطرح للدابة الشعير، وجاءني بماء حار، وكان الزمان شديد البرد والثلج يسقط، وأوقد بين يدي ناراً عظيمة، وجاء بطعام طيب فأكلت، ومضت قطعة من الليل فأردت النوم، فسألته عن طريق النوم، ثم سألته عن طريق المستراح فدلني على طريقه، وكان في

غرفة فمشيت، فلما صرت على باب المستراح إذا بارية عظيمة، فلما صارت رجلاي عليها نزلت، فإذا أنا في الصحرة، وإذا البارية كانت مطروحة على غير سقف، وكان الثلج تلك الليلة يسقط سقوطاً عظيماً، فصحت فما كلمني، فقمت وقد تجرح بدني، إلا أني سالم، فجئت فاستظللت بطاق عند باب الحصن من الثلج، فإذا حجارة لو جاءتني وتمكنت من دماغي طحنته، فخرجت أعدو وأصيح، فشتمني فعلمت أن ذلك من جانبه، وطمع في رحلي، فلما خرجت وقع الثلج عليَّ وبلَّ ثيابي، ونظرت، فإذا أنا تالف بالبرد والثلج، فولد لي الفكر أن طلبت حجراً فيه نحو ثلاثين رطلاً، فوضعته على عاتقي وأقبلت أعدو في الصحراء شوطاً طويلاً حتى أتعب، فإذا تعبت وحميت وعرقت طرحت الحجر، وجلست أستريح، فإذا سكنت وأخذني البرد تناولت الحجر وسعيت كذلك إلى الغداة، فلما كان قبل طلوع الشمس، وأنا خلف الحصن إذ سمعت صوت باب الدير قد فتح، وإذا أنا بالراهب قد خرج وجاء إلى الموضع الذي قد سقطت منه، فلما لم يرني قال: يا قوم ما فعل؟ وأنا أسمعه وأظنه المشؤوم قد رأى بقربه قرية، فقام يمشي إليها كيف أعمل؟ قال: وأقبل يمشي، فخالفته أنا إلى الباب ودخلت الحصن، وقد مشى هو من ذاك المكان يطلبني حوالي الحصن، فحصلت أنا خلف باب الحصن، وقد كان في وسطي سكين لم يعلم بها الراهب، فوقفت خلف الباب، فطاف الراهب، فلما لم يقف لي على أثر وعاد ودخل وأغلق الباب، فحين خفت أن يراني آثرت إليه ووجأته بالسكين فصرعته وذبحته، وأغلقت باب الحصن، وصعدت إلى الغرفة واصطليت بنار كانت موقودة هناك، وطرحت علي من تلك الثياب، وفتحت خرجي ولبست منه ثياباً، وأخذت كساء الراهب، فنمت فيه، فما أفقت إلا قريب العصر، ثم انتبهت فطفت الحصن حتى وقعت على طعام، فأكلت وسكنت نفسي، ووقعت بمفاتيح بيوت الحصن، وأقبلت أفتح بيتاً بيتاً، وإذا بأموال عظيمة من عَيْنٍ ووَرِقٍ وأمتعة وثياب وآلات، ورحال قوم وأخراجهم وحمولاتهم، وإذا الراهب من عادته تلك الحال مع كل من يجتازه وحيداً ويتمكن منه فلم أدر كيف أعمل في ثقل المال، فلبست من ثياب الراهب شيئاً ووقفت في صومعته أياماً أتراءى لمن يجتاز بي في الموضع من بعيد لئلا يشكُّوا فيَّ أني أنا هو، فإذا قربوا لم أبرز لهم وجهي إلى أن خفي خبري، ثم نزعت تلك الثياب وأخذت جوالقين مما كان في الدير من تلك الأمتعة وملأتها مالاً، وجعلتهما على الدابة وسقتها إلى أقرب قرية كانت، واكتريت فيها منزلاً ولم أزل أنقل منه الصامت حتى حملته كله، ثم ما خَفَّ وكثرت قيمته، حتى لم أدع إلا الأمتعة الثقيلة، واكتريت عدة أحمال وحمير ورجَّالة،

وجئت بهم دفعة واحدة وحملت كل ما قدرت عليه وسرت في قافلة عظيمة لنفسي بغنيمة هائلة، حتى قدمت بلدي، وقد حصل لي عشرة آلاف درهم ودنانير كثيرة مع قيمة الأمتعة، وغصت في الأرض فما عرف خبري.

[٢٦٦] ـ عن علي بن الحسن عن أبيه حدّثنا جماعة من أهل جند نيسابور فيهم كتّاب وتجّار وغير ذلك أنه كان عندهم في سنة نيف وأربعين وثلاثمائة، شاب من كتَّاب النصارى، وهو ابن أبي الطيب القلانسي، فخرج إلى بعض شأنه في الرستاق(١)، فأخذته الأكراد وعذبوه وطالبوه أن يشتري نفسه منهم، فلم يفعل، وكتب إلى أهله: أنفذوا لي أربعة دراهم أفيون واعلموا أني أشربها، فتلحقني سكتة، فلا تشك إلى الأكراد أني قد مت فيحملوني إليكم، فإذا حصلت عندكم، فأدخلوني الحمام واضربوني ليحمى بدني وسَوِّكوني بالأيارج، فإني أفيق.

وكان الفتى متخلقاً وقد سمع أنه من شرب أفيوناً أسكت، فإذا دخل الحمام وضرب وسوك بالأيارج برئ، فلم يعلم مقدار الشربة من ذلك، فشرب أربعة دراهم فلم يشك الأكراد في موته، فلفوه في شيء وأنفذوه إلى أهله، فلما حصل عندهم أدخلوه الحمام وضربوه وسوكوه، فما تحرك وأقام في الحمام أياماً، ورآه أهل الطب، فقالوا: قد تلف. كم شرب أفيوناً؟ قالوا: وزن أربعة دراهم. فقالوا لهم: هذا لو شُوِيَ في جهنم ما عاش، إنما يجوز أن يفعل هذا بمن شرب أربعة دوانيق أفيوناً أو وزن درهم أو حواليه، فأما هذا، فقد مات، فلم يقبل أهله ذلك فتركوه في الحمام حتى أراح وتغيَّر فدفنوه، وانعكست الحيلة على نفسه.

[٢٦٧] ـ قال المحسن: وقد روي قديماً مثل هذا أن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري كان في حبس الحجاج، وكان يعذبه وكان كل من مات من الحبس رفع خبره إلى الحجاج، فيأمر بإخراجه وتسليمه إلى أهله، فقال بلال للسجان: خذ مني عشرة آلاف درهم وأخرج اسمي إلى الحجاج في الموتى، فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي هربت في الأرض، فلم يعرف الحجاج خبري، وإن شئت أن تهرب معي فافعل وعلي غناك أبداً، فأخذ السجان المال ورفع اسمه في الموتى، فقال الحجاج: مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى أراه هاته، فعاد إلى بلال فقال: اعهد. قال: وما الخبر؟ قال: إن الحجاج قال كيت وكيت، فإن لم أحضرك إليه ميتاً قتلني، وعلم أني أردت الحيلة عليه، ولا بد أن أقتلك خنقاً فبكى بلال وسأله أن لا يفعل، فلم يكن إلى ذلك طريق فأوصى وصلى، فأخذه

(١) الرستاق: موضع فيه زرع، أو هو القرى والبيوت المجتمعة.

السجان وخنقه، وأخرجه إلى الحجاج، فلما رآه ميتاً قال: سلمه إلى أهله فأخذوه، وقد اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم ورجعت الحيلة عليه.

[٢٦٨] ـ وذكر ابن جرير وغيره أن المنصور دفع عبد اللّه بن علي إلى عيسى بن موسى سرّاً بالليل قال: يا عيسى، إن هذا أراد أن يزيل نعمتي ونعمتك، وأنت ولي عهدي بعد المهدي، والخلافة صائرة إليك، فخذه فاضرب عنقه، وإياك أن تخور أو تضعف، ثم كتب إليه: ما فعلت فيما أمرتك به، فكتب إليه: قد أنفذت ما أَمَرتني به، فلم يشك في أنه قتله، وكان عيسى قد أخبر كاتبه بالحال، فقال: إنما أراد قتلك وقتله لأنه أمرك أن تقتله سرّاً ثم يدعيه عليك علانية فيقيدك به، قال: فما الرأي؟ قال: أن تستره في منزلك، فإن طلبه منك علانية أظهرته علانية.

ثم إن المنصور دسَّ على عمومته من يحركهم على مسألة عن عبد اللّه بن علي ويطمعهم في أنه سيفعل وكلموه ورافعوه، فقال: عليَّ بعيسى بن موسى، فأتاه، فقال: يا عيسى، قد علمت أني دفعت إليك عبد اللّه بن علي، وقد كلموني فيه فأتني به، فقال: يا أمير المؤمنين؛ ألم تأمرني بقتله؟ ثم قال لعمومته: قد أقر لكم بقتل ابن أخيكم فادعى أني أمرته بقتله وكذب، قالوا: فادفعه إلينا نقيده. قال: شأنكم به فأخرجوه إلى الرحبة، واجتمع الناس، فشهر أحدهم سيفه، وتقدم إلى عيسى ليضربه، فقال له عيسى: أقاتلي أنت؟ قال: أي واللّه. قال: ردوني إلى أمير المؤمنين، فردوه، فقال: إنما أردت بقتله أن تقتلني. هذا عمك حي سوي، فأتاه به.

[٢٦٩] ـ حدّثنا الحارثي قال: اجتزت ببغداد في أيام المقتدر، وأنا حَدَثٌ مع جماعة من مُجّان أصحاب الحديث، وإذا بخادم خَصِيّ جالس على دَكَّة في الطريق وبين يديه أدوية ومكاحل ومباضع، وعلى رأسه مظلة خرق كما يكون الطبيب، فقلت لأصحابنا: ما هذا؟ فقالوا: خادم طبيب يصف للناس ويعالج ويأخذ الدراهم، وهذا من عجائب بغداد، فقلت: أنا أحب أن أخاطبه لأنظر كيف فهمه، فقال واحد منهم: فهمه لا أدري ولكن نحب أن تعبث به، فقلت: أفعل، فتقدم إليه وتغاشى وتماوت وتمارض وقال: يا أستاذ يا أستاذ دفعات، فضجر الخادم وقال: قل ـ لا شفاك اللّه ـ أيش أصابك، أي طاعون ضربك؟ قال: فقال له: يا أستاذ؛ أجِد ظلمة في أحشائي ومغصاً في أطراف شعري، وما آكله اليوم يخرج غداً مثل الجيفة، فصف لي صفة لما أنا فيه، قال: وكان الخادم قد أعد الجواب، فقال: أما ما تجد من مغص في أطراف شعرك فاحلق رأسك ولحيتك حتى يذهب مغصك، وأما ظلمة في أحشائك، فعلّق على باب جحرك قنديلاً يضيء مثل

الساباط، وأما ما تأكله اليوم يخرج غداً مثل الجيفة فكُلْ خراك واربح النفقة. قال: فعطعط بنا العامة القيام، وضحكوا بنا، وانقلب الطَّنْزُ الذي أردنا بالخادم، وصار طنزاً بنا، فصار أقصى إرادتنا الهرب، فهربنا.

[٢٧٠] ـ حدّثنا الحسين بن عثمان وغيره: أن عضد الدولة بعث القاضي أبا بكر الباقلاني في رسالة إلى ملك الروم، فلما ورد مدينته عرف الملك خبره وبين له محله من العلم، فأفكر الملك في أمره، وعلم أنه لا يفكر له إذا دخل عليه كما جرى رسم الرعية أن يقبِّل الأرض بين يدي الملك، فنتجت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه وراء باب لطيف لا يمكن أحد أن يدخل منه، إلا راكعاً ليدخل القاضي منه على تلك الحال عوضاً من تفكيره بين يديه، فلما وصل القاضي إلى المكان فطن بالقصة، فأدار ظهره وحنى رأسه، ودخل من الباب وهو يمشي إلى خلفه، وقد استقبل الملك بدبره حتى صار بين يديه، ثم رفع رأسه ونصب وجهه وأدار وجهه حينئذ إلى الملك، فعلم الملك من فطنته وهابه.

[٢٧١] ـ وقد روينا أن مزينة أسرت ثابتاً أبا حسان الأنصاري، وقالوا: لا نأخذ فداءه إلا تيساً فغضب قومه وقالوا: لا نفعل هذا، فأرسل إليهم أعطوهم ما طلبوا، فلما جاؤوا بالتيس. قال: أعطوهم أخاهم وخذوا أخاكم، فسموا مزينة التيس، فصار لهم لقباً وعبثاً.

[٢٧٢] ـ وكان مهيار الشاعر ألحى والمطرز الشاعر كوسجاً، فمرّا بأبي الحسن الجهرمي فقال:

اضْرِطْ على الكَوْسَجِ والألحى ... وزِدْهُما إن غَضِبَا سِلْحا

وأراد أن يتهماه، فقال له المطرّز: فكيف وقع لك أن تذكر علي بن أبي علي حاجب القادر بالله، والحسن بن أحمد صاحب القادر بعد علي بن أبي علي، وكان علي ألحى والحسن كوسجاً، فانزعج الجهرمي وخاف أن يبلغه ذلك، فيقابل عليه، فكتب إلى مهيار الديلمي يستعطفه:

أبا الحَسَن اصْفَحْ إنَّ مثلي مَنْ جَنَى ... ومِثْلَكَ مَنْ أعفى من العَذْوِ أو عَفَا

أئِنْ طَوَّحَتْ بي هَفْوَةٌ قُلْتَ جَفْوةً ... وَحَمَّلْتَ سَمْعي مِن عِتَابِك ما حَفَا

[٢٧٣] ـ حدّثني أبو بكر الخطاط قال: كان رجل فقيه خطه في غاية الرداءة، فكان الفقهاء يعيبونه بخطه، ويقولون: لا يكون خط أردأ من خطك، فيضجر من عيبهم إياه، فمر يوماً بمجلد يباع فيه خط أردأ من خطه، فبالغ في ثمنه، فاشتراه

بدينار وقيراط، وجاء به ليحتج عليهم إذا قرأوه فلما حضر معهم أخذوا يذكرون قبح خطه، فقال لهم: قد وجدت أقبح من خطي وبالغت في ثمنه، حتى أتخلص من عيبكم، فأخرجه فتصفحوه، وإذا في آخره اسمه وإنه كتبه في شبابه، فخجل من ذلك.

[٢٧٤] ـ قال: كان بالبصرة مغنية حذرها[١] خمسة دنانير، وكانت مفرطة في حسن الصورة والغناء إلا أنها بدوية تقلب القاف كافاً، فدعيت لبعض أمراء البصرة، فغنت:

ومالي لا أبكي وأندب ناقتي

فجاء في كلامها: وأندب ناكتي، فقال الأمير: قد وَزَنّا خمسة دنانير، فإذا كنت تندبيننا فما نريد أن تقيمي عندنا، فصرفها وقد خجلت. والله أعلم.

* * *

---

(١) أي: أجرتها.

فـي ذكـر
من وقع في آفة فتخلص منها بالحيلة

[٢٧٥] ـ ذكر أن عمر بن الخطاب رضي اللّه تعالى عنه استعمل رجلاً من قريش على عمل، فبلغه أنه قال:

اسْقني شُربةً ألذّ عليها ... واسْقِ باللّه مِثلها ابنَ هِشَامِ

فأشخصه إليه، وذكر أنه إنما أشخصه من أجل البيت، فضم إليه آخر فلما قدم عليه قال: ألست القائل:

اسقني شربةً ألذّ عليها ... واسق باللّه مثلها ابن هشام

قال: نعم يا أمير المؤمنين:

عسلاً بارداً بماءِ سَحَاب ... إنّني لا أحبّ شربَ المُدَام

قال: اللّه اللّه! قال: ارجع إلى عملك.

[٢٧٦] ـ قال: حدّثني عبيد راوية الأعشى قال: خرج النعمان إلى ظهر الحيرة، وكان معشاباً، وكانت العرب تسميه خد العذراء فيه نبت الشيح والقيصوم والخزامى والزعفران وشقائق النعمان والأقحوان فمر بالشقائق، فأعجبته فقال: من نزع من هذا شيئاً فانزعوا كفه، قال: فسميت شقائق النعمان. قال: فإنه ليسير فيها يوماً فانتهى إلى وهدة في طرف النجف، وإذا شيخ يخصف نعلاً، فوقف عليه وقد سبق أصحابه، فقال: ممن أنت يا شيخ؟ قال: من بكر بن وائل، فقال: يا شيخ؛ مالك هٰهنا؟ قال: طرد النعمان الرعاة فأخذوا يميناً وشمالاً، ووجدت وهدة خالية فنتجت الإبل وولدت الغنم وسالت السمن، فقال: أوما تخاف النعمان؟ قال: وما أخاف منه، واللّه لربما لمست بيدي هذه ما بين سرة أمه وعانتها، كأنه أرنب جاثم. قال: أنت أيها الشيخ؟ قال: نعم. قال: فهاج وجهه غضباً وطلعت أوائل خيله، فقالوا: حييت أبيت اللعن. قال: وحسر عن رأسه فإذا خرزات ملكه فقال النعمان: أيها الشيخ كيف قلت؟ قال: أبيت اللعن لا يهولَنَّكَ ذاك، واللّه لقد علمت العرب أنه ليس بين لابتيها أكذب مني فضحك ثم مضى.

[٢٧٧] ـ قال: طلب الحجاج الحكم بن أيوب بن جبر بن حبيب، فخشي

أن يجيء به فيعاقبه، فقال: تركته يتحرك رأسه يصب في حلقه الماء، واللَّه لئن حمل على سرير لتكونن عورة، فقيل له: انصرف.

[٢٧٨] ـ حدّثنا محمد بن قتيبة في حديث عبد اللَّه بن مسعود: أنه ذكر بني إسرائيل وتحريفهم وتغييرهم، وذكر عالماً كان فيهم عرضوا عليه كتاباً اختلقوه على اللَّه عزّ وجلّ، فأخذ ورقة فيها كتاب اللَّه عزّ وجلّ، ثم جعلها في قرن، ثم علقه في عنقه، ثم لبس عليه الثياب، فقالوا: أتؤمن بهذا؟ قال: فأومأ بيده إلى صدره وقال: آمنت بهذا الكتاب. يعني الكتاب الذي في القرن، فلما حضره الموت نبشوه، فوجدوا القرن والكتاب، فقالوا: إنما عنى هذا.

[٢٧٩] ـ وعن الأصمعي عن أبيه قال: أتي عبد الملك بن مروان برجل كان مع بعض من خرج عليه، فقال: اضربوا عنقه، فقال: يا أمير المؤمنين؛ ما كان هذا جزائي منك. قال: وما جزاؤك؟ قال: واللَّه ما خرجت مع فلان إلا بالنظر لك وذلك أني رجل مشؤوم ما كنت مع رجل قط إلا غلب وهزم، وقد بان لك صحة ما ادعيت وكنت لك خيراً من مائة ألف معك، فضحك وخلى سبيله.

[٢٨٠] ـ قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قال شبيب بن شبة: دخل خالد بن صفوان التميمي على أبي العباس وليس عنده أحد، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إني واللَّه ما زلت منذ قلدك اللَّه خلافته أطلب أن أصير إلى مثل هذا الموقف في هذه الخلوة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإمساك الباب حتى أفرغ فعل. قال: فأمر الحاجب بذلك، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إني فكرتُ في أمرك وأجلت الفكر فيك، فلم أر أحداً له مثل قدرك اتساعاً في الاستمتاع بالنساء منك، ولا بأضيق فيهن عيشاً، إنك ملكت نفسك امرأة من نساء العالمين، واقتصرت عليها، فإن مرضَتْ مرضْتَ، وإن غابَتْ غبْتَ وإن عركَتْ عركْتَ، وحرمت يا أمير المؤمنين نفسك من التلذذ بأطراف الجواري، ومعرفة اختلاف أحوالهنّ والتلذذ بما يشتهى منهنّ. إن منهن يا أمير المؤمنين الطويلة التي تشتهى لجسمها، والبيضاء التي تحب لروعتها، والسمراء اللعساء، والصفراء العجزاء، ومولدات المدينة والطائف واليمامة ذوات الألسن العذبة والجواب الحاضر، وبنات سائر الملوك، وما يشتهى من نظافتهن. وتخلل خالد بلسانه فأطنب في صفات ضروب الجواري وشوقه إليهن، فلما فرغ قال: ويحك واللَّه ما سلك مسامعي كلام أحسن من هذا، فأعد عليَّ كلامك فقد وقع مني موقعاً، فأعاد عليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأه، ثم انصرف. وبقي أبو العباس مفكراً، فدخلت عليه أم سلمة، وكان قد حلف أن لا

يتخذ عليها ووفى، فلما رأته مفكراً قالت: إني لأذكرك يا أمير المؤمنين، فهل حدث شيء تكرهه وأتاك خبر ارتعت له؟ قال: لا، فلم تزل تستخبره حتى أخبرها بمقالة خالد. قالت: فما قلت لابن الفاعلة؟، فقال لها: ينصحني وتشتمينه، فخرجت إلى مواليها فأمرتهم بضرب خالد، فخرجت من الدار مسروراً بما ألقيت إلى أمير المؤمنين، ولم أشك في الصلة، فبينما أنا واقف أقبلوا يسألون عني فحققت الجائزة، فقلت لهم: ها أنا ذا، فاستبق إليَّ أحدهم بخشبة، فغمزت برذوني ولحقني فضرب كفله، وركضت ففتهم واستخفيت في منزلي أياماً، ووقع في قلبي أني أتيت من قبل أم سلمة، فما أشعر إلا بقوم قد هجموا عليَّ وقالوا: أجب أمير المؤمنين، فسبق إلى قلبي أنه الموت، فقلت: إنا للَّه وإنا إليه راجعون، لم أر دم شيخ أضيع من دمي. فركبت إلى دار أمير المؤمنين، فلقيته خالياً، فنظرت في المجلس بيتاً عليه ستور رقاق، وسمعت حساً خلف الستر، فقال: ويحك وصفت لأمير المؤمنين صفة فأعدها، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، أعلمتك أن العرب اشتقَّت اسم الضَّرَّة من الضَّرّ، وإنّ أحداً لم يكن عنده من النساء أكثر من واحدة إلّا ضُرَّ وتنغّص، فقال أبو العبَّاس: لم يكن هذا في الحديث. قال: بلى يا أمير المؤمنين، وأخبرتك أن الثلاث من النساء كأنهن في القِدر يغلي عليهن، قال: برئت من قرابتي من رسول اللَّه ﷺ إن كنت سمعت هذا منك ولا مرَّ في حديثك. قال: وأخبرتك أن الأربع من النساء شر مجموع لصاحبه يُشَيِّبْنَهُ ويُهْرِمْنَهُ. قال: لا واللَّه ما سمعت هذا منك. قلت: بلى واللَّه. قال: أفتكذبني؟ قلت: أفتقتلني؟ نعم واللَّه يا أمير المؤمنين، وأخبرتك أنّ أبكار الإماء رجال إلا أنه ليس لهن خصي. قال خالد: فسمعت ضحكاً من خلف الستر، ثم قلت: نعم واللَّه وأخبرتك أن عندك ريحانة قريش، وأنت تطمح بعينك إلى النساء والجواري، قال: فقيل لي من وراء الستر: صدقت واللَّه يا عماه بهذا حدثته، ولكنه غيَّر حديثك، ونطق على لسانك، فقال أبو العباس: ما لك قاتلك اللَّه؟!، قال: وانسلَلْتُ، فبعثت إليَّ أم سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذون وتخت ثياب.

[٢٨١] ـ حدّثني رجل من بني نوفل بن عبد مناف قال: لما أصاب نصيب من المال ما أصاب، وكان عنده أم محجن وكانت سوداء اشتاق إلى البياض، فتزوج امرأة سرية بيضاء، فغضبت أم محجن وغارت عليه، فقال لها: واللَّه يا أم محجن ما مثلي يغار عليه. إني شيخ كبير، وما مثلك يغار إنك لعجوز كبيرة، وما أحد أكرم عليَّ منك ولا أوجب حقاً، فجوزي هذا الأمر ولا تكدريه عليَّ. فرضيت وقرت ثم قال لها بعد ذلك: هل لك أن أجمع إليك زوجتي الجديدة، فهو أصلح

لذات البين، وألم للشعث وأبعد للشماتة؛ فقالت: نعم افعل وأعطاها ديناراً، وقال لها: إني أكره أن ترى بك خصاصة أن تفضل عليك، فاعملي لها إذا أصبحت عندك غداً بهذا الدينار، ثم أتى زوجته الجديدة، فقال لها: إني أردت أن أجمعَك إلى أم محجن غداً، وهي مكرمتك وأكره أن تفضل عليك أم محجن، فخذي هذا الدينار فأعدي لها به إذا أصبحت عندها غداً لئلا ترى بك خصاصة، ولا تذكري لها الدينار، ثم أتى صاحباً له يستنصحه فقال: إني أريد أن أجمع زوجتي الجديدة إلى أم محجن غداً، فأتني مسلّماً، فإني سأستجلسك للغداء، فإذا تغديت فسلني عن أحبهما إليَّ، فإني سأنفر وأعظم ذلك، فإذا أبيت عليك أن لا أخبرك فاحلف عليَّ، فلما كان الغد زارت زوجته الجديدة لأم محجن، ومر به صديقه، فاستجلسه، فلما تغديا أقبل الرجل عليه، فقال: يا أبا محجن أحب أن تخبرني عن أحب زوجتيك إليك. فقال: سبحان اللّه! أتسألني عن هذا، وهما يسمعان ما سُئِل عن مثل هذا أحد. قال: فإني أقسم عليك لتخبرني، فواللّه لا عذرتك ولا أقبل إلا ذاك. قال: أما إذا فعلت فأحبهما إليَّ صاحبة الدينار واللّه لا أزيد على هذا شيئاً، فأعرضت كل واحدة منهما تضحك ونفسها مسرورة، وهي تظن أنه عناها بذلك القول.

[٢٨٢] ـ قال: حدثني القاضي أبو الحسين بن عتبة قال: كانت لي ابنة عم موسرة وتزوجتها، فلم أوثرها لشيء من الجمال، ولكنني كنت أستعين بمالها وأتزوج سراً، فإذا فطنت بذلك هجرتني وطرحتني وضيقت عليَّ إلى أن أطلق من تزوجتها، ثم تعود إليَّ، فطال ذلك عليَّ، وتزوجت صبية حسناء موافقة لطباعي مساعدة على اختياري، فمكثت معي مدة يسيرة وسعي بها إلى ابنة عمي، فأخذت في المناكدة والتضييق عليَّ، فلم يسهل عليَّ فراق تلك الصبية فقلت لها: استعيري من كل جارة قطعة من أفخر ثيابها، حتى يتكامل لك خلعة تامة الجمال، وتبخري بالعنبر واذهبي إلى ابنة عمي فابكي بين يديها، وأكثري من الدعاء لها والتضرع إليها إلى أن تضجريها، فإذا سألتك عن حالك، فقولي لها: إن ابن عمي قد تزوجني، وفي كل وقت يتزوج عليَّ واحدة، وينفق مالي عليها، وأريد أن تسألي القاضي معونتي وإنصافي منه، فإني أقدمه إليه، فإنها سترفعك إليَّ ففعلت فلما دخلت عليها واتصل بكاؤها رحمتها، وقالت لها: فالقاضي شر من زوجك، وهكذا يفعل بي وقامت فدخلت عليَّ، وأنا في مجلس لي وهي غضبى ويد الصبية في يدها، فقالت: هذه المشؤومة حالها مثل حالي، فاسمع مقالها واعتمد إنصافها، فقلت: ادخلا، فدخلتا جميعاً، فقلت لها: ما شأنك؟ قالت: فذكرت ما وافقها عليه،

فقلت لها: هل اعترف ابن عمِّك بأنه قد تزوج عليك؟ فقالت: لا، واللَّه. وكيف يعترف بما يعلم أني لا أقارُه عليه. قلت: فشاهدت أنت هذه المرأة وقفت على مكانها وصورتها، فقالت: لا واللَّه. فقلت: يا هذه اتقي اللَّه ولا تقبلي شيئاً سمعته، فإن الحساد كثير والطلاب لإفساد النساء كثير والحيل والتكذيب، فهذه زوجتي قد ذكر لها أني تزوجت عليها، وكل زوجة لي وراء هذا الباب طالق ثلاثاً بَتَّةً، فقامت ابنة عمِّي فقبَّلت رأسي وقالت: قد علمت أنه مكذوب عليك أيها القاضي، ولم يلزمني حنث لاجتماعهما بحضرتي.

[٢٨٣] ـ حدّثنا الأصمعي قال: أتي المنصور برجل ليعاقبه على شيء بلغه عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين، الانتقام عدل، والتجاوز فضل، ونحن نعيذ أمير المؤمنين باللَّه أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين، فعفا عنه.

[٢٨٤] ـ حدّثنا أبو الحسن المدائني أن أحمد بن سميط أسر خمسمائة فأتى بهم المختار، فقتل مائتين وأربعين وحبس بعضاً، ومنَّ على بعض، فكان ممن حبس من الأسرى سراقة بن مرداس البارقي، ثم أمر بقتله فقال: لا واللَّه لا تقتلني، حتى أنقض معك داري حجراً حجراً. قال: وما يدريك؟ قال: الأخبار الصادقة التي جاءت بها الكتب الناطقة، فأقبل المختار على عبد اللَّه بن كامل وعلى أبي عمرة، فقال: من يظهر أسرارنا، فأمر بتخليته، فقال سراقة: إنا قد أسرنا قوم لا نراهم. قال: هم هؤلاء وهم شرط اللَّه. قال: لا واللَّه لقد أسرنا قوم عليهم عمائم حمر على خيل بلق تطير بين السماء والأرض. قال: هذه الملائكة، فأعلم الناس ذلك يا سراقة. قال: فصعدت منارة وأعلمت الناس وحلفت لهم، فخلى سبيلي.

[٢٨٥] ـ حدّثنا ابن عياض قال: استؤمن لعباس بن سهل بن سعد الساعدي من مسلم بن عقبة يوم الحرة، فأبى أن يؤمنه فأتوه به ودعا بالغداء، فقال عباس: أصلح اللَّه الأمير، واللَّه لكأنّها جفنة أبيك؛ كان يخرج عليه مطرف حرة حتى يجلس بفنائها، ثم يضع جفنته بين يدي من حضر. قال: صدقت كان كذلك، أنت آمن. فقيل للعباس: كان أبوه كما قلت؟، قال: لا واللَّه، لقد رأيته في عناء بحرة ما نخاف على ركابنا ومتاعنا أن يسرقه غيره.

[٢٨٦] ـ حدّثنا دريد، عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه قال: بعث إليَّ الرشيد، فدخلت فإذا صبية، فقال: من هذه الصبية؟ فقلت: لا أدري.

قال: هذه مواساة بنت أمير المؤمنين، فدعوت لها وله. قال: نعم، فقبِّل رأسها، فقلت: إن أطعته أدركته الغيرة، فقتلني، وإن أنا عصيته قتلني بمعصية، فوضعت كمي على رأسها وقبّلت كمي، فقال: واللّه يا أصمعي لو أخطأتها لقتلتك. أعطوه عشرة آلاف درهم.

[٢٨٧] ـ حدّثنا ابن البهلول أن أبا حذيفة واصل بن عطاء خرج يريد سفراً في رهط، فاعترضهم جيش من الخوارج، فقال واصل: لا ينطقن أحد ودعوني معهم، فقصدهم واصل، فلما قربوا بدأ الخوارج ليوقعوا، فقال: كيف تستحلون هذا وما تدرون من نحن ولا لأي شيء جئنا؟ فقالوا: نعم. فما أنتم؟ قال: قوم من المشركين جئناكم لنسمع كلام اللّه. قال: فكفوا عنهم، وبدأ رجل منهم يقرأ عليهم القرآن، فلما أمسك قال واصل: قد سمعنا كلام اللّه، فأبلغنا مأمننا حتى ننظر فيه، وكيف ندخل في الدين، فقال: هذا واجب. سيروا، فسرنا والخوارج واللّه معنا يحمونا فراسخ، حتى قربنا إلى بلد لا سلطان لهم عليه، فانصرفوا.

[٢٨٨] ـ قال أبو إسحاق الجهمي: لما صرف الحجاج قال لغلام له: تعال نتنكر وننظر ما لنا عند الناس، فتنكرا وخرجا فمرا على المطلب غلام أبي لهب، فقالا: يا هذا، أي شيء على الحجاج؟ قال: على الحجاج لعنة اللّه. قالا: فمتى يخرج؟ قال: أخرج اللّه روحه من بين جنبيه ما يدريني؟!. قال: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا الحجاج بن يوسف. قال المطلب: أتعرفني أنت؟ قال: لا. قال: أنا المطلب غلام أبي لهب، معروف أني أصرع في كل شهر ثلاثة أيام، أولها اليوم، فتركه ومضى[١].

[٢٨٩] ـ وحكى أبو الحسن بن هلال الصابي أن الحجاج انفرد يوماً من عسكره، فمر ببستاني يسقي ضيعته، فقال: كيف حالكم مع الحجاج؟ فقال: لعنه اللّه المبيد، الحقود، عجل اللّه الانتقام منه، فقال له: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا الحجاج، فرأى أن دمه قد طاح، فرفع عصا كانت معه، فقال: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا أبو ثور المجنون، وهذا يوم صرعي، وأزبد وأرغى وهاج، وأراد أن يضرب رأسه بالعصا، فضحك منه وانصرف.

[٢٩٠] ـ وبلغنا أن الحجاج انفرد يوماً عن عسكره، فلقي أعرابياً، فقال: يا وجه العرب، كيف الحجاج؟ قال: ظالم غاشم. قال: فهلا شكوته إلى

(١) الخبر في «أخبار الظِّراف والمتماجنين» (ص١٣١/ رقم: ٢٩٢).

عبد الملك؟ فقال: لعنه اللّه أظلم منه وأغشم؛ فأحاط به العسكر، فقال: أركبوا البدوي، فأركبوه، فسأل عنه، فقالوا: هو الحجاج، فركض من الفرس خلفه، وقال: يا حجاج! قال: ما لك؟ قال: السر الذي بيني وبينك لا يطلع عليه أحد، فضحك وخلاه[1].

[٢٩١] ـ ولقي الحجاج أعرابياً بفلاة فسأله عن نفسه، وعن عماله وسعاته، فأخبره بكل ما يكره، فقال له: أنا الحجاج قتلني اللّه إن لم أقتلك، قال: فأين حق الاسترسال؟ قال: أولى لك ما أحسن ما تخلصت، وخلى سبيله.

[٢٩٢] ـ قال: كان أبو الحسين بن السماك يتكلم على الناس بجامع المدينة، وكان لا يحسن من العلوم شيئاً إلا ما شاء اللّه، وكان مطبوعاً يتكلم على مذهب الصوفية، فكتبت إليه رقعة: ما يقول السادة الفقهاء في رجل مات وخلف كذا وكذا؟ ففتحها فتأملها فقرأ: ما تقول السادة الفقهاء في رجل مات، فلما رآها في الفرائض رماها من يده، وقال: أنا أتكلم على مذاهب قوم إذا ماتوا لم يخلفوا شيئاً، فعجب الحاضرون من حدة خاطره.

[٢٩٣] ـ ويحكى أن مزيداً كان يدخل على بعض ولاة المدينة، فأبطأ عليه ذات يوم، ثم جاء، فقال: ما أبطأك عني؟ قال: جارة لي كنت أهواها منذ حين، فظفرت بها ليلتي وتمكنت منها، فغضب الوالي، وقال: واللّه لآخذنك بإقرار، فلما رأى الجد منه، قال: فاسمع تمام حديثي، قال: وما هو؟ قال: فلما أصبحت خرجت أطلب مفسراً يفسر لي رؤياي، فلم أقدر عليه إلى الساعة. قال: ذلك في المنام رأيت؟ قال: نعم. فسكن غضبه.

[٢٩٤] ـ وقد روينا عن أبي الفضل الربعي عن أبيه قال: قال المأمون يوماً وهو مغضب لأبي دلف: أنت الذي يقول فيك الشاعر:

إنَّما الدُّنيا أبو دلف ... بين باديه ومُحتضرِهْ
فإذا ولَّى أبو دلفٍ ... ولّتِ الدُّنيا على أثرهْ

فقال: يا أمير المؤمنين، شهادة زور، وقول عزور وملق معتاف وطلب عرف، وأصدق منه ابن أخت لي حيث يقول:

دعيني أجوبُ الأرضَ في طَلَبِ الغِنَى ... فلا الكرخ الدُّنيا ولا الناسَ قاسِمُ

(١) الخبر في «أخبار الظِّراف والمتماجنين» (ص١٣١/ رقم: ٢٩٣)، و«العقد الفريد» (٣/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨ ـ ط. دار الكتاب العربي).

فضحك المأمون وسكن غضبه.

[٢٩٥] ـ وروي أن عزة وبثينة اجتمعتا فتحدثتا، فأقبل كثيِّر، فقالت بثينة: أتحبين أن أبين لك أن كثيِّراً غير صادق في محبتك؟ قالت: نعم. قالت: ادخلي الخباء، فدخلت فدنا كثيِّر فوقف على بثينة، فسلم عليها فقالت له: ما تركت عزة فيك مستمعاً لأحد، فقال كثيِّر: واللّه لو أن عزة أمة لوهبتها لك، فقالت: إن كنت صادقاً فقل في هذا شعراً فأنشأ يقول:

رَمَتْني عَلَى عَمْدٍ بُثَيْنَةُ بَعْدَما ... تَوَلَّى شَبابِي وارْجَحَنَّ شَبابُها

بِعَيْنَيْنِ نَجْلاوَيْنِ لَوْ رَقْرَقَتْهُما ... لِنَوْءِ الثُّرَيَّا لَاسْتَهَلَّ سَحَابُها

فبادرت عزة وكشفت الحجاب، وقالت له: يا فاسق! قد سمعت البيتين، فقال لها: فاسمعي الثالث. قالت: وما هو؟ قال:

ولٰكِنَّما تَرْمِينَ نَفْساً سَقِيمَةً ... لِعَزَّةَ مِنْها صَفْوُها ولُبابُها

فاستحسنت عذره.

[٢٩٦] ـ وذكر أبو هلال العسكري أن رجلاً كانت له صديقة لها زوج غائب، وكان يأتيها على طمأنينة، فقدم زوجها، فدخل فرأى الرجل نائماً، فظنه المرأة؛ فأخذ برجليه، فوثب إلى السيف، وكان في جيرانه معاوية بن ستار، فنادى: يا معاوية، هل وفيت؟، فتوهم الزوج أنه جعل له على ما فعل، وعلم معاوية أنه مكروب، فقال: نعم وتعليت، فخلّاه الزوج.

[٢٩٧] ـ وحكى أبو الحسن بن الصابي أن مغنية غنت بين يدي المهدي:

ما نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا ... أَنَّهُمْ يَسْفَهُونَ إذا غَضِبُوا

فقيل لها: غلطت. فقالت: غلطي يذكرني هذا البيت فأصلحته بما سمعتم.

* * *

فـي ذكـر
من استعمل بذكائه المعاريض

[٢٩٨] ـ أخبرنا سعيد بن المسيب أن عائشة رضي اللّه عنها سئلت، هل كان رسول اللّه ﷺ يمزح؟ قالت: نعم. كان عندي عجوز، فدخل رسول اللّه ﷺ فقالت: ادع اللّه أن يجعلني من أهل الجنة. قال: «**إن الجنة لا تدخلها العجائز**». وسمع النداء، فخرج ودخل وهي تبكي، فقال: ما لها؟ قالوا: إنك حدثتها أن الجنة لا يدخلها العجائز. قال: «**إن اللّه يحولهن أبكاراً عرباً تراباً**»(١).

[٢٩٩] ـ قال: وحدّثنا الحارث بن نوفل أن العباس بن عبد المطلب قال: يا رسول اللّه، ما ترجو لأبي طالب؟ قال: «**كل خير أرجو من ربي**».

[٣٠٠] ـ وحدّثنا القرشي قال: دخلت امرأة على رسول اللّه ﷺ فقال: «**من زوجك؟**»، فسمته له، فقال: «**الذي في عينيه بياض؟**»، فرجعت فجعلت تنظر إلى زوجها، فقال: ما لك؟ قالت: قال رسول اللّه ﷺ: «**زوجك فلان؟**»، قلت: نعم. قال: الذي في عينيه بياض؟ قال: أوَلَيْس البياض في عيني أكثر من السواد؟.

[٣٠١] ـ حدّثنا أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ ليستحمله قال: «**أنا حاملك على ولد ناقة**» قال: يا رسول اللّه: وما أصنع بولد ناقة؟ قال: «**وهل تلد الإبل إلا النوق**»(٢).

[٣٠٢] ـ حدّثنا محمد بن سلمى، عن محمد بن إسحاق أن رسول اللّه ﷺ لما سار إلى بدر نزل قريباً منها، ثم ركب هو ورجل من أصحابه. قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن يحيى بن حبان: أنه وقف على شيخ، فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما. فقال رسول اللّه ﷺ: «**إذا أخبرتنا أخبرناك**». قال: وذاك بذاك،

---

(١) أخرجه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (رقم: ٢٤٠) وحسّنه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص١٢٨/ رقم: ٢٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٩٨) والترمذي (١٩٩١) وفي «الشمائل» (رقم: ٢٣٨) وأحمد (٣/ ٢٦٧) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٨)، وصحّحه الشيخ الألباني رحمه اللّه.

ثم قال الشيخ: إنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا بالمكان الذي فيه رسول الله ﷺ، وبلغنا أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا بالمكان الذي به قريش، فلما فرغ من خبره قال: فمن أنتم؟ قال رسول الله ﷺ: «**نحن من ماء العراق**»، قال أحمد بن علي: أوهمه النبي ﷺ بأنه من العراق، فكان العراق يسمى ماء، وإنما أراد النبي ﷺ من العراق أنه خلق من نطفة ماء[(١)].

[٣٠٣] ـ عن ابن أبي الزناد قال: كان عند أسماء بنت أبي بكر قميص من قُمُص رسول الله ﷺ، فلما قتل عبد الله بن الزبير ذهب القميص فيما ذهب وفيما انتهب، فقالت أسماء: لَلْقميص أشد عليَّ من قتل عبد الله، فوجد القميص عند رجل من أهل الشام، فقال: لا أردّه أو تستغفر لي أسماء، فقيل لها: قالت: كيف أستغفر لقاتل عبد الله. قالوا: أفليس يرد القميص. قالت: قولوا له فليجئ، فجاء بالقميص ومعه عبد الله بن عروة، فقالت: ادفع القميص إلى عبد الله، فدفعه. فقالت: قبضت القميص يا عبد الله؟ قال: نعم. قالت: غفر الله لك يا عبد الله، وإنما عنت عبد الله بن عروة.

[٣٠٤] ـ عن حجر المدري قال: قال لي علي رضي الله عنه: كيف بك إذا أمرت أن تلعنني؟ قلت: أوكائن ذلك؟ قال: نعم. قلت: كيف أصنع؟ قال: الْعَنِّي ولا تتبرأ مني. قال: فقام محمد بن يوسف إلى جنب المنبر يوم الجمعة فقال له: العن علياً فقال: إن الأمير أمرني أن ألعن علياً محمد بن يوسف العنوه لعنه الله، فلقد تفرق أهل المسجد، وما فهمها إلا رجل واحد.

[٣٠٥] ـ قال: قامت الخطباء إلى المغيرة بن شعبة بالكوفة، فقام صعصعة بن سرحان، فتكلم. فقال المغيرة: أرجئوه فأقيموه على المصطبة، فليلعن علياً، فقال: لعن الله من لعن الله ولعن علي بن أبي طالب، فأخبره بذلك، فقال: أقسم بالله لتقيدنّه، فخرج، فقال: إن هذا يأبى إلا علي بن أبي طالب، فالعنوه لعنه الله، فقال المغيرة: أخرجوه أخرج الله نفسه.

[٣٠٦] ـ قال: كلم رجل عيسى بن موسى في شيء وعنده عبد الله بن شبرمة القاضي، فقال عيسى للرجل: من يعرفك؟ قال: ابن شبرمة. قال: أتعرفه؟

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٣/ ٢٦٤)، ولم يرد فيه ذكر العراق؛ إنما لفظه: «نحن من ماء».

قال: إني لأعلم أن له شرفاً وبيتاً وقدماً، فلما خرج ابن شبرمة سئل عن ذلك، فقال: أعلم أن له أذنين مشقوقتين، وأن له بيتاً يأوي إليه، وأن له قدماً يطأ بها.

[٣٠٧] ـ قال: ضرب الحجاج عبد الرحمن بن أبي ليلى وأقامه للناس، ومعه رجل يحثه، ويقول: العن علياً، فيقول: اللهم العن الكذابين، ثم يسكت، ويقول: آه علي بن أبي طالب، ثم يسكت، ثم يقول: المختار بن الزبير.

[٣٠٨] ـ حدّثنا المبارك قال: بينما الحجاج جالس إذ أقبل رجل مقارب الخلق أفجع ذو غدر بيِّن، فلما رآه الحجاج قال: مرحباً بأبي غادية، فلم يرحب به حتى أجلسه على سريره، ثم قال له: أنت قاتل ابن سمنة؟ قال: نعم، قال: كيف؟ قال: صنعت كذا وفعلت كذا حتى قتلته. قال الحجاج لأهل الشام: من سره أن ينظر إلى رجل عظيم الباع يوم القيامة، فلينظر إلى هذا الذي قتل ابن سمنة، ثم ساره أبو غادية، فسأله شيئاً فأبى عليه، فقال أبو غادية: نعطي لهم الدنيا، ثم نسألهم منها شيئاً فلا يعطونا، وتزعم أنه عظيم الباع يوم القيامة قال: أجل. واللَّه إن من كان ضرسه مثل أحد، وفخذه مثل وقان، وساقه البيضاء، ومجلسه ما بين المدينة إلى الزبيد لعظيم الباع يوم القيامة، واللَّه لو أن عمار بن سمنة قتله أهل الأرض لدخلوا كلهم النار.

[٣٠٩] ـ قال القرشي: كان مطرف بن عبد اللَّه خرج مع ابن الأشعث، فأتي به إلى الحجاج بعد ذلك، فقال له الحجاج: يا مطرف، أكفرت؟ قال: لا، ولكن كانت حيرة، ولو نصرنا الحق وأهله كان خير لنا.

[٣١٠] ـ قال القرشي: وحدّثنا أبو جعفر المديني قال: خرج قوم من الخوارج بالبصرة، فلقوا شيخاً أبيض الرأس واللحية، فقالوا له: من أنت؟ قال: أعهد إليكم من اليهود بشيء أو بدا لكم في قتل أهل الذِّمَّة؟، قالوا: اذهب عنا إلى النار.

[٣١١] ـ أخبرنا أبو العباس أحمد بن يعقوب قال: كان يحيى بن أكثم يحسد حسداً شديداً، وكان مفنناً، فكان إذا نظر إلى رجل يحفظ الفقه سأله عن الحديث، وإذا رآه يحفظ الحديث سأله عن النحو، وإذا رآه يعلم النحو سأله عن الكلام ليخجله ويقطعه، فدخل إليه رجل من أهل خراسان ذكي حافظ، فناظره فرآه مفنناً، فقال له: نظرت في الحديث؟ قال: نعم. قال: فما تحفظ من الأصول؟ قال: أحفظ حديث شريك، عن أبي إسحاق، عن الحارث أن علياً رجم لوطياً، فأمسك، فلم يكلمه.

[٣١٢] ـ قال: قال رجل لهشام بن عمرو الفوطي: كم تعد؟ قال: من

واحد إلى ألف ألف وأكثر. قال: لم أرد هذا؟ قال: فما أردت؟ قال: كم تعدّ من السن؟ قال: اثنين وثلاثين، ستة عشر من أعلى وستة عشر من أسفل. قال: لم أرد هذا: قال: فما أردت؟ قال: كم لك من السنين؟ قال ما لي منها شيء كلها للّه عزّ وجلّ. قال: فما سنك؟ قال: عظم. قال: فابن كم أنت؟ قال: ابن اثنين أب وأم. قال: فكم أتى عليك؟ قال: لو أتى علي شيء لقتلني. قال: فكيف أقول؟ قال: قل كم مضى من عمرك؟[1].

[٣١٣] ـ وثب رجلان على بعض الملوك في زمن الإسكندر، فقال الإسكندر: إن من قتل هذا عظيم الفعال، ولو ظهر لنا جازيناه بما يستحق ورفعناه على الناس، فلما بلغهما ذلك ظهرا، فقال الإسكندر: أنا مجازيكما بما تستحقان، فما يستحق من قتل سيده ورافع قدره، فغدر به إلا القتل، وأما رفعكما على الناس؟ فإني سأصلبكما على أطول خشب يمكنني.

[٣١٤] ـ روي أن رجلين من آل فرعون سعيا برجل مؤمن إلى فرعون، فأحضره فرعون وأحضرهما وقال للساعيين: من ربكما؟ قالا: أنت. فقال للمؤمن: من ربك؟ قال: ربي ربهما. فقال: فرعون سعيتما برجل على ديني لأقتله. فقتلهما. قالوا: فذلك قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥].

[٣١٥] ـ حدثنا إسحاق بن هانئ قال: كنا عند أبي عبد اللّه أحمد بن حنبل رضي اللّه عنه في منزله ومعنا المروزي، ومهنى بن يحيى الشامي، فدق داق الباب وقال: المروزي ههنا؟ فكأن المروزي كره أن يعلم موضعه، فوضع مهنى بن يحيى إصبعيه في راحته وقال: ليس المروزي ههنا، فضحك أحمد ولم ينكر عليه ذلك.

[٣١٦] ـ بلغني عن أبي بكر الخلال، قال أبو بكر المروزي: جاء مهنى بن يحيى الشامي إلى أبي عبد اللّه ومعه أحاديث، فقال: يا أبا عبد اللّه، معي هذه الأحاديث، وأريد أن أخرج، فحدثني بها، فقال: متى تريد أن تخرج؟ قال: الساعة أخرج، فحدثه بها وخرج، فلما كان من الغد أو بعد ذلك جاء إلى أبي عبد اللّه، فقال له أبو عبد اللّه: أليس قلت لي أخرج الساعة؟ قال: قلت لك إني أخرج الساعة من بغداد! إنما قلت أخرج من زقاقك.

---

(١) قال الذهبي معقباً على هذا الخبر: «هذا غاية ما عند هؤلاء المتقعّرين من العلم، عبارات وشقاشق لا يعبأ اللّه بها، يحرّفون بها الكلم عن مواضعه قديماً وحديثاً، فنعوذ باللّه من الكلام وأهله» «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥٤٧).

[٣١٧] ـ عن مصعب الزبيري قال: أُتي العريان بشاب سكران، فقال له: من أنت؟ فقال شعراً:

تَرَى النـاسَ أفـواجاً إلى ضوءِ نَارِهِ فَـمِـنْـهُـم قـيـامٌ حـولَـهـا وقُـعـودُ

فقال لبعض شرطه: سل عن هذا، فسأل عنه، فقال: هو ابن صاحب باقلّا.

قلت: وفي رواية أخرى زيادة:

تـرى الـنـاس أفـواجاً إلى ضـوء نـاره فـمـنـهـم قـيـام حـولـهـا وقـعـود

فظنّه كبير القدر، فخلى به، فإذا هو ابن باقلاوي.

[٣١٨] ـ أتى الحارث بن مسكين أيام المحنة، وابن دؤاد يمتحن الناس بخلق القرآن، فقال للحارث: اشهد أن القرآن مخلوق، فقال: أشهد أن هذه الأربعة مخلوقة وبسط أصابعه الأربع، فقال: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، فعرض وكنى وتخلص من القتل.

[٣١٩] ـ قال شيخنا عبد الوهاب الأنماطي: كان أحمد بن عبد المحسن الوكيل إذا حمل إليه محضر كتب فيه يحل صدره، فيكتب فيه، فقيل له: كيف تكتب خلاف الأول؟ فقال: أنا أكتب: ما ذكر صحيح، ومقصودي نفي الصحة.

* * *

في ذكر
من فلج على خصمه في المناظرة
بالجواب المسكت

[٣٢٠] ـ حدّثنا خبيب، عن عبد الرحمن بن خبيب، عن أبيه، عن جده خبيب بن يسار قال: أتيت رسول اللّه ﷺ وهو يريد غزواً أنا ورجل من قومي ولم نسلم، فقلنا: إنا لنستحي أن يشهد قومنا مشهداً لا نشهده معهم. قال: وأسلمتما؟ قلنا: لا. قال: فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين. قال: فأسلمنا وشهدنا معه، فقتلت رجلاً وضربني ضربة، فتزوجت ابنته بعد ذلك، فكانت تقول: لا عدمت رجلاً وشحك هذا الوشاح، فأقول لها: لا عدمتِ رجلاً عجَّل أباك إلى النار[1].

[٣٢١] ـ عن إبراهيم بن جعفر بن محمود الأشهلي، عن أبيه قال: كان حويطب بن عبد العزى قد بلغ مائة وعشرين سنة، ستين في الجاهلية، وستين في الإسلام، فلما ولي مروان بن الحكم المدينة دخل عليه حويطب، فقال له مروان: ما نيتك؟ فأخبره فقال له: تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث، فقال: واللّه لقد هممت بالإسلام غير مرة، وكل ذلك يعوقني عنه أبوك، وينهاني ويقول: تدع دين آبائك لدين محمد، فأسكت مروان وندم على ما كان.

[٣٢٢] ـ قال مروان لحبيش بن دلجة: أظنك أحمق، فقال: أحمق ما يكون الشيخ إذا عمل بظنه.

[٣٢٣] ـ حدّثنا محمد بن زكريا قال: حضرت مجلساً فيه عبيد اللّه بن محمد بن عائشة التميمي، وفيه جعفر بن القاسم الهاشمي، فقال لابن عائشة: هٰهنا آية نزلت في بني هاشم خصوصاً قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزخرف: ٤٤] فقال ابن عائشة: قومه قريش، وهي لنا معكم؟ قال: بل هي لنا خصوصاً. قال فخذ معها ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ﴾ [الأنعام: ٦٦] قال: فسكت جعفر، فلم يَحُرْ جواباً.

---

(١) انظر «الصحيحة» (١١٠١).

[٣٢٤] ـ **قال المصنف غفر اللّه له**: وروينا أن معاوية قال لعبد اللّه بن عامر: إن لي عندك حاجة أتقضيها؟ قال: نعم. قال: ولي إليك حاجة أتقضيها؟ قال: نعم. قال: سل حاجتك. قال: أريد أن تهب لي دورك وضياعك بالطائف. قال: فعلت، فسل حاجتك، قال: أن تردها عليَّ. قال: قد فعلت.

[٣٢٥] ـ وافتخر قوم من اليمن عند هشام بن عبد الملك، فقال لخالد بن صفوان: أجبهم. فقال: هم بين حائك برد، ودابغ جلد، وسائس قرد، وملكتهم امرأة، ودلت عليهم هدهد، وغرقتهم فأرة.

[٣٢٦] ـ قال: قال غيلان لعبد الرحمن: أنشدك اللّه! أترى اللّه يحب أن يعصى؟ فقال ربيعة: أنشدك اللّه! أترى اللّه يعصى قسراً؟ فكأنَّ ربيعة ألقم غيلان حجراً.

[٣٢٧] ـ قال: وقف رجل بين يدي المأمون قد جنا جناية، فقال له: واللّه لأقتلنك. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، تأنَّ عليَّ فإن الرفق نصف العفو. قال: وكيف؟ وقد حلفت لأقتلنّك؟!، قال: يا أمير المؤمنين، لَأَن تَلقى اللّه حانثاً خير لك من أن تلقاه قاتلاً، قال: فخلى سبيله.

[٣٢٨] ـ قال المنصور: وُلِّيَ يحيى بن أكثم قضاء البصرة، وهو ابن إحدى وعشرين سنة. قال: فاستزرى به الناس واستضعفوه فامتحنوه، فقالوا: كم سن القاضي؟ قال: سن عتاب بن أسيد حيث ولاه رسول اللّه ﷺ مكة.

[٣٢٩] ـ كان النظام لا يكتم سراً فأسرَّ إليه يونس التمار سراً، فأذاعه، فلامه، فقال النظام للناس: سلوه، هل أذعت سراً مرة أو مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً، فلمن الذنب الآن؟، فلم يرضَ أن يشاركه في الذنب حتى سار الذنب كله لصاحب السر.

[٣٣٠] ـ قال: كان أصحاب المبرد إذا اجتمعوا واستأذنوا يخرج الآذن فيقول: إن كان فيكم أبو العباس الزجاج، وإلَّا انصرفوا، فحضروا مرة، ولم يكن الزجاج فيهم، فقال لهم ذلك، فانصرفوا، وثبت رجل منهم، فقال عثمان للآذن: قل لأبي العباس انصرف القوم كلهم إلَّا عثمان، فإنه لا ينصرف، فعاد الآذن إليه وأخبره، فقال له: إن عثمان إذا كان نكرة انصرف، ونحن لا نعرفك، فانصرف راشداً.

[٣٣١] ـ قال رجل من أهل الحجاز لرجل: العلم خرج من عندنا. قال: نعم، إلَّا أنه لم يرجع إليكم.

[٣٣٢] ـ قال: تكلم شاب يوماً عند الشعبي، فقال الشعبي: ما سمعنا بهذا. فقال الشاب: كل العلم سمعت؟ قال: لا. قال: فشطره؟ قال: لا، قال: فاجعل هذا في الشطر الذي لم تسمعه، فأفحم الشعبي.

[٣٣٣] ـ وقال عبد اللّه بن سليمان بن الأشعث: سمعت أبي يقول: كان هارون الأعور يهودياً، فأسلم وحسن إسلامه، وحفظ القرآن وضبطه، وحفظ النحو، فناظره إنسان يوماً في مسألة، فغلبه هارون، فلم يدر المغلوب ما يصنع، فقال له: أنت كنت يهودياً فأسلمت. فقال له هارون: أفبئس ما صنعت؟ فغلبه أيضاً، واللّه الموفق.

[٣٣٤] ـ قال مالك بن سليمان: كان لإبراهيم بن طهمان جراية من بيت المال، فسئل عن مسألة في مجلس الخليفة، فقال: لا أدري. فقالوا له: تأخذ في كل شهر كذا وكذا ولا تحسن مسألة فقال: إنما آخذ على ما أحسن، ولو أخذت على ما لا أحسن لفني بيت المال، ولا يفنى ما لا أحسن، فأعجب الخليفة جوابه، وأمر له بجائزة فاخرة، وزاد في جرايته.

[٣٣٥] ـ قال أبو العباس المبرد: ضاف رجل قوماً فكرهوه، فقال الرجل لامرأته: كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه؟ فقالت: ألق بيننا شراً حتى نتحاكم إليه، ففعلا، فقالت للضيف: بالذي يبارك لك في غدوك غداً أيُّنا أظلم؟ فقال الضيف: والذي يبارك لي في مقامي عندكم شهراً ما أعلم.

[٣٣٦] ـ قال ابن خلف: حدّثني بعض أصحابنا قال: بلغني أن الرشيد خرج يوماً متنزهاً وانفرد عن عسكره والفضل بن الربيع خلفه، فإذا هو بشيخ قد ركب حماراً له، وفي يده لجام، كأنه مبعر محشو، فنظر إليه فإذا هو رطب العينين، فغمز الفضل عليه، فقال له الفضل: أين تريد؟ قال: حائطاً لي، قال: هل لك أن أدلك على شيء تداوي به عينيك فتذهب هذه الرطوبة؟ قال: ما أحوجني إلى ذلك. قال له: خذ عيدان الهواء وغبار الماء وورق الكَمْأة فصيّره في قشر جوزة واكتحل به، فإنه يذهب عنك ما تجد، قال: فاتكأ على قَرَبوسه فضرط ضرطة طويلة، ثم قال: تأخذ هذه أجرة لوصفتك، فإن نفعتنا زدناك، قال: فاستضحك الرشيد حتى كاد أن يسقط عن ظهر دابته.

[٣٣٧] ـ قال الجاحظ: قال المهدي لشريك القاضي، وعيسى بن موسى عنده: لو شهد عندك عيسى كنت تقبله، وأراد أن يضرب بينهما، فقال شريك: من سألت عنه لا يسأل عن عيسى غير أمير المؤمنين، فإن زكيته قبلته، فقلبها عليه.

[٣٣٨] ـ قال أبو بكر بن محمد: كان لي أخ جيّد الشعر، فقال له رجل منهم، وقد حسده على شعره: ما أدري ما معنى أعجمي يقول الشعر إلّا أن يكون

دَبَّ إلى أمه عربي، فقال له: وكذلك يلزم في قياس قولك إذا لم يقل العربي شعراً، فقد دب إلى أمه أعجمي.

[٣٣٩] ـ غضب رجل على رجل فقال له: ما أغضبك؟ قال: شيء تنقله إليَّ الثقة عنك، فقال له: لو كان ثقة ما نمَّ.

[٣٤٠] ـ قال أبو الحسن بن المأمون: قال المأمون ليحيى بن أكثم: من الذي يقول، وهو يعرض به:

قاضٍ يَرَى الحدَّ في الزِّناء ولا يَرَى عَلَى مَنْ يَلُوطُ مِنْ باسِ

قال: أوما يعرف أمير المؤمنين من قاله؟ قال: لا، قال: يقوله الفاجر أحمد بن أبي نعيم الذي يقول:

حَاكِمُنا يَرْتَشي وقَاضِينَا يَلُوطُ والرأس شرّ ما راسِ

لا أحسبُ الجُورَ ينقضي وَعَلى السَّلامةِ والٍ مِنَ آلِ عبَّاسِ

قال: فأفحم المأمون وسكت خجلاً، وقال: ينبغي أن ينفى أحمد بن أبي نعيم إلى السند.

[٣٤١] ـ قال: حدّثنا إبراهيم بن محمد بن شهاب العطار قال: روى يعقوب الشحام قال: قال لي أبو الهذيل: بلغني أن رجلاً يهودياً قدم البصرة، وقد قطع وغلب عامة متكلميهم، فقلت لعمي: امضِ إلى هذا اليهودي كلمه، فقال: يا بني، هذا قد غلب جماعة متكلمي البصرة، فقلت: لا بد، فأخذ بيدي، فدخلنا على اليهودي، فوجدته يقرر الناس الذين يكلمونه نبوة موسى عليه السلام، ثم يجحد نبوة نبينا ﷺ فيقول: نحن على ما اتفقنا عليه من نبوة موسى إلى أن نتفق على غيره فنقر به، فدخلت إليه، فقلت له: أسألك أو تسألني؟ فقال: يا بني؛ أوما ترى ما أفعله بمشايخك؟ فقلت: دع عنك هذا واختر، قال: بل أسألك، أخبرني أليس موسى نبياً من أنبياء اللّه قد صحت نبوته، وثبت دليله، تقر بهذا أو تجحده، فتخالف صاحبك؟ فقلت له: إن الذي سألتني عنه من أمر موسى عندي على أمرين: أحدهما: أني أقرُّ بنبوة موسى الذي أخبر بصحة نبوة نبينا محمد ﷺ وأمرنا باتباعه وبشَّرَ بنبوته، فإن كان عن هذا تسألني، فأنا مقر بنبوته، وإن كان الذي سألتني عنه لا يقرّ بنبوة نبينا محمد ﷺ ولم يأمر باتباعه، ولا بشَّر به، فلست أعرفه ولا أقرّ بنبوته، وهو عندي شيطان مخزٍ، فتحيَّر مما قلت له. فقال لي: فما تقول في التوراة؟ فقلت: أمر التوراة أيضاً عندي على وجهين: إن كانت التوراة التي

أنزلت على موسى الذي أقر بنبوة نبينا محمد ﷺ، فهي التوراة الحق، وإن كانت الذي تدعيه، فباطل، وأنا غير مصدق بها، فقال: أحتاج أن أقول لك شيئاً بيني وبينك، فظننت أنه يقول شيئاً من الخير، فتقدمت إليه فسارني وقال: أمك كذا وكذا، وأم الذي علمك لا يكني، وقد رأى أني أثب به، فيقول وثبوا علي، فأقبلت على من كان في المجلس، فقلت: أعزكم اللّه؛ أليس قد أجبته؟ قالوا: نعم، فقلت: أليس عليه أن يرد جوابي؟ فقالوا: نعم. فقلت: إنه لما سارني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد، وشتم من علمني وأنه ظن أني أثب به، فيدعي أنَّا واثَّبْناه، وقد عرفتكم شأنه، فأخذته الأيدي بالنعال، فخرج هارباً من البصرة، وقد كان له بها دين كثير، فتركه وخرج هارباً لما لحقه من الانقطاع.

[٣٤٢] ـ قال: لما دخل الجماز على المتوكل قال له: إني أريد أن أستبرئك. فقال الجماز: بحيضة أو بحيضتين، فضحك الجماعة منه، فقال له الفتح: قد كلمت أمير المؤمنين فيك حتى ولَّاك جزيرة القرود، فقال له الجماز: أفلست في السمع والطاعة أصلحك اللّه، فحصر الفتح وأسكت، فأمر له المتوكل بعشرة آلاف درهم، فأخذها وانحدر، فمات فرحاً بها.

[٣٤٣] ـ قال العتبي: دخل الوليد بن يزيد على هشام بن عبد الملك، وعلى الوليد عمامة وشي، فقال له هشام: بكم أخذت عمامتك؟ قال: بألف درهم، فقال هشام: عمامة بألف! يستكثر ذلك. فقال الوليد: إنها لأكرم أطرافي يا أمير المؤمنين، وقد اشتريت جارية بعشرة آلاف درهم لأخس أطرافك.

[٣٤٤] ـ كان معن بن زائدة يذكر عنه قلة دين، فبعث إلى ابن عياش بألف دينار، وكتب إليه: بعثت إليك بألف دينار اشتريت بها دينك، فاقبض الثمن واكتب بالتسليم، فكتب إليه: قد قبضت وبعتك ديني ما خلا التوحيد لعلمي بزهدك فيه.

[٣٤٥] ـ حدّثنا يموت بن المزرع قال: كان أبي والجماز يمشيان، وأنا خلفهما بالعشي، فمررنا بإمام وهو ينتظر من يمر عليه، فيصلي معه، فلما رآنا أقام الصلاة مبادراً، فقال له الجماز: دع عنك هذا، فإن رسول اللّه ﷺ قد نهى أن يتلقى الجلب.

[٣٤٦] ـ أخبرنا ابن الأعرابي عن الأصمعي قال: اجتزت في بعض سكك الكوفة، فإذا برجل قد خرج من حبس على كتفه جرة، وهو ينشد ويقول:

وأكـرمُ نَـفْـسـي إنَّـنـي إن أهـنـتُـهـا   وحقّكَ لـم تَـكْـرمْ عـلـى أحدٍ بـعـدي

فقلت له: تكرمها بمثل هذا؟ نعم، وأستغني عن سفلة مثلك، إذا سألته يقول: صنع اللَّه لك، فقلت: تراه عرفني، فأسرعت، فصاح بي: يا أصمعي، فالتفت إليه فقال:

لَنَقْلُ الصَّخْرِ مِنْ قُلَلِ الجِبَالِ أحبُّ إليَّ مِنْ مِنَنِ الرِّجَالِ
يقولُ الناسُ كَسْبٌ فيه عارٌ وكلّ العَارِ في ذُلِّ السؤالِ

[٣٤٧] ـ حدّثنا أبو الطيب بن هرثمة قال: كنت مجتازاً ببغداد ومخنث يمشي، فرأته امرأة وكان حسن البدن، فقالت: ليت عليَّ شحم هذا المخنث. فقال لها المخنث: مع بغاي فشتمته، فقال لها: كيف صار تأخذين الجيد وتدعين الرديء.

[٣٤٨] ـ ودخل رجل الحمّام فرأى مخنثاً بين يديه خِطميّ، فقال الرجل: أعطني منه قليلاً، فأبى، فقال الرجل: كل قفيز بدرهم. فقال المخنث: كل أربعة أقفزة بدرهم، احسب حسابك كم يصيبك بلا شيء.

[٣٤٩] ـ قال طراد بن محمد: إن يهودياً ناظر مسلماً ـ أظنه قال في مجلس المرتضى ـ، فقال اليهودي: إيش أقول في قوم سماهم اللَّه مدبرين يعني النبي ﷺ وأصحابه يوم حنين؟ فقال المسلم: فإذاً كان موسى أدبر منهم. قال له: كيف؟ قال: لأن اللَّه تعالى قال: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [النمل: ١٠] وهؤلاء ما قال فيهم ولم يعقبوا. فسكت.

[٣٥٠] ـ قال نصر بن سيار: قلت لأعرابي: هل أتخمت قط؟ فقال: أما من طعامك وطعام أبيك، فلا. فيقال: إن نصراً حُمَّ من هذا الجواب أياماً[1].

[٣٥١] ـ قال رجل من اليهود لعلي بن أبي طالب: ما دفنتم نبيكم حتى قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فقال له علي عليه السلام: أنتم ما جفّت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

[٣٥٢] ـ حبلت امرأة يزيد، فقالت له، وكان قبيح الصورة: الويل لك إن كان يشبهك، فقال لها: والويل لك إن لم يشبهني.

[٣٥٣] ـ رأى رجل من الأعاجم رجلاً أعور، فقال: قد حان خروج الدجال، فقال: إنه يخرج من بلاد الأعاجم لا العرب.

[٣٥٤] ـ جاز أبو بكر بن قانع بالكرخ في زمن الرفض، فقالت له امرأة: يا

(١) الخبر في «بهجة المجالس» (١/ ٩٤) و«الإمتاع والمؤانسة» (٣/ ١٠١).

سيدي أبا بكر، فقال لها: لبيك يا عائشة، فقالت: كان اسمي عائشة قال: فيقتلوني وحدي أريد أن يضربوا رقابنا جميعاً.

[٣٥٥] ـ ظفر رجل بخصمه في حرب، فقال له: ما تراني أصنع بك؟ فقال: مهلاً، فما أمكنك اللّه مني إلا لشأن حلمك.

[٣٥٦] ـ قيل لأبي الأسود: أشهد معاوية بدراً؟ فقال: نعم من ذاك الجانب.

[٣٥٧] ـ كان أبو الحسن المتيم الصوفي يسكن الرصافة، وكان مطبوعاً مضاحكاً، وكان يتولع برجل شاهد فيه غفلة يعرف بأبي عبد اللّه الكيا.

قال ابن المتيم: فلقيته يوما فسلمت عليه وصحت به: اشهد علي، فاجتمع الناس علينا، فقال: بم أشهد؟ فقلت: بأن اللّه إلٰه واحد لا إله إلا هو وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها، وأن اللّه يبعث من في القبور. فقال: أبشر يا أبا الحسن سقطت عنك الجزية وصرت أخاً من إخواننا، فضحك الناس، وانقلب الولع بي.

[٣٥٨] ـ قال الشيخ: سمعت بعض أصدقائي يحكي أن رجلاً كان يشرب ليلة الجمعة، فنهاه بعض العوام وقال له: هذه ليلة عظيمة، فقال له الرجل: في مثل هذه الليلة يرفع القلم، فقال العامي: ولكن يكتب بصوفة. قال: فاتعظ الرجل ولم يرجع بعد إلى شرب الخمر.

[٣٥٩] ـ وقفت امرأة قبيحة على عطار ماجن، فلما نظر إليها قال: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] فقالت: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ [يس: ٧٨].

[٣٦٠] ـ استأجر رجل غلاماً ليخدمه، فقال له: كم أجرتك؟ قال: شبع بطني، فقال له: سامحني، فقال: أصوم الاثنين والخميس.

[٣٦١] ـ شكا جماعة من الصالحين ضرر الأتراك إلى أمير المؤمنين، فقال لهم: أنتم تعتقدون أن هذا بقضاء اللّه، فكيف أدفع قضاء اللّه؟ فقال له أحدهم: صاحب القضاء قال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، فأفحم أمير المؤمنين.

* * *

في ذكر
من غلب من العوام
بذكائه كبار الرؤساء

[٣٦٢] ـ حدّثني رجل من أهل الرقة عن عبد الملك بن عمير قال: أخذ زياد رجلاً من الخوارج، فأفلت منه، فأخذه خاله، فقال: إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك. قال: أرأيت إن جئت بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي؟ قال: نعم. قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الرحيم، وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى عليهما السلام: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٦ ـ ٣٨] قال زياد: خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته.

[٣٦٣] ـ قال يموت بن المزرع: قال لنا الجاحظ: ما غلبني أحد قط إلا رجل وامرأة، فأما الرجل، فإني كنت مجتازاً في بعض الطرق، فإذا أنا برجل قصير بطين كبير الهامة طويل اللحية مؤتزر بمئزر، وبيده مشط يسقي به شقه ويمشطها به، فقلت في نفسي: رجل قصير بطين ألحى، فاستزريته، فقلت: أيها الشيخ، قد قلت فيك شعراً، فترك المشط من يده وقال: قل، فقلت:

كأنّك صَعْوةٌ في أصلِ حُشٍّ ... أصابَ الحشّ طَشٌّ بَعْدَ رشٍّ

فقال لي: اسمع جواب ما قلت، فقلت: هات، فقال:

كأنَّكَ جُنْدُبٌ في ذَنْبِ كَبْشٍ ... يُدَلْدَلُ هٰكذا والكَبْشُ يَمْشِي

وأما المرأة، فكنت مجتازاً ببعض الطرق، فإذا أنا بامرأتين، وكنت راكباً على حمارة، فضرطت الحمارة، فقالت إحداهما للأخرى: وي حمارة الشيخ تضرط، فغاظني قولها، فاعتدلت ثم قلت لها: إنه ما حملتني أُنثى قط إلّا وضرطت، فضربت بيدها على كتف الأخرى وقالت: كانت أم هذا منه تسعة أشهر على جهد جهيد.

[٣٦٤] ـ لقي بعض الأكاسرة في موكبه رجلاً أعور، فحبسه، فلما نزل خلاه وقال: تطيرت منك. قال: أنت أشأم مني لأنك خرجت من منزلك ولقيتني،

فما رأيت إلا خيراً، وخرجت من منزلي فلقيتك، فحبستني، فلم يعد بعدها يتطير.

[٣٦٥] ـ عن الأصمعي قال: قال الوليد بن عبد الملك لبديح: خذ بنا في المنى، فواللَّه لأغلبنك، قال: لا تغلبني. قال: بلى لأفعلن، وقال: فستعلم. قال الوليد: فإني أريد أتمنى ضعف ما تتمنى أنت فهات. قال: فإني أتمنى سبعين كفلاً من العذاب، ويلعنني اللَّه لعناً كثيراً، فقال: غلبتني قبحك اللَّه.

[٣٦٦] ـ قال: مرض مولى لسعيد بن العاص، ولم يكن له من يخدمه ويقوم بأمره، فبعث إلى سعيد بن العاص، فلما أتاه قال له: ليس لي وارث غيرك، وهٰهنا ثلاثون ألف درهم مدفونة، فإذا أنا مت فخذها، فقال سعيد حين خرج من عنده: ما أرانا إلا قد أسأنا إلى مولانا وقصرنا في تعاهده، فتعاهده كل التعاهد ووكل به من يخدمه، فلما مات اشترى له كفناً بثلاثمائة درهم وشهد جنازته، فلما رجع إلى البيت حفر البيت كله، فلم يجد شيئاً، وجاء صاحب الكفن يطالب بثمن الكفن، فقال: لقد هممت أن أنبش عليه وأسلبه كفنه.

[٣٦٧] ـ أتي الحجاج برجل ليقتله وبيده لقمة، فقال: واللَّه لا أكلتها حتى أقتلك. قال: أو خير من ذلك تطعمنيها ولا تقتلني، قد بررت في يمينك ومننت عليَّ، فقال: ادن مني، فأطعمه إياها وخلاه.

[٣٦٨] ـ وأتي الحجاج برجل من الخوارج، فأمر بضرب عنقه، فاستنظره يوماً. قال: ما تريد بذلك؟ قال: أؤمل عفو الأمير مع ما تجري به المقادير، فاستحسن قوله وخلاه.

[٣٦٩] ـ وبلغنا عن عمرو بن العاص أنه منع أصحابه ما كان يصل إليهم، فقام إليه رجل، فقال: أيها الأمير، أتتخذ جنداً من حجارة لا تأكل ولا تشرب، فقال له عمرو: اخسأ أيها الكلب، فقال له الرجل: أنا من جندك، فإذا كنت كلباً، فأنت أمير الكلاب وقائدها.

[٣٧٠] ـ قال المتوكل يوماً لجلسائه: أتدرون ما الذي نقم المسلمون من عثمان؟ قالوا: لا. قال: أشياء منها أنه قام أبو بكر دون مقام الرسول بمرقاة، ثم قام عمر دون مقام أبي بكر بمرقاة، فصعد عثمان ذروة المنبر فقال عباد: ما أحد أعظم مِنّةً عليك يا أمير المؤمنين من عثمان. قال: وكيف؟ ويلك. قال: لأنه صعد ذروة المنبر، فلو أنه كلما قام خليفة نزل عمن تقدمه كنت أنت تخطبنا من بئر جلولاء، فضحك المتوكل ومن حوله.

[٣٧١] ـ قال رجل لغلامه: يا فاجر! فقال الغلام: مولى القوم منهم.

[٣٧٢] ـ قال الربيع: كنت قائماً على رأس المنصور إذا أُتي بخارجي قد هزم له جيوشاً، فأقامه ليضرب عنقه، ثم قال له: يا ابن الفاعلة مثلك يهزم الجيوش، فقال له الخارجي: ويلك وسوءة لك، بيني وبينك أمس القتل والسيف، واليوم القذف والسب، وما كان يؤمنك أن أرد عليك، وقد يئست من الحياة فلا تستقبلها أبداً، فاستحى المنصور منه وأطلقه.

[٣٧٣] ـ وقال الصاحب بن عباد: ما أخجلني غير ثلاثة، منهم أبو الحسين البهديني، فإنه كان في نفر من جلسائي، فقلت له ـ وقد أكثر من أكل المشمش ـ: لا تأكله، فإنه يلطخ المعدة. فقال: ما يعجبني مَن يطبِّب الناس على مائدته. وآخر قال لي ـ وقد جئت من دار السلطان، وأنا ضَجِر من أمر عرض لي ـ: من أين أقبلت؟ فقلت: من لعنة اللَّه، فقال: رد اللَّه غربتك، فأحسن عليَّ إساءة الأدب. وصبي مستحسن داعبته فقلت: ليتك تحتي، فقال: مع ثلاثة أخر؛ يعني في رفع جنازتي، فأخجلني.

[٣٧٤] ـ قال رجل: شربت البارحة، فاحتجت إلى القيام لإراقة الماء، كأنني جَدْيٌ، فقال له عامّي: لم تصغر نفسك يا سيدنا.

* * *

في ذكر
أقوال وأفعال صدرت من أواسط الناس وعوامهم تدل على قوة الذكاء

[٣٧٥] ـ حدّثنا يحيى المروزي قال: كنت آكل مع الرشيد يوماً، فرفع رأسه إلى خادم، فكلمه بالفارسية، فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن كنت تريد أن تسر إليه شيئاً فإني أفهم بالفارسية، فاستحسن الرشيد ذلك مني، وقال: ليس نطوي سراً.

[٣٧٦] ـ قال: عاد أبو عمر الضرير رجلاً من أصحابه، فأخذت أمة بيده، فصعدت به، فلما أراد أن ينزل جاءت، فأخذت بيده، فقال: رديني إلى مولاك، فردته، فقال: إن جاريتك أخذت بيدي حين صعدت، وهي بكر، ثم أخذت بيدي الساعة وهي ثيب، فسأل عن ذلك، فأخبر أن ابناً للرجل افترشها.

[٣٧٧] ـ قال مصعب بن عبد اللّه: قال مالك بن أنس: صلى بعض الشطار[1] خلف رجل، فلما قرأ أُرتج عليه، فلم يدر ما يقول، فجعل يقول: أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم، وجعل يردد ذلك مراراً، فقال الشاطر من خلفه: ما للشيطان ذنب إلا أنك ما تحسن تقرأ.

[٣٧٨] ـ قال محمد بن عبد الرحمن: دعا معن أخاً له، فأقعده إلى جانب العصر، فلم يطعمه شيئاً فاشتد جوعه، فأخذه مثل الجنون، فأخذ صاحب البيت العود، وقال له: بحياتي أي صوت تشتهي أن أُسمعك؟ قال: صوت المِقْلى.

[٣٧٩] ـ أخبرنا الجماز قال: سمعت واحداً يقول لآخر قد رمد: بأي شيء تداوي عينيك؟ قال: بالقرآن ودعاء الوالدة، فقال: اجعل معهما شيئاً من أنزروت.

[٣٨٠] ـ قال أبو الحسن علي بن هشام بن عبيد اللّه الكاتب، المعروف أبوه بأبي قيراط؛ قال: سمعت حامد بن العباس يقول: ربما انتفع الإنسان في نكبته بالرجل الصغير أكثر من منفعته بالرجل الكبير، فمن ذلك أن إسماعيل بن بلبل لما حبسني جعلني في يد بواب كان يخدمه، فكان رجلاً حراً، فأحسنت إليه

(١) جمع شاطر؛ وهو: قاطع الطريق.

وبررته، وكان ذلك البواب يدخل إلى مجلس الخاصة، ولا ينكر عليه لسابق خدمته، فجاءني في بعض الليالي، وقال: قد حرر الوزير علي بن الفرات، وقال: ما يكسّر المال على حامد غيرك، ولا بد من الجد في مطالبته بباقي مصادرته، وسيدعو بك الوزير غداً إلى حضرته ويهددك، فشغل ذلك قلبي، فقلت له: فهل عندك من رأي؟ فقال: اكتب رقعة إلى رجل من معامليك تعرف شحه، والتمس منه لعيالك ألف درهم يقرضك إياها، واسأله أن يجيبك على ظهر الرقعة لترجع إليك لتخرجها، فإنه لشحه يردك بعذر فاحتفظ بالرقعة، فإذا طالبك أخرجتها إليه، وقلت له: قد أفضت حالي إلى هذا، فأخرجتها على غير مواطأة، فلعل ذلك ينفعك، ففعلت ما قال، وجاءني الجواب بالرد كما حسبنا، فلما كان من الغد أخرجني الوزير وطالبني، فأخرجت الرقعة، فقرأها فلان واستحيى وكان ذلك سبب خفة أمري وزوال محنتي.

[٣٨١] ـ قال عيسى بن محمد الطوماري: سمعت أبا عمر محمد بن يوسف القاضي يقول: اعتل أبي علة شهوراً، فانتبه ذات ليلة فدعا بي وبأخواتي وقال لنا: رأيت في النوم كأن قائلاً يقول: كُلْ لا، واشرب لا، فإنك تبرأ، فلم ندر تفسيره. وكان بباب الشام رجل يعرف بأبي علي الخياط، حسن المعرفة بعبارة الرؤية، فجئنا به، فقص عليه المنام، فقال: ما أعرف تفسيره، ولكني أقرأ كل ليلة نصف القرآن، فأخلوني الليلة حتى أقرأ رسمي وأتفكر، فلما كان من الغد جاءنا، فقال: مررت على هذه الآية ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥] فنظرت إلى «لا». وهي تردد فيها. اسقوه زيتاً وأطعموه زيتاً، ففعلنا، فكانت سبب عافيته.

[٣٨٢] ـ قال: حدّثنا الأصمعي قال: رأيت رجلاً قاعداً على قصر أوس في الطاعون، يعد الموتى في كوز، فعد أول يوم عشرين ومائة ألف، فلما كان في اليوم الثاني عد خمسين ومائة ألف، فمر قوم بميتهم وهو يعد، فلما رجعوا إذا عند الكوز غيره، فسألوه عنه، فقالوا لهم: هو في الكوز.

[٣٨٣] ـ حكى جعفر البرني قال: مررت بسائل على الجسر وهو يقول: مسكيناً ضريراً، فدفعت إليه قطعة وقلت: يا هذا، لِمَ نصبت؟ قال: فديتك بإضمار (ارحموا).

[٣٨٤] ـ حدّثنا أبو عثمان الخالدي قال: عملت قصيدة أمدح سيف الدولة أبا الحسن بن حمدان، وعرضتها على جماعة أتعرف ما عندهم فيها، إذ حضر مخنث وأنا أقرؤها، فلما انتهيت إلى قولي:

وأنكَرَتْ شيبةٌ في الرأسِ واحِدة ... فعَاد يُسْخِطُها من كَانَ يُرضيهَا

قال: هذا غلط، قلت: ما هو؟ قال: تقول للأمير في الرأس واحدة. ألا قلت: في الرأس طالعة أو لائحة، فعجبت من فطنته وجودة خاطره.

[٣٨٥] ـ روى سعيد بن يحيى الأموي عن أبيه قال: كان فتيان من قريش يرمون، فرمى منهم من ولد أبي بكر وطلحة فقرطس، فقال: أنا ابن القرنين، فرمى آخر من ولد عثمان فقرطس، فقال: أنا ابن الشهيد، ورمى رجل من الموالي فقرطس، فقال: أنا ابن من سجدت له الملائكة. فقالوا له: من هو؟ فقال: آدم.

[٣٨٦] ـ قال المبرد: قدم بعض البصريين من أصحاب أبي هذيل بغداد، قال: فلقيت مخنثين، فقلت لهما: أريد منزلاً، وكان هذا الرجل في نهاية القبح، فقال أحدهما: باللّه من أين أنت؟ قلت: من البصرة، فأقبل علي الآخر، وقال: لا إله إلا اللّه تحول يا أخي كل شيء من الدنيا حتى هذا. كانت القرود تجيء من اليمن صارت تجيء من البصرة.

[٣٨٧] ـ بلغنا عن أبي الحارث أنه كان يهوى جارية يتعرس بطيفها، فشكا حاله إلى محمد بن منصور فاشتراها له وأنفذها إليه، فلم يساعده ما معه عليه، فبكر إليه، فقال: كيف كانت ليلتك؟ قال: شر ليلة صار ما عندي قرشياً من بني أمية، قال: كيف ذاك؟ قال: صار كما قال الأخطل:

شُمْسُ العَدَاوةِ حتّى تستقادَ لَهُمْ وأعظَمُ النَّاسِ أحْلاماً إذْ قَدِرُوا

فضحك محمد بن منصور ومضى إلى الفضل وجعفر، فأخبرهما، وكان خبره حديثهم عامة يومهم.

[٣٨٨] ـ شكا أصحاب هشام إلى أسلم بن الأحنف احتباس أرزاقهم، فدخل على هشام، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أن منادياً نادى يا مفلس ما بقي أحد من أصحابك إلا التفت، فضحك وأمر بصلة أرزاقهم.

[٣٨٩] ـ عربد هاشمي على قوم، فشكوه إلى عمه، فأراد عمه أن يتناوله بالأدب، فقال: إني أسأت وليس معي عقلي، فلا تُسِئْ إليَّ ومعك عقلك، فصفح عنه.

[٣٩٠] ـ قال: قدم وفد من العراق على سليمان بن عبد الملك، فقام رجل منهم، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أتيناك رغبة ولا رهبة. قال: فلم جئتم؟ قال: نحن وفد الشكر، أما الرغبة فقد وصلت إلينا في رحالنا، وأما الرهبة فقد أمناها بعدلك، ولقد حببت إلينا الحياة وهونت علينا الموت، فأما تحبيبك إلينا الحياة،

وبررته، وكان ذلك البواب يدخل إلى مجلس الخاصة، ولا ينكر عليه لسابق خدمته، فجاءني في بعض الليالي، وقال: قد حرر الوزير علي بن الفرات، وقال: ما يكسّر المال على حامد غيرك، ولا بد من الجد في مطالبته بباقي مصادرته، وسيدعو بك الوزير غداً إلى حضرته ويهددك، فشغل ذلك قلبي، فقلت له: فهل عندك من رأي؟ فقال: اكتب رقعة إلى رجل من معامليك تعرف شحه، والتمس منه لعيالك ألف درهم يقرضك إياها، واسأله أن يجيبك على ظهر الرقعة لترجع إليك لتخرجها، فإنه لشحه يردك بعذر فاحتفظ بالرقعة، فإذا طالبك أخرجتها إليه، وقلت له: قد أفضت حالي إلى هذا، فأخرجتها على غير مواطأة، فلعل ذلك ينفعك، ففعلت ما قال، وجاءني الجواب بالرد كما حسبنا، فلما كان من الغد أخرجني الوزير وطالبني، فأخرجت الرقعة، فقرأها فلان واستحيى وكان ذلك سبب خفة أمري وزوال محنتي.

[٣٨١] ـ قال عيسى بن محمد الطوماري: سمعت أبا عمر محمد بن يوسف القاضي يقول: اعتل أبي علة شهوراً، فانتبه ذات ليلة فدعا بي وبأخواتي وقال لنا: رأيت في النوم كأن قائلاً يقول: كُلْ لا، واشرب لا، فإنك تبرأ، فلم ندر تفسيره. وكان بباب الشام رجل يعرف بأبي علي الخياط، حسن المعرفة بعبارة الرؤية، فجئنا به، فقص عليه المنام، فقال: ما أعرف تفسيره، ولكني أقرأ كل ليلة نصف القرآن، فأخلوني الليلة حتى أقرأ رسمي وأتفكر، فلما كان من الغد جاءنا، فقال: مررت على هذه الآية ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥] فنظرت إلى «لا». وهي تردد فيها. اسقوه زيتاً وأطعموه زيتاً، ففعلنا، فكانت سبب عافيته.

[٣٨٢] ـ قال: حدّثنا الأصمعي قال: رأيت رجلاً قاعداً على قصر أوس في الطاعون، يعد الموتى في كوز، فعد أول يوم عشرين ومائة ألف، فلما كان في اليوم الثاني عد خمسين ومائة ألف، فمر قوم بميتهم وهو يعد، فلما رجعوا إذا عند الكوز غيره، فسألوه عنه، فقالوا لهم: هو في الكوز.

[٣٨٣] ـ حكى جعفر البرني قال: مررت بسائل على الجسر وهو يقول: مسكيناً ضريراً، فدفعت إليه قطعة وقلت: يا هذا، لِمَ نصبت؟ قال: فديتك بإضمار (ارحموا).

[٣٨٤] ـ حدّثنا أبو عثمان الخالدي قال: عملت قصيدة أمدح سيف الدولة أبا الحسن بن حمدان، وعرضتها على جماعة أتعرف ما عندهم فيها، إذ حضر مخنث وأنا أقرؤها، فلما انتهيت إلى قولي:

وأنكَرَتْ شيبةٌ في الرأسِ واحِدة فَعَاد يُسْخِطُها من كَانَ يُرضيهَا

قال: هذا غلط، قلت: ما هو؟ قال: تقول للأمير في الرأس واحدة. ألا قلت: في الرأس طالعة أو لائحة، فعجبت من فطنته وجودة خاطره.

[٣٨٥] ـ روى سعيد بن يحيى الأموي عن أبيه قال: كان فتيان من قريش يرمون، فرمى منهم من ولد أبي بكر وطلحة فقرطس، فقال: أنا ابن القرنين، فرمى آخر من ولد عثمان فقرطس، فقال: أنا ابن الشهيد، ورمى رجل من الموالي فقرطس، فقال: أنا ابن من سجدت له الملائكة. فقالوا له: من هو؟ فقال: آدم.

[٣٨٦] ـ قال المبرد: قدم بعض البصريين من أصحاب أبي هذيل بغداد، قال: فلقيت مخنثين، فقلت لهما: أريد منزلاً، وكان هذا الرجل في نهاية القبح، فقال أحدهما: باللَّه من أين أنت؟ قلت: من البصرة، فأقبل علي الآخر، وقال: لا إله إلا اللَّه تحول يا أخي كل شيء من الدنيا حتى هذا. كانت القرود تجيء من اليمن صارت تجيء من البصرة.

[٣٨٧] ـ بلغنا عن أبي الحارث أنه كان يهوى جارية يتعرس بطيفها، فشكا حاله إلى محمد بن منصور فاشتراها له وأنفذها إليه، فلم يساعده ما معه عليه، فبكر إليه، فقال: كيف كانت ليلتك؟ قال: شر ليلة صار ما عندي قرشياً من بني أمية، قال: كيف ذاك؟ قال: صار كما قال الأخطل:

شُمْسُ العَدَاوةِ حتّى تستقادَ لَهُمْ   وأعظَمُ النَّاسِ أحْلاماً إذْ قَدِرُوا

فضحك محمد بن منصور ومضى إلى الفضل وجعفر، فأخبرهما، وكان خبره حديثهم عامة يومهم.

[٣٨٨] ـ شكا أصحاب هشام إلى أسلم بن الأحنف احتباس أرزاقهم، فدخل على هشام، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أن منادياً نادى يا مفلس ما بقي أحد من أصحابك إلا التفت، فضحك وأمر بصلة أرزاقهم.

[٣٨٩] ـ عربد هاشمي على قوم، فشكوه إلى عمه، فأراد عمه أن يتناوله بالأدب، فقال: إني أسأت وليس معي عقلي، فلا تُسِئْ إليَّ ومعك عقلك، فصفح عنه.

[٣٩٠] ـ قال: قدم وفد من العراق على سليمان بن عبد الملك، فقام رجل منهم، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أتيناك رغبة ولا رهبة. قال: فلم جئتم؟ قال: نحن وفد الشكر، أما الرغبة فقد وصلت إلينا في رحالنا، وأما الرهبة فقد أمناها بعدلك، ولقد حببت إلينا الحياة وهونت علينا الموت، فأما تحبيبك إلينا الحياة،

فلما انتشر من عدلك، وأما تهوينك علينا الموت، فلما نثق منك فيمن تخلف من أعقابنا عليك، فوصله وأحسن جائزته وجوائز أصحابه.

[٣٩١] ـ حدّثنا أبو الحسن المدايني: قال بعض العلماء: كان لنا صديق من أهل البصرة، وكان ظريفاً أديباً، فوعدنا أن يدعونا إلى منزله، فكان يمر بنا، فكلما رأيناه قلنا: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨] فيسكت إلى أن اجتمع ما يريده، فمر بنا، فأعدنا عليه القول، فقال: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المرسلات: ٢٩].

[٣٩٢] ـ ذكر هلال بن المحسن أن رجلاً كان يقال له أبو العجب لم ير مثله فيما كان يعمل من الشعبذة. دخل يوماً إلى دار المقتدر بالله، فرأى خادماً من خواصه يبكي على بلبل مات له، فقال له: ما عليك أيها الأستاذ إن أحييته؟ فقال: ما تريد، فأخذ البلبل الميت، فأدخله كمه وأدخل رأسه، وأخرج بعد ساعة بلبلاً حيّاً، فماجت الدار وعجب الحاضرون، فاستدعاه علي بن عيسى وقال: والله إن لم تصدقني عن حقيقة الأمر لأضربن عنقك، فقال: إني شاهدت الخادم يبكي على بلبله، فطمعت بما آخذه منه، فمضيت في الحال إلى السوق، وابتعت بلبلاً وخبأته في كمي وعدت إلى الخادم، فقلت ما قلته، وأخذت البلبل الميت، وأدخلت رأسه في كمي وأكلته، وأخرجت الحي، فلم يشك أنه بلبله، وهذا رأس الميت.

[٣٩٣] ـ أحضر رجل بين يدي المأمون قد أذنب فقال له: أنت الذي فعلت كذا وكذا؟ قال: نعم أنا ذاك يا أمير المؤمنين الذي أسرف على نفسه واتكل على عفوك، فعفا عنه.

[٣٩٤] ـ قال بعض الأدباء لصديق له: أنت والله بستان الدنيا، فقال الآخر: أنت النهر الذي يشرب منه ذلك البستان.

[٣٩٥] ـ تظلم أهل الكوفة من عاملها إلى المأمون، فقال: ما علمت في عمالي أعدل منه. فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين فقد لزمك أن تجعل لسائر البلدان نصيباً من عدله حتى تكون قد ساويت بين رعاياك في حسن النظر، فأما نحن، فلا تخصنا منه بأكثر من ثلاث سنين، فضحك المأمون، وأمر بصرفه.

[٣٩٦] ـ دعا بعض الظرفاء قوماً، فجاؤوا ومعهم طفيلي، ففطن الرجل به، وأراد أن يعلمهم أنه قد فطن، فقال: ما أدري لمن أشكر؛ لكم أن دعوتكم فجئتم، أو لهذا الذي تجشم من غير أن دعوته.

[٣٩٧] ـ قال يموت بن المزرع: قال لي سهل بن صدقة يوماً، وكانت بيننا

مداعبة: ضربك اللّه باسمك، فقلت له مسرعاً: أحوجك اللّه إلى اسم أبيك.

[٣٩٨] ـ مر رجل من الأذكياء برجل قائم في الطريق قال: ما وقوفك؟ قال: أنتظر إنساناً. فقال: يطول قيامك إذن.

[٣٩٩] ـ تقدم رجل سيّئ الأدب إلى حجام، فقال له: تقدم يا ابن الفاعلة وأصلح شاربي، فقال له: إن كان خطابك للناس كذا، فعن قليل تستريح منه.

[٤٠٠] ـ حضر خياط عند بعض الأتراك ليفصل له قَباء، فأخذ يفصل والتركي ينظر إليه، فلم يتهيأ له أن يسرق منه شيئاً، فضرط، فضحك التركي حتى استلقى، فأخرج الخياط من الثوب ما أراد، فجلس التركي وقال: يا خياط! ضرطة أخرى، فقال: لا يجوز يضيق القباء.

[٤٠١] ـ قال رجل لرجل: بكم ابتعت هذه الشاة؟ فقال: أخذتها بستة، وهي خير من سبعة، وقد أعطيت بها ثمانية، فإن كانت من حاجتك بتسعة، فزن عشرة.

[٤٠٢] ـ تزوج أعمى امرأة، فقالت له: لو رأيت حسني وبياضي لعجبت، فقال: لو كنت كما تقولين ما تركك لي البصراء.

[٤٠٣] ـ قال رجل لبعض المياسير: وعدتني وعداً فأنجزه لي، فقال: ما أذكر هذا الوعد، فقال: صدقت أنت لا تذكره لأنَّ من تَعِدُ مثلي كثير، وأنا لا أنسى، لأن من أسأله مثلك قليل، فقال: أحسنت، وقضى حاجته.

[٤٠٤] ـ كان رجل في دار بأجرة، وكان خشب السقف يتفرقع كثيراً، فلما جاء رب الدار يطالبه بالأجرة قال له: أصلح هذا السقف، فإنه يتفرقع: قال: لا بأس عليك، فإنه يسبح اللّه، قال: أخشى أن تدركه الرأفة فيسجد.

[٤٠٥] ـ وقف قوم على مزيد، وهو يطبخ قدراً، فأخذ أحدهم قطعة لحم، فأكلها، وقال: يا مزيد، تحتاج القدر إلى الخل، وأخذ آخر قطعة لحم فأكلها وقال: تحتاج القدر إلى أبزار، وأخذ آخر قطعة لحم وقال: تحتاج القدر إلى ملح، فأخذ الطباخ قطعة لحم وقال: تحتاج القدر إلى لحم. فتضاحكوا منه وانصرفوا.

[٤٠٦] ـ قال رجل لأعرابي: ما اسمك؟ فقال: فرات بن البحرين الفياض، قال: فما كنيتك؟ قال: أبو الغيث. قال: بأبي أنت ينبغي أن نلقي فيك زورقاً وإلا غرقنا.

[٤٠٧] ـ قال سعيد بن مسلم لبعض جلسائه في بستانه: ما أحسن هذا البستان؟ قال: أنت أحسن منه لأنه يؤتي أكله كل عام مرة، وأنت تؤتي أكلك كل يوم.

[٤٠٨] ـ قام رجل على رأس ملك، فقال له: لِمَ قمت؟ قال: لأقعد، فولاه.

[٤٠٩] ـ دخل مخنث على العريان بن الهيثم، وهو أمير المؤمنين بالكوفة، فقال: يا عدو اللَّه! أتتخنث وأنت شيخ؟ فقال: مكذوب عليَّ كما كذب على الأمير أعزه اللَّه، فاستوى جالساً وقال: وما قيل فيَّ؟ قال: يسمونك العريان، وأنت صاحب عشرين جبة، فضحك وخلى سبيله.

[٤١٠] ـ رمى رجل عصفوراً فأخطأه، فقال له رجل: أحسنت، فغضب، وقال: أتهزأ بي؟ قال: لا، ولكن أحسنت إلى العصفور.

[٤١١] ـ قال جعفر بن يحيى البرمكي لبعض ندمائه: أشتهي واللَّه أن أرى إنساناً تليق به النعمة، فقال له الرجل: أنا أريك ذاك عياناً. فقال: هات، فأخذ المرآة فقربها من وجهه.

[٤١٢] ـ قص قاص، فقال: إذا مات العبد وهو سكران، دفن وهو سكران، وحُشر وهو سكران، فقال رجل في طرف الحلقة: هذا واللَّه نبيذ جيد يساوي الكوز منه عشرين درهماً.

[٤١٣] ـ نظر الأصبهاني إلى أبي هفان يسار رجلاً، فقال: فيمَ تكذبان؟ قالا: في مدحك.

[٤١٤] ـ كان رجل من الظُرّاف مع الرشيد في سفره إلى خراسان، فلما علا عقبة ماسدان قال للرشيد: الحمد للَّه الذي أخرجنا من الدنيا سالمين.

[٤١٥] ـ اجتاز بالناشئ البغدادي قصاب يبيع لحم بقر هزيل، وهو يقول: أين من حلف لا يغبن، فقال له الناشئ: حتى تحنثه.

[٤١٦] ـ قال: تاب مخنث، فلقيه مخنث آخر، فقال: من أين تأكل؟ قال: من بقية ذاك الكسب، فقال: لحم الخنزير طرياً أطيب منه قديداً.

[٤١٧] ـ وقال: رأى عبادة المخنث ثَفَر دابة، فمَطَّ ذنبها، وقال: هذه تمشي على استحياء.

[٤١٨] ـ أطعم رجل رجلاً من جَدْيٍ أربعة أيام، فقال له: هذا الجدي؛ موته أطول عمراً منه في حياته.

[٤١٩] ـ اجتمع قوم في دعوة وفيهم رجل له محبوب في الجماعة، فلما ناموا قام المحب، فأطفأ السراج، وأخذ بيده مخدّة حتى إن رآه أحد وضع المخدة

تحت رأسه ونام، فلما بلغ إلى المكان خرجت جارية بشمعة، فألصق المخدة بالحائط واتكأ عليها يغط، فقالت الجارية: ويحك تنام وتغط قائماً. فقال لها: إيش عليك مني كيفما أردت أن أنام نمت.

[٤٢٠] ـ دخل رجل ذكي إلى المسجد يصلي، فسرقوا نعله، فتركوها في كنيسة بجوار المسجد، فجعل يفتش عليها، فرآها في الكنيسة، فقال: ويحك لما أسلمت أنا تهودت أنت.

[٤٢١] ـ قال بعض الأذكياء: إذا رأيت رجلاً من صلاة الغداة على باب داره، وهو يقول: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [القصص: ٦٠] فاعلم أن في جواره وليمة لم يُدْعَ إليها، وإذا رأيت قوماً يخرجون من مجلس القاضي وهم يقولون: ﴿وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾ [يوسف: ٨١] فاعلم أن شهادتهم لم تقبل، وإذا تزوج الرجل فسئل عن حاله، فإن قال: ما رغبنا إلا في الصلاح، فاعلم أن زوجته قبيحة.

[٤٢٢] ـ قال الشيخ: حكي لنا أن بعض الناس ضاف رجلاً، فانتبه صاحب الدار بالليل، فسمع ضحك الرجل من الغرفة، فصاح به: فلان. قال: لبيك. قال: أنت كنت في الدار، فما الذي رقاك إلى الغرفة؟ قال: تدحرجت، قال: الناس يتدحرجون من فوق إلى أسفل، فكيف تدحرجت أنت؟ قال: فمن هذا أضحك.

[٤٢٣] ـ قال رجل لرجل: إن لطمتك لأبلغن بك المدينة، فقال له: فأحب أن تردفها بأخرى لعلَّ اللّه تعالى أن يرزقني الحج على يديك.

[٤٢٤] ـ قال صبي ليهودي: يا عم قف حتى أصفعك. قال: أنا مستعجل اصفع أخي.

[٤٢٥] ـ قال رجل لبعض المغنين: ما تعرف الثقيل الأول ولا الثقيل الثاني؟ فقال: وكيف لا أعرفهما وأنا أعرفك وأعرف أباك.

[٤٢٦] ـ نظر أبو الفضل الهمداني إلى رجل طويل بارد، فقال: قد أقبل ليل الشتاء.

[٤٢٧] ـ رُئِيَ فقير في قرية فقيل له: ما تصنع؟ فقال: ما صنع موسى والخضر عليهما السلام. يعني: ﴿ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا﴾ [الكهف: ٧٧].

[٤٢٨] ـ وسئل بعض السوقة عن سوقهم، فقال: مثل سوق الجنة؛ يعني أنه: لا بيع فيه ولا شراء.

[٤٢٩] ـ قال: شتم رجل رجلاً من العوام، فقال له: إيش قلت لك؟

فأوهمه أنه يسأل: أي شيء قلته لك حتى تشتمني؟، وإنما أراد: أي شيء قلته فهو لك، وهذا من عجيب الفطنة.

[٤٣٠] ـ جاءت جارية رجل إليه وهو في الموت بشيء يشربه، فكرهه، فقالت له: يا سيدي؛ غمض عينيك وخذه، فقال: كذا أفعل بشرى لي أني أموت.

[٤٣١] ـ قال رجل لرجل: بأي وجه تلقاني، وقد فعلت كذا وكذا. قال: بالوجه الذي ألقى به ربي عزّ وجلّ، وذنوبي إليه أكثر من ذنوبي إليك.

[٤٣٢] ـ تكلم بعض القصاص قال: في السماء ملك يقول كل يوم: لدوا للموت وابنوا للخراب، فقال بعض الأذكياء: اسم ذلك الملك أبو العتاهية.

[٤٣٣] ـ قال: استدعى رجل مغنيين، فلما همَّا بالغناء قال أحدهما للآخر: اتبعني. قال: لا، بل أنت اتبعني. قال: لا، بل أنت اتبعني، فلما طال هذا بينهما، قال صاحب البيت: اتبعاني جميعاً.

[٤٣٤] ـ قال: قدَّم طباخ إلى بعض الأذكياء طبقاً وعليه رغيفان، ثم قال له: إيش تشتهي أجيئك به، فقال: خبزاً.

[٤٣٥] ـ وحكي أيضاً أن بعض المحتسبين جاز يوماً على رجل ينادي على الخبيص رطلين بحبة، فقال له: ويحك الدبس يباع رطل بحبة، والشيرج رطل بقيراط، فكيف تبيع أنت الخبيص رطلين بحبة؟ فقال: يا سيدنا، ما في الخبيص شيء من اللذين ذكرت. قال: فبع الآن كيف شئت، واللّه الموفق.

* * *

في احترازات الأذكياء

[٤٣٦] ـ قال الشيخ رضي اللّه عنه: روينا عن العباس بن عبد المطلب أنه سئل: أيما أكبر أنت أو رسول اللّه ﷺ؟ قال: رسول اللّه ﷺ أكبر، وأنا ولدت قبله.

[٤٣٧] ـ وروينا عن عثمان بن عفان رضي اللّه عنه أنه قال لبعض أهل المدينة: أنا أسن أم أنت؟ فقال له: لا أذكر ليلة زفت أمك المباركة على أبيك الطيب، وهذا الاحتراز مليح لأنه لم يقل أمك الطيبة.

[٤٣٨] ـ قال ابن عرابة المؤدب: حكى لي محمد بن عمر الضبي أنه حفظ ابن المعتز وهو يؤدبه (والنازعات) وقال له: إذا سألك أمير المؤمنين أبوك: في أي شيء أنت؟ فقل له: في السورة التي تلي (عبس) ولا تقل أنا في النازعات. قال: فسأله أبوه: في أي شيء أنت؟ قال: في السورة التي تلي عبس، فقال: من علمك هذا؟ قال: مؤدبي. قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم.

[٤٣٩] ـ قال عبد الواحد بن نصر المخزومي قال: أخبرني من أثق به أنه خرج في طريق الشام مسافراً يمشي وعليه مرقعة، وهو في جماعة نحو الثلاثين رجلاً كلهم على هذه الصفة، فصحبنا في بعض الطريق رجل شيخ حسن الهيئة ومعه حمار فاره يركبه، ومعه بغلان عليهما رجل وقماش ومتاع فاخر، فقلنا له: يا هذا إنك لا تفكر في خروج الأعراب علينا، فإنه لا شيء معنا يؤخذ وأنت لا تصلح لك صحبتنا مع ما معك، فقال: يكفينا اللّه، ثم سار ولم يقبل منا، وكان إذا نزل يأكل استدعى أكثرنا فأطعمه وسقاه، وإذا عيي الواحد منا أركبه على أحد بغليه، وكانت جماعة تخدمه وتكرمه وتتدبر برأيه إلى أن بلغنا موضعاً، فخرج علينا نحو ثلاثين فارساً من الأعراب، فتفرقنا عليهم ومانعناهم، فقال الشيخ: لا تفعلوا، فتركناهم ونزل، فجلس وبين يديه سفرته، ففرشها وجلس يأكل، وأظلتنا الخيل، فلما رأوا الطعام دعاهم إليه، فجلسوا يأكلون، ثم حل رحله وأخرج منه حلوى كثيرة وتركها بين يدي الأعراب، فلما أكلوا وشبعوا جمدت أيديهم وخدرت أرجلهم ولم يتحركوا، فقال لنا: إن الحلو منبج، أعددته لمثل هذا وقد تمكن منهم وتمت الحيلة. ولكن لا يفك البنج إلا أن تصفعوهم، فافعلوا فإنهم لا يقدرون لكم

على ضرر ونسير، ففعلوا فما قدروا على الامتناع، فعلمنا صدق قوله، وأخذنا أسلحتهم وركبنا دوابهم وسرنا حواليه في موكب، ورماحهم على أكتافنا، وسلاحهم علينا، فما نجتاز بقوم إلا يظنونا من أهل البادية فيطلبون النجاة منا، حتى بلغنا مأمننا.

[٤٤٠] ـ حدّثنا أبو محمد عبد اللَّه بن علي المقري قال: دفن رجل مالاً في مكان وترك عليه طابقاً وتراباً كثيراً، ثم ترك فوق ذلك خرقة فيها عشرون ديناراً، وترك عليها تراباً كثيراً ومضى، فلما احتاج إلى الذهب كشف عن العشرين، فلم يجدها، فكشف عن الباقي فوجده، فحمد اللَّه على سلامة ماله، وإنما فعل ذلك خوفاً أن يكون قد رآه أحد، وكذلك كان، فإنه لما جاءه الذي رآه وجد العشرين، فأخذها ولم يعتقد أن ثم شيئاً آخر.

[٤٤١] ـ حدّثني بعض المشايخ أن رجلاً يهودياً كان معه مال، فاحتاج إلى دخول الحمام، وخاف أن ينكسر سبته إن حمله معه، فدخل إلى خزانة الحمام، فحفر ودفنه، ثم دخل إلى الحمام وخرج، فبحث عنه، فلم يجده، فسكت ولم يخبر أحداً لا زوجته ولا ولداً ولا صديقاً، فجاءه بعد أيام رجل، فقال: كيف أنت مَنْ شغل قلبك؟ فلزمه وقال: رد مالي لي، فقالوا له: من أين علمت؟ قال: ما رآني لما دفنته مخلوق ولا حدثت به مخلوقاً. قال: إن هذا أخذه. أمَا قال: كيف أنت من شغل قلبك؟.

[٤٤٢] ـ وقال بعضهم: خرجت في الليل لحاجة، فإذا أعمى على عاتقه جرة، وفي يده سراج، فلم يزل يمشي حتى أتى النهر وملأ جرته وانصرف راجعاً، فقلت: يا هذا، أنت أعمى والليل والنهار عندك سواء، فقال: يا فضولي حملتها معي لأعمى القلب مثلك يستضيء بها، فلا يعثر بي في الظلمة فيقع علي فيكسر جرتي.

[٤٤٣] ـ روى أبو الحسن الأصفهاني أن إبراهيم الموصلي دخل على الرشيد وبين يديه جارية كأنها خوط بان، فقال له الرشيد: غني فغنت:

تـوهّـمـه قـلـبـي فـأصْـبـح خـدّهُ وفيـه مكـانُ الـوهْـمِ مِنْ نظري أثَـرْ
ومـرّ بـوهـمـي خـاطـراً فـجـرحـتـه ولـم أرَ جسـمـاً قط يَجْرحه الفِكَرْ

قال إبراهيم، فذهبت واللَّه بعقلي حتى كدت أفتضح، فقلت: من هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه التي يقول فيها الشاعر:

لـهـا قَـلـبـي الـغَـدَاةَ وقـلـبُـهـا لـي فَـنَـحْـنُ كَـذاك فـي جَـسَـدَيْـن روحُ

ثم قال: غنِّ يا إبراهيم فغنيت:

تَشَرَّبَ قلبي حبّها ومشى بها تمشي حميّا الكأسِ في جِسْم شارِبِ
ودبّ هواها في عظامي فشفّها كما دبَّ في الملْسُوعِ سُمّ العَقَارِبِ

قال: ففطن بتعريضي، وكانت غلطة مني، فأمرني بالانصراف، ولم يدعني شهراً، ثم دس إليّ خادماً ومعه رقعة فيها مكتوب:

قد تخوفت أن أموتَ من الوجْدِ ولم يدرِ من هويت بحالي
يا كتابي اقرأ السّلامَ على مَنْ لا أسمي وقل له يا كتابي
إن كفا إليك قد كتبتني في شقاءِ مواصل وعذابِ

فأتاني الخادم بالرقعة، فقلت له: ما هذا؟ قال: رقعة من فلانة الجارية التي غنتك بين يدي أمير المؤمنين، فأحسست بالقصة، فشتمت الخادم وقمت إليه فضربته ضرباً شفيت منه نفسي، وركبت إلى الرشيد من فوري، فأخبرته بالقصة وأعطيته الرقعة، فضحك حتى كاد يستلقي وقال: على عمد فعلت ذاك لأمتحنك وأعرف مذهبك وطريقتك، ثم دعا لي الخادم. فخرج فلما رآني قال: قطع اللّه يديك ورجليك ويلك قتلتني، فقلت: القتل بعض حقك لما وردت به عليَّ ولكني أبقيت عليك، وأخبرت أمير المؤمنين ليأتي في عقوبتك ما تستحقه، فأمر لي الرشيد بصلة سنية، واللّه يعلم أني ما فعلت ما فعلته عفافاً بل خوفاً.

[٤٤٤] ـ وقعت على ابن المهلب حية، فلم يدفعها عن نفسه، فقال له أبوه: يا بني؛ ضيعت العقل من حيث حفظت الشجاعة.

* * *

في ذكر
طرف من أحوال الشعراء والمدَّاحين

[٤٤٥] ـ قال يموت بن المزرع: جلس الجماز يأكل على مائدة بين يدي جعفر بن القاسم وجعفر يأكل على مائدة أخرى، وكانت الصفحة ترفع من بين يدي جعفر، فتوضع بين يدي الجماز، فربما كان عليها قليل وربما لم يكن شيء، فقال الجماز: أصلح اللَّه الأمير ما نحن اليوم إلا عَصَبة، فربما فضل لنا بعض المال، وربما أخذه أهل السهام ولا يبقى لنا شيء.

[٤٤٦] ـ قال أبو الحسن السلامي الشاعر: مدح الخالديان سيف الدولة بن حمدان بقصيدة أولها:

تَصُدُّ ودارُها صَدَدُ ... وتُوعِدُه ولا تَعِدُ
وقَدْ قَتَلَتْه ظالمة ... فَلَا عَقْلٌ ولَا قَوَدُ

وقال فيها في مدحه:

فوجْهُ كُلّه قَمَر ... وسَائِرُ جِسْمِهِ أسَدُ

فلما أنشده إياها أعجب بها سيف الدولة واستحسن هذا البيت منها، وجعل يردد إنشاده، فدخل عليه الشيطمي الشاعر، فقال له: اسمع هذا البيت وأنشده إياه. فقال له الشيطمي: احمد ربك فقد جعلك من عجائب البحر.

[٤٤٧] ـ قال المصنف: الخالديان رجلان. وهما أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم كانا أخوين واتفقا في حسن الطبع ورقة الشعر وكثرة الأدب، وكانا يشتركان في الشعر وينفردان فقال فيهما أبو إسحاق الصابي:

أرَى الشَّاعِرَيْنِ الخَالِدِيَّيْنِ سَيَّرا ... قَصَائِدَ يَفْنى الدَّهْرُ وَهْيَ تُخَلَّدُ
تَنازَعَ قَوْمٌ فِيهِما وتَنَاقَضُوا ... ومَرّ جِدالٌ بَيْنَهُمْ يَتَرَدَّدُ
فَطائِفَةٌ قالَتْ سَعِيدٌ مُقَدَّمٌ ... وطائِفَةٌ قالَتْ لَهُمْ بَلْ مُحَمَّدُ
وصارُوا إِلى حُكْمِي فَأَصْلَحْتُ بَيْنَهُمْ ... وما قُلْتُ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَرْشَدُ
هُما في اجْتِماعِ الفَضْلِ زَوجٌ مُؤَلَّفٌ ... ومَعْناهُما مِنْ حَيْثُ ثَنَّيْتَ مُفْرَدُ

[٤٤٨] ـ خرج طاهر بن الحسين لقتال عيسى بن هامان، فخرج وفي كمه دراهم يفرقها على الفقراء، ثم سها، وأسبل كمه، فتبددت، فتطير، فقال له شاعر في ذلك:

هـذا تـفـرّق جَـمْـعِـهِـم لا غَـيْـرُه وذَهَـابُـه مِـنّـا ذَهَـابُ الـهَـمِّ
شـيءٌ يـكـونُ الـهـمُّ نِـصْـفَ حُـرُوفِـهِ لا خَـيْـرَ فـي إمـسَـاكِـهِ فـي الـكُـمِّ

[٤٤٩] ـ أحضر عبد الملك رجلاً يرى رأي الخوارج، فأمر بقتله، فقال: ألست القائل:

ومِـنّـا سـويـدٌ والـبـطـيـنُ وقُـعْـنـبٌ ومـنّـا أمـيـرُ الـمـؤمـنـيـن شَـبـيـبُ

فقال: إنما قلت: ومنا أميرَ المؤمنين أردت يا أمير المؤمنين، فحقن دمه ودرأ عن نفسه إذ صرف الإعراب عن الخبر إلى الخطاب.

[٤٥٠] ـ هجا بعض الشعراء أبا عثمان المازني فقال:

وفَـتًـى مِـنْ مَـازِنٍ سَـادَ أهـلَ الـبَـصْـرَهْ
أُمُّـه مَـعْـرِفَـةٌ وَأَبُـوه نَـكِـرَهْ

[٤٥١] ـ ودخل عبد الملك بن صالح دار الرشيد، فلقيه إسماعيل بن صبيح الحاجب، فقال: اعلم أنه وُلد لأمير المؤمنين ابنان، فعاش أحدهما ومات الآخر، فيجب أن تخاطبه بحسب ما عرفتك، فلما صار بين يديه قال: سرَّك اللّه يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرَّك، وجعلها واحدة بواحدة، تستوجب من اللّه زيادة الشاكرين وجزاء الصابرين.

[٤٥٢] ـ قال: دخل جعفر الضبي على الفضل بن سهل، فقال: أيها الأمير؛ أسكتني عن أوصافك تساوي أفعالك في السؤدد، وحيرني فيها كثرة عددها، فليس إلى ذكر جميعها سبيل، فإن أردت وصف واحدة اعترضت أختها، فلم تكن الأولى أحق بالذكر، فلست أصفها إلا بإظهار العجز عن وصفها.

[٤٥٣] ـ قال: دخل أبو دلامة على المنصور، فأنشده قصيدة، فقال: يا أبا دلامة، إن أمير المؤمنين قد أمر لك بكذا وكذا من صلة، وكساك وجملك وأقطعك أربعمائة جريب مائتان عامر ومائتان غامر، فقال: أما ما ذكر أمير المؤمنين من الصلة فقد عرفته وعرفت العامر، فما الغامر؟ قال: الذي لا نبات فيه ولا شجر قال: فقد أقطعت أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامر قال: ويحك أين؟ قال: فيما بين الحرَّة والكوفة، فضحك منه وسوغها إياه عامرة.

[٤٥٤] ـ قال المدايني: دخل نصيب على عبد الملك بن مروان، فتغدى معه ثم قال له: هل لك فيما يتنادم عليه؟ فقال: لوني حائل وشعري مفلفل وخلقي مشوه، ولم أبلغ ما بلغت من إكرامك إياي بشرب أب ولا أم، وإنما بلغته بعقلي ولساني، فأنشدك اللّه يا أمير المؤمنين أن تحول بيني وبين ما بلغت به هذه المنزلة، فأعفاه.

[٤٥٥] ـ قال المدايني: جلس نساء ظراف إلى بشار بن برد، فتحدث وتحدّثن، ثم قلن له: لوددنا أنك أبونا. قال: على أني على دين كسرى.

[٤٥٦] ـ قال خالد الكاتب: أُرتج عليَّ وعلى دعبل وواحد من الشعراء قد سماه ولم أحفظ اسمه نصف بيت، قلنا جميعاً: يا بديع الحسن ثم قلنا: ليس لنا إلا جعيفران الموسوس فجئناه، فقال: ما تبغوني؟ فقال خالد: جئناك في حاجة، فقال: لا تؤذوني فإني جائع، فبعثنا فاشترينا له طعاماً، فلما شبع قال: حاجتكم؟ قلنا: اختلفنا في نصف بيت، فقال: ما هو؟ قلنا: يا بديع الحسن، فما تلعثم واللّه أن قال:

يا بديع الحُسْنِ حَاشَا لَكَ مِنْ هَجْرِ بَدِيعِ

فقال له دعبل: زدني بيتاً، فقال:

وبِحُسنِ الوجْه عَوِّذْ تُكَ مِنْ سُوءِ الصَّنيع

فقال له الذي معنا: ولي بيت، فقال: نعم وعزازة وكرامة.

ومِنَ النَّخْوةِ يستَعْـ ـفِيكَ لي ذُلُّ الخُضُوعِ

فقلت: أستودعك اللّه. فقال: انتظروا أزدكم بيتاً آخر، فقال:

لا يَعِبْ بَعْضُكَ بَعْضاً كُنْ جميلاً في الجميعِ

[٤٥٧] ـ ومن الفطنة: الكلام الموجه الذي يحتمل المدح والذم، ومنه قول المتنبي:

عَدُوّك مَذْمُومٌ بكلِّ لِسانِ

فإنه يحْتَمِلُ المدْحَ ويحتملُ الذمَّ ووجْهُ الذّمِّ، أن يكون المذكور دنياً ولا يعادي الدنيُّ إلا مثله، وكذلك قوله:

ولِلّهِ سِرٌ في عُلَاكَ

يحتمل المدح. أي سر لا يطلع عليه في تقديم مثلك.

[٤٥٨] ـ قال شاعر، فأراد أن يكثر عليه، فقال لأهل البلد:

وتَشَابَهتْ سُوَرُ القُرَانِ عَلَيْكُمُو فَقَرَنْتُمُ الأَنْعَامَ بِالشُّعَراءِ

[٤٥٩] ـ ومدح رجل رجلاً يقال له: يسير، فقال في مدحه:

وفَضْلُ يَسير في البلادِ يَسيرُ

فقيل له: إنك قد مدحته وإنه لا يعطيك شيئاً، فقال: إن لم يعطني شيئاً قلت بيدي هكذا وضم أصابعه يعني أنه قليل.

[٤٦٠] ـ وبلغني من هذا الجنس قول رجل في رجل:

تحلّى بأسماءِ الشُّهورِ فكفّه جُمَادى وما ضمّت عليه المحرمُ

[٤٦١] ـ وقال شاعر آخر:

وقائل لي ما الّذي تَشْتهي مِنَ التي قد ضمّها خِدْرُها

أوجهها حين بدا مُقْبلاً أم شَعْرها الأسود أم ثَغْرها

أم طَرفها الأدْعج أم كَشحها أم منبتُ الرمّان أم صدرها

قلت له أعشق ذا كلّه ونصف حران وثلثي رها

[٤٦٢] ـ سئل جحظة عن دعوة حضرها. فقال: كل شيء كان منها بارد إلا الماء.

[٤٦٣] ـ وقدمت إلى أبي يعقوب الخزيمي سكباجة كبيرة العظام، فقال: هذه شطرنجية وأتبعت بفالوذجة قليلة الحلاوة، فقيل: قد عملت هذه قبل أن يوحي ربك إلى النحل.

[٤٦٤] ـ قال شاعر لشاعر: أنا أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه.

[٤٦٥] ـ قال: دخل بعض شعراء الهند على أمير، فمدحه، فقال له الأمير: تقدم يا زوج القحبة، فقال: ما زوج القحبة؟ فقال: هذه بلغة العرب كناية عمن له قدر جليل ومحل كبير ومال ودواب وغلمان ومنزلة. قال: فأنت واللّه أيها الأمير أكبر زوج قحبة في الدنيا، فخجل وعلم أن مزاحه جر عليه شتمه.

[٤٦٦] ـ دخل بعض الأدباء على المأمون يسأله حاجة فلم يقضها، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن لي شكراً قال: ومن يحتاج إلى شكرك؟ فأنشأ يقول:

فَلَوْ كَانَ يستغْني عَن الشُّكْرِ مَالِكٌ لِكَثْرةِ مالٍ أو عُلُوٍّ مَكَانِ

لما نَدَبَ اللّه العِبَادَ لِشُكْرِهِ وقَال اشكُرُوني أَيُّها الثّقلانِ

فقال: أحسنت، وقضى حاجته.

[٤٦٧] ـ قال ابن الهبارية:

قَدْ قُلْتُ لِلشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَخِي السَّماحِ أَبِي المُظَفَّرْ
ذَكِّرْ مُعِينَ المُلْكِ بِي قَالَ المُؤَنَّثُ لا يُذَكَّرْ

[٤٦٨] ـ روى أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي قال: دخلت على أبي نصر بن أبي زيد وعنده علوي مبرم، فتأذى بطول جلوسه وكثرة كلامه، فلما نهض قال لي أبو نصر: ابن عمك هذا خفيف على القلب، فقلت: نعم، فقال: ما أظنك فهمت، ففكرت فعلمت أنه أراد خفيفاً مقلوباً، وهو الثقيل وهذا المعنى الذي أراده أبو سعيد بن دوست:

وأثقلُ منِّي زائري وكأنَّما يُقَلِّبُ في أَجْفانِ عيني وفي قَلْبي
فقلتُ له لما برِمْتُ بقُربهِ أراكَ على قَلْبي خفيفاً على القَلْبِ

[٤٦٩] ـ وصف لشاعر طيب خراسان، فلما سافر إليها لم تعجبه فقال:

تمنينا خراساناً زَمَاناً فلم نُعْطَ المُنَى والصّبر عَنْها
فَلَمَّا أَنْ أتيناها سِرَاعاً وجَدْناها بحَذْفِ النِّصفِ مِنْها

* * *

في ذكر
طرف من حيل المحاربين

[٤٧٠] ـ حدّثنا زياد بن جبير رضي اللّه عنه قال: أتي عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه برجل من المشركين، يقال له الهرمزان، فأسلم، فقال: فإني مستشيرك في مغازيَّ هذه فأشر عليَّ، فقال: نعم يا أمير المؤمنين: الأرض مثلها ومثل من فيها من الناس من عدو المسلمين مثل طائر له رأس وجناحان وله رجلان، فإن انكسر أحد الجناحين نهضت الرجلان بجناح والرأس، وإن انكسر الجناح الآخر نهضت الرجلان والرأس، فإن انشج الرأس ذهبت الرجلان والجناحان، فالرأس كسرى والجناح قيصر والجناح الآخر فارس، فَمُرِ المسلمين، فلينفروا إلى كسرى.

[٤٧١] ـ وقد روينا أن الإسكندر رأى في عسكره سمياً له لا يزال ينهزم فقال له: إما أن تغير اسمك أو فعلك.

[٤٧٢] ـ وخرج يوماً في الحرب من صف أصحابه وأمر منادياً فنادى: يا معشر الفرس، قد علمتم ما كتبنا لكم من الأمانات، فمن كان على الوفاء فليعتزل عن العسكر، وله منا الوفاء بما ضمناه، فاتهمت الفرس بعضها بعضاً، وكان أول اضطراب حدث فيهم.

[٤٧٣] ـ وفي رواية: أنه لما صادف دارا أمر منادياً في عسكر دارا: أيها الناس أما نحن فقد فعلنا ما اتفقنا عليه، فكونوا من وراء ما ضمنتم فاستشعر دارا أن عسكره قد عزموا على تسليمه إلى الإسكندر وكان ذلك سبب هزيمته.

[٤٧٤] ـ ولما شخص عن فارس إلى الهند تلقاه ملكها في جمع عظيم، ومعه ألف فيل عليها السلاح والرجال، وفي خراطيمها السيوف والأغمدة، فلم تقف لها دواب الإسكندر، فهزم وعاد إلى مأمنه، فأمر باتخاذ فيلة من نحاس مجوفة وربط خيله بين تلك التماثيل حتى ألفتها، ثم أمر فملئت نفطاً وكبريتاً وألبسها الدروع وجرت على العجل إلى المعركة، وبين تمثالين منها جماعة من أصحابه، فلما نشبت الحرب أمر بإشعال النار في جوف التماثيل، فلما حميت

انكشف أصحابه عنها وغشيتها الفيلة فضربتها بخراطيمها فتشيطت وولت مدبرة راجعة على أصحابها وصارت الدائرة على ملك الهند.

قال: ونزل مرة على مدينة حصينة، فتحصن أهلها منه، فأخبر أن عندهم من الميرة قدر كفايتهم، فدس تجاراً متنكرين وأمرهم بدخول المدينة، ورحل عنها وأمدهم بمال ومتاع، فباعوا ما معهم وابتاعوا الميرة، فلما أكنزوا كتب أن أحرقوا ما عندكم من الميرة واهربوا ففعلوا، فزحف إلى المدينة فحاصرها أياماً يسيرة، فأخذها وكان إذا أراد محاصرة بلد شرد من حولها من القرى، فهربوا إليها فيسرعون في أكل الميرة، فتقل، فيحاصرهم فيفتحها.

[٤٧٥] ـ وحُكي عن كسرى بن هرمز أنه كان بعث الأصهد إلى الروم في جيش عظيم، فأعطي من الظفر ما لم يعطه أحد قبله، وأخذ الأصهد خزائن الروم ووجهها على هيئتها إلى كسرى، ففطن كسرى أن مال الأصهد من الظفر، وأن هذا يغيره عليه، ويوجب له كبراً، فبعث إليه رجلاً ليقتله وكان المبعوث عاقلاً، فلما رأى الأصهد وتدبيره وعقله قال: ما يصلح قتل هذا بغير جرم، ثم أخبره بالذي جاء له، فأرسل الأصهد إلى قيصر إني أريد أن ألقاك. قال: إذ شئت فنلتقي. فقال لهم: إن هذا الخبيث قد هم بقتلي ووجه إليَّ رجلاً بذلك، وإني أريد هلاكه كالذي أراد مني والبادي أظلم، فاجعل لي من نفسك ما أطمئن عليه وأعطيك من بيوت أمواله مثل الذي أصبت منك، ومثل الذي أنت منفقه في مسيرك هذا، فأعطاه من المواثيق ما اطمأن إليه، وسار قيصر في أربعين ألفاً، فنزل بكسرى، فعلم كسرى كيف جرى الأمر، فاحتال لفض جنود قيصر، فدعا قساً متنصراً في دينه، فقال: إني كاتب معك كتاباً لطيفاً في حريرة لتبلغه الأصهد، فلا تطلعنّ على ذلك أحداً وأعطاه ألف دينار، وقد علم كسرى أن القس يوصل كتابه إلى قيصر لأنه تحته هلاك الروم، وكان في الكتاب: إلى الأصهد، إني كتبت إليك وقد دنا مني قيصر، فقد أحسن اللّه إلينا وأمكن منهم بتدبيرك لا عدمت صواب الرأي، وقد فرقت عليهم وأنا ممهله حتى يقرب من المدائن، ثم أغافله في يوم كذا فغره عليَّ من قتلك إياي، فإني أستأصلهم، فخرج القس بالكتاب، فأوصله إلى قيصر، فقال قيصر: هذا الحق وما أراد إلّا هلاكنا، فتولى منصرفاً وأتبعه كسرى إياس بن قبيصة الطائي، فقتل أصحابه ونجا قيصر في شرذمة قليلة.

[٤٧٦] ـ قال هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال: كان جذيمة بن مالك ملكاً على الحيرة وما حولها من السواد ملك ستين سنة، وكان به وضح، وكان

شديد السلطان يخافه القريب ويهابه البعيد، فنهيت العرب أن يقولوا الأبرص، فقالوا الأبرش فغزا مليح بن برء، وكان ملكاً على الحضر وهو الحاجز بين الروم والفرس، وهو الذي ذكره عدي بن زيد في قصيدة منها هذا البيت:

وأَخُـو الـحَـضْـرِ إذْ بَـنَـاهُ وإذْ دِجْـ ـلَـة تُـجْـبـى إلـيـه والـخَـابُـورُ

فقتله جذيمة وطرد الزباء إلى الشام، فلحقت بالروم، وكانت عربية اللسان، حسنة البيان، شديدة السلطان، كبيرة الهمة.

قال ابن الكلبي: لم يكن في نساء عصرها أجمل منها، وكان اسمها فارغة، وكان لها شعر إذا مشت سحبته وراءها، وإذا نشرته جلّلها، فسميت الزباء.

قال الكلبي: وبعث عيسى ابن مريم عليه السلام بعد قتل أبيها، فبلغت بها همتها أن جمعت الرجال وبذلت الأموال وعادت إلى ديار أبيها وملكتها، فأزالت جذيمة الأبرش عنها، وابتنت على الفرات مدينتين متقابلتين من شرقي الفرات ومن غربيه، وجعلت بينهما نفقاً تحت الفرات، وكان إذا راهقها الأعداء آوت إليه وتحصنت به، وكانت قد اعتزلت الرجال، فهي عذراء وكان بينها وبين جذيمة بعد الحرب مهادنة، فحدث جذيمة نفسه بخطبتها، فجمع خاصته فشاورهم في ذلك وكان له عبد يقال له قصير بن سعد، وكان عاقلاً لبيباً وكان خازنه وصاحب أمره وعميد دولته، فسكت القوم وتكلم قصير، فقال: أبيت اللعن أيها الملك إن الزباء امرأة قد حرمت الرجال، فهي عذراء لا ترغب في مال ولا جمال ولها عندك ثأر والدم لا ينام، وإنما هي تاركتك رهبة وحذار دولة، الحقد دفين في سويداء القلب له كمون ككمون النار في الحجر إن اقتدحته أورى، وإن تركته توارى، وللملك في بنات الملوك الأكفاء متسع، ولهن فيه منتفع، وقد رفع اللّه قدرك عن الطمع فيمن دونك وعظم شأنك فما أحد فوقك. فقال جذيمة: يا قصير الرأي ما رأيت والحزم فيما قلته، ولكن النفس تواقة إلى ما تحب وتهوى، ولكل امرئ قدر لا مفر له منه ولا وزر، فوجه إليها خاطباً، وقال: ائت الزباء فاذكر لها ما يرغبها فيه وتصبو إليه، فجاءتها خطبته، فلما سمعت كلامه وعرفت مراده قالت له: أنعم بك عيناً وبما جئت به وله، وأظهرت له السرور به والرغبة فيه وأكرمت مقدمه ورفعت موضعه، وقالت: قد كنت أضربت عن هذا الأمر خوفاً أن لا أجد كفؤاً، والملك فوق قدري وأنا دون قدره، وقد أجبت إلى ما سأل ورغبت فيما قال، ولولا أن السعي في مثل هذا الأمر بالرجال أجمل لسرت إليه ونزلت عليه، وأهدت إليه هدية سنية ساقت العبيد والإماء والكراع والسلاح والأموال والإبل والغنم، وحملت من الثياب

والعين والورق، فلما رجع إليه خطيبه أعجبه ما سمع من الجواب وأبهجه ما رأى من اللطف، وظن أن ذلك لحصول رغبة، فأعجبته نفسه وسار من فوره فيمن يثق به من خاصته وأهل مملكته، وفيهم قصير خازنه، واستخلف على مملكته ابن أخته عمرو بن عدي اللخمي، وهو أول ملوك الحيرة من لخم، وكان ملكه عشرين ومائة سنة، وهو الذي اختطفته الجن وهو صبي وردته، وقد شب ونبر، فقالت أمه: ألبسوه الطوق، فقال خاله جذيمة: شب عمرو عن الطوق فصارت مثلاً فاستخلفه وسار إلى الزباء، فلما صار ببقة نزل وتصيد وأكل وشرب واستعاد المشورة والرأي من أصحابه، فسكت القوم وافتتح الكلام قصير بن سعد قال: أيها الملك؛ كل عزم لا يؤيد بحزم. قال لي: أف ما يكون كونه فلا تثق بزخرف قول لا حصول له، ولا تعتقد الرأي بالهوى فيفسد، ولا الحزم بالمنى فيبعد، والرأي عندي للملك أن يعتقب أمره بالتثبت ويأخذ حذره بالتيقظ، ولولا أن الأمور تجري بالمقدور لعزمت على الملك عزماً بتاً أن لا يفعل، فأقبل جذيمة على الجماعة فقال: ما عندكم أنتم في هذا الأمر؟ فتكلموا بحسب ما عرفوا من رغبته في ذلك وصوبوا رأيه وقووا عزمه. فقال جذيمة: الرأي للجماعة والصواب ما رأيتم. فقال قصير: أرى القدر يسابق الحذر ولا يطاع لقصير أمر. فأرسلها مثلاً.

وسار جذيمة، فلما قرب من ديار الزباء نزل وأرسل إليها يعلمها بمجيئه، فرحبت وقربت وأظهرت السرور به والرغبة فيه، وأمرت أن يحمل إليه الأنزال والعلوفات، وقالت لجندها وخاصة أهل مملكتها وعامة أهل دولتها ورعيتها: تلقوا سيدكم وملك دولتكم.

وعاد الرسول إليه بالجواب بما رأى وسمع، فلما أراد جذيمة أن يسير دعا قصيراً، فقال: أنت على رأيك؟ قال: نعم، قد زادت بصيرتي فيه. أفأنت على عزمك؟ قال: نعم وقد زادت رغبتي فيه. فقال قصير: ليس للأمور بصاحب من لم ينظر في العواقب وقد يستدرك الأمر قبل فواته، وفي يد الملك بغية هو بها مسلط على استدراك الصواب، فإن وثقت بأنك ذو ملك وعشيرة ومكان، فإنك قد نزعت يدك من سلطانك وفارقت عشيرتك ومكانك، وألقيتها في يدي من لست آمن عليك مكره وغدره، فإن كنت ولا بد فاعلاً ولهواك تابعاً، فإن القوم إن تلقوك غداً فرقاً وساروا أمامك وجاء قوم وذهب قوم، فالأمر بعده في يدك والرأي فيه إليك، وإن تلقوك رزدقاً[١] واحداً وأقاموا لك صفين حتى إذا توسطتهم انقضوا عليك من كل

(١) أي: جمعاً واحداً.

جانب، فأحدقوا بك، فقد ملكوك وصرت في قبضتهم، وهذه العصا لا يشق غبارها، وكانت لجذيمة فرس تسبق الطير وتجاري الرياح، يقال لها العصا، فإذا كان كذلك، فتملك ظهرها فهي ناجية بك إن ملكت ناصيتها، فسمع جذيمة كلامه ولم يرد جواباً وسار، وكانت الزباء لما رجع رسول جذيمة من عندها قالت لجندها: إذا أقبل جذيمة غداً فتلقوه بأجمعكم وقوموا له صفين عن يمينه وشماله، فإذا توسط جمعكم، فتعرضوا عليه من كل جانب حتى تحدقوا به، وإياكم أن يفوتكم، وسار جذيمة وقصير عن يمينه، فلما لقيه القوم رزدقاً واحداً أقاموا له صفين، فلما توسطهم انقضوا عليه من كل جانب انقضاض الأحدل على فريسته فأحدقوا به وعلم أنهم قد ملكوه. وكان قصير يسايره فأقبل عليه، وقال: صدقت يا قصير، فقال قصير: أيها الملك! أبطأت بالجواب، حتى فات الصواب. فأرسله مثلاً. فقال: كيف الرأي الآن؟ قال: هذه العصا فدونكها لعلك تنجو بها، فأنف جذيمة من ذلك وسارت به الجيوش. فلما رأى قصير أن جذيمة قد استسلم للأسر وأيقن بالقتل جمع نفسه، فصار على ظهر العصا وأعطاها عنانها وزجرها، فذهبت تهوي به هوي الرياح، فنظر إليه جذيمة وهي تطاول به، وأشرقت الزباء من قصرها، فقالت: ما أحسنك من عروس تجلى عليَّ وتزف إليَّ، حتى دخلوا به إلى الزباء، ولم يكن معها في قصرها إلَّا جوار أبكار أتراب.

وكانت جالسة على سريرها وحولها ألف وصيفة كل واحدة لا تشبه صاحبتها في خلق ولا زي، وهي بينهن كأنها قمر قد حفت به النجوم تزهو، فأمرت بالأنطاع فبسطت، وقالت لوصائفها خذوا بيد سيدكن وبعل مولاتكن، فأخذن بيده فأجلسنه على الأنطاع بحيث يراها وتراه، وتسمع كلامه ويسمع كلامها، ثم أمرت الجواري فقطعن رواهشه[١]، ووضعت الطشت تحت يده، فجعلت تشخب في الطشت، فقطرت قطرة على النطع، فقالت لجواريها: لا تضيعوا دم الملك. فقال جذيمة: لا يحزنك دم أراقه أهله، فلما مات قالت: واللّه ما وفى دمك ولا شفى قتلك، ولكنه غيض من فيض، ثم أمرت به، فدفن.

وكان جذيمة قد استخلف على مملكته ابن أخته عمرو بن عدي، وكان يخرج كل يوم إلى ظهر الحيرة يطلب الخبر، ويقتفي الأثر عن خاله، فخرج ذات يوم فنظر إلى فارس قد أقبل يهوي به فرسه هوي الريح، فقال: أما الفرس ففرس جذيمة، وأما الراكب فكالبهيمة، لأمر ما جاءت العصا، فأشرف عليهم قصير،

---

(١) أي: شرايينه.

فقالوا: ما وراءك؟ قال: سعى المقدر بالملك إلى حتفه على الرغم من أنفي وأنفه، فاطلب بثأرك من الزباء، فقال عمرو: وأي ثأر يطلب من الزباء، وهي أمنع من عقاب الجو، فقال قصير: قد علمت نصحي كان لخالك وكان الأجل رائده، واللّه لا أنا عن الطلب بدمه ما لاح نجم وطلعت شمس أو أدرك به ثأراً أو تخترم نفسي فأعذر، ثم إنه عمد إلى أنفه فجدعه، ثم لحق بالزباء على صورة كأنه هارب من عمرو بن عدي، فقيل لها: هذا قصير بن سعد عم جذيمة وخازنه وصاحب أمره قد جاءك، فأذنت له، فقالت: ما الذي جاءك إلينا يا قصير وبيننا وبينك دم عظيم الخطر؟ فقال: يا ابنة الملوك العظام! لقد أتيت فيما يؤتى مثلك في مثله، ولقد كان في دم الملك يطلبه حتى أدركه وقد جئتك مستجيراً بك من عمرو بن عدي فإنه اتهمني بخاله وبمشورتي عليه بالمسير إليك، فجدع أنفي وأخذ مالي، وحال بيني وبين عيالي وتهددني بالقتل، وإني خشيت على نفسي، فهربت منه إليك، أنا مستجير بك ومستند إلى كهف عزك، فقالت: أهلاً وسهلاً، لك حق الجوار وذمة المستجير وأمرت به فأنزل وأجرت له الأنزال ووصلته وكسته وأخدمته وزادت في إكرامه، وأقام مدة لا يكلمها ولا تكلمه وهو يطلب الحيلة عليها وموضع الفرصة منها، وكانت ممتنعة بقصر مشيد على باب النفق تعتصم به فلا يقدر أحد عليها، فقال لها قصير يوماً: إن لي بالعراق مالاً كثيراً وذخائر نفيسة مما يصلح للملوك، وإن أذنت لي في الخروج إلى العراق وأعطيتني شيئاً أتعلل به في التجارة وأجعله سبباً للوصول إلى مالي أتيتك بما قدرت عليه من ذلك، فأذنت له وأعطته مالاً، فقدم العراق وبلاد كسرى، فأطرفها من طرائفه وزادها مالاً إلى مالها كثيراً وقدم عليها، فأعجبها ذلك وسرها وترتب له عندها منزلة، وعاد إلى العراق ثانية فقدم بأكثر من ذلك طرفاً من الجواهر والبز والخز والديباج، فأزداد مكانه منها وازدادت منزلته عندها ورغبتها فيه، ولم يزل قصير يتلطف حتى عرف موضع النفق الذي تحت الفرات والطريق إليه، ثم خرج ثالثة فقدم بأكثر من الأُولَيَيْنِ ظرائف ولطائف، فبلغ مكانه منها وموضعه عندها إلى أن كانت تستعين به في مهماتها وملماتها، واسترسلت إليه وعولت في أمورها عليه، وكان قصير رجلاً حسن العقل والوجه حصيفاً لبيباً أديباً، فقالت له يوماً: أريد أن أغزو البلد الفلاني من أرض الشام، فاخرج إلى العراق فأتني بكذا وكذا من السلاح والكراع والعبيد والثياب، فقال قصير: ولي في بلاد عمرو بن عدي ألف بعير وخزانة من السلاح والكراع والعبيد والثياب وفيها كذا وكذا، وما يعلم عمرو بها، ولو علمها لأخذها واستعان بها على

حربك، وكنت أتربص به المنون، وأنا أخرج متنكراً من حيث لا يعلم، فآتيك بها مع الذي سألت، فأعطته من المال ما أراد. وقالت: يا قصير، الملك يحسن لمثلك وعلى يد مثلك يصلح أمره. ولقد بلغني أن أمر جذيمة كان إيراده وإصداره إليك وما تقصر يدك عن شيء تناله يدي، ولا يقعد بك حال ينهض بي، فسمع بها رجل من خاصة قومها فقال: أسد غادر، وليث ثائر قد تحفز للوثبة.

ولما رأى قصير مكانه منها وتمكنه من قلبها قال: الآن طاب المصاع وخرج من عندها، فأتى عمرو بن عدي، فقال: قد أصبت الفرصة من الزباء، فانهض فعجل الوثبة، فقال له عمرو: قل أسمع، ومُرْ أفعل، فأنت طبيب هذه القرحة، فقال: الرجال والأموال. قال: حكمك فيما عندنا مسلط، فعمد إلى ألفي رجل من فتيان قومه وصناديد أهل مملكته، فحملهم على ألف بعير في الغرائر السود، وألبسهم السلاح والسيوف والجحف، وأنزلهم في الغرائر، وجعل رؤوس المسوح من أسفالها مربوطة من داخل، وكان عمرو فيهم، وساق الخيل والعبيد والكراع والسلاح والإبل محملة، فجاءها البشير فقال: قد جاء قصير ولما قرب من المدينة حمل الرجال في الغرائر متسلّحين بالسيوف والجحف، وقال: إذا توسطت الإبل المدينة، فالأمارة بيننا كذا وكذا فاخترطوا الربط. فلما قربت العير من مدينة الزباء في قصرها، فرأت الإبل تتهادى بأحمالها، فارتابت بها، وقد كان وُشي بقصير إليها وحذرت منه، فقالت للواشي بها إليها: إن قصيراً اليوم منا، وهو ربيب هذه النعمة وصنيعة هذه الدولة، وإنما يبعثكم على ذلك الحسد ليس فيكم مثله، فقدح ما رأت من كثرة الإبل وعظم أحمالها في نفسها مع ما عندها من قول الواشي به إليها فقالت:

ما لِلْجِمَال مَشْيَها وئيدا ... أجَنْدَلاً يحمِلْنَ أم حديدا

أم صرفاناً بارداً شديدا ... أم الرجال في المُسوح سُودَا

ثم أقبلت على جواريها، فقالت: أرى الموت الأحمر في الغرائر السود، فذهبت مثلاً، حتى إذا توسطت الإبل المدينة وتكاملت ألقوا إليهم الأمارة فاخترطوا رؤوس الغرائر، فسقط إلى الأرض ألفا دراع بألفي باتر طالب ثأر القتيل غدراً، وخرجت الزباء تمصع[1] تريد النفق، فسبقها إليه قصير، فحال بينها وبينه، فلما رأت أن قد أحيط بها ومُلِكت، التقمت خاتماً في يدها تحت فصه سمّ ساعة، وقالت: بيدي لا بيدك يا عمرو، فأدركها عمرو وقصير، فضرباها بالسيف حتى

---

(١) أي: تريد الهروب.

هلكت وملكا مملكتها، واحتويا على نعمتها، وخطَّ قصير على جذيمة قبراً، وكتب على قبره هذه الأبيات يقول:

مَلِكٌ تَمَتَّعَ بالعَسَاكِرِ والقَنَا والمَشْرفِيَّةِ عِزُّهُ ما يُوصَفُ
فَسَعَتْ مَنِيَّتُهُ إلى أَعدائِهِ وهُوَ المُتَوَّجُ والحُسَامُ المُرْهَفُ

[٤٧٧] ـ وقد روينا أن ملكاً كان يقال له شمر ذو الجناح سار إلى سمرقند، فحاصرها، فلم يظفر منها بشيء، فطاف حولها بالحرس، فأخذ رجلاً من أهلها، فاستمال قلبه وسأله عن المدينة، فقال: أما ملكها فأحمق الناس ليس له همّ إلّا الشراب والأكل والجماع، ولكن له بنت هي التي تقضي أمر الناس، فبعث منه هدية إليها، وقال: أخبرها أني لم أجئ لالتماس المال، فإن معي من المال أربعة آلاف تابوت ذهباً وفضة، وأنا دافعها إليها وأمضي إلى الصين، فإن كانت لي الأرض كانت امرأتي، وإن هلكت كان المال لها، فلما بلغتها رسالته قالت: قد أجبته فليبعث بالمال، فأرسل إليها أربعة آلاف تابوت في كل تابوت فارس، وجعل شمر العلامة بينه وبينهم أن يضرب بالجلجل، فلما صاروا في المدينة ضرب بالجلجل، فخرجوا، فأخذوا الأبواب، ونهض شمر في الناس، فدخل المدينة، فقتل أهلها وحوى ما فيها، ثم سار إلى الصين.

[٤٧٨] ـ وقد كان كسرى من الذكاء على غاية، فروينا عنه أنه نمّ إليه رجل بصديق له فكتب كسرى للنام: قد اخترنا نصحك وذممنا صاحبك لسوء اختياره الإخوان.

قال منجمو كسرى: إنك تقتل، فقال: لأقتلن من يقتلني، فأمر بسم فخلط في أدوية، ثم كتب عليه دواء الجماع مجرب من أخذ منه وزن كذا جامع كذا وكذا مرة، فلما قتله ابنه شيرويه وفتش خزائنه مرّ به، فقال في نفسه هذا الدواء الذي كان يقوى به على السراري، فأخذ منه. فقتله وهو ميت.

[٤٧٩] ـ وفي رواية: أن شيرويه لما أراد قتل أبيه بعث إليه من يقتله، فلما دخل عليه قال: إني أدلك على شيء لوجوب حقك يكون فيه غناك. قال: وما هو؟ قال: الصندوق الفلاني، فذهب الرجل إلى شيرويه، فأخبره الخبر، فأخرج الصندوق وفيه حق فيه حب، وثمَّ مكتوب من أخذ منه واحدة افتض عشرة أبكار، فطمع شيرويه في صحة ذلك، فأخذه وعوض الرجل منه، ثم أخذ منه حبة، فكان هلاكه، وكان كسرى أول ميت أخذ بثأره من حي.

[٤٨٠] ـ هزم بعض الملوك، فنثر لطالبيه زجاجاً ملوناً شبيهاً بالجوهر

الأحمر والأخضر، ودنانير صفراً مطلية بالذهب، فتشاغل طالبوه بلقطها، فنجا.

[٤٨١] ـ علم بعض الملوك بعسكر يطلبه، فأخذ شعيراً فطبخه بالماء مع قضبان الدفلي، ثم جففه ثم جربه في دابة، فلما أكلته نفقت من يومها، فخرج هو وعسكره ناحية ونثر الشعير والميرة، فلما سار القوم إليه ترك ما في معسكره وتنحى، فجاؤوا فأطلقوا دوابهم في الشعير، فهلكت كلها.

[٤٨٢] ـ حارب قوم ومعهم فيلة، فقهروا عدوهم، فأشار على العدو رجل أن يحملوا خنزيراً وأن يضربوه، فلما سمعت الفيلة صوته هربت.

[٤٨٣] ـ جاء رجل معه هر تحت حضنه ومشى بسيفه إلى الفيل، فلما دنا منه رمى بالهر في وجهه، فأدبر الفيل هارباً، وتساقط من كان فوقه فكبّر المسلمون وكان سبب الهزيمة.

[٤٨٤] ـ قيل لأسلم بن زرعة: إن انهزمت من أصحاب مرداس بن أدية يغضب عليك الأمير عبيد اللّه بن زياد، قال: يغضب علي وأنا حي أحب من أن يرضى عني وأنا ميت.

[٤٨٥] ـ خرج أمير ومعه رجل فيه ذكاء، فبينما هم على الغداء قال للأمير: اركب فقد لحقنا العدو. قال: كيف وما يرى أحد؟ قال: اركب عاجلاً، فإن الأمر أسرع مما تحسب، فركب وركب الناس، فلاحت الغبرة وطلع عليهم سرعان الخيل، فعجب الأمير، وقال: كيف علمت؟ قال: أما رأيت الوحش مقبلة علينا، ومن شأن الوحوش الهرب منا، فعلمت أنها لم تدع عاداتها إلا لأمر قد دهمها. واللّه الموفق.

* * *

في ذكر
طرف من فطن المتطببين

[٤٨٦] ـ قال محمد بن علي الأمين: حدّثنا بعض الأطباء الثقات أن غلاماً من بغداد قدم الري، فلحقه في طريقه أنه كان ينفث الدم، فاستدعى أبا بكر الرازي الطبيب المشهور بالحذق، فأراه ما ينفث ووصف له ما يجد، فنظر إلى نبضه وقارورته، واستوصف حاله، فلم يقم له دليل على سل ولا قرحة، ولم يعرف العلة، فاستنظر العليل لينظر في حاله، فاشتد الأمر على المريض، وقال: هذا يأس لي من الحياة لحذق المتطبب وجهله بالعلة، فزاد ألمه، ففكر الرازي، ثم عاد إليه، فسأله عن المياه التي شرب. فقال: من صهاريج ومسقفات، فثبت في نفس الرازي بحدة خاطره وجودة ذكائه أن علقة كانت في الماء، وقد حصلت في معدته، وذلك الدم من فعلها. فقال: إذا كان في غد عالجتك، ولكن بشرط أن تأمر غلمانك أن يطيعوني فيك بما آمرهم. قال: نعم، فانصرف الرازي، فجمع مركنين كبيرين من طحلب، فأحضرهما في غد معه، فأراه إياهما قال: ابلع جميع ما في هذين المركنين، فبلع شيئاً يسيراً، ثم وقف. قال: ابلع. قال: لا أستطيع، فقال للغلمان: خذوه فأقيموه، ففعلوا به ذلك وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه، فأقبل الرازي يدس الطلحب في حلقه ويكبسه كبساً شديداً ويطالبه ببلعه ويتهدده بأن يضرب إلى أن بلع كارهاً أحد المركنين بأسره، والرجل يستغيث ويقول: الساعة قذف فزاد الرازي فيما يكبسه في حلقه، فذرعه القيء، فتأمل الرازي ما قذف فإذا فيه علقة، وإذا هي لما وصل إليها الطحلب قربت إليه بالطبع وتركت موضعها، فالتفت على الطحلب، ونهض العليل معافى.

[٤٨٧] ـ حدّثنا علي بن الحسن الصيدلاني قال: كان عندنا غلام حدث من أولاد النبا، فلحقه وجع في معدته شديد بلا سبب يعرفه، فكانت تضرب عليه أكثر الأوقات ضرباً عظيماً حتى يكاد يتلف، وقلَّ أكله، ونحل جسمه، فحمل إلى الأهواز، فعولج بكل شيء، فلم ينجع فيه، ورد إلى بيته وقد يئس منه، فجاز بعض الأطباء فعرف حاله، فقال للعليل: اشرح لي حالك من زمن الصحة، فشرح إلى أن قال: دخلت بستاناً فكان في بيت البقر رمان كثير للبيع، فأكلت منه كثيراً.

قال: كيف كنت تأكله؟ قال: كنت أعض رأس الرمانة بفمي، وأرمي به وأكسرها قطعاً وآكل، فقال الطبيب: غداً أعالجك بإذن اللّه تعالى، فلما كان الغد جاء بقدر أسفيداج قد طبخها من لحم جروٍ سمين، فقال للعليل: كل هذا. قال العليل: ما هو؟ قال: إذا أكلت عرفتك، فأكل العليل، فقال له: امتلئ منه فامتلأ، ثم قال له: أتدري أي شيء أكلت؟ قال: لا. قال لحم كلب، فاندفع يقذف، فتأمل القذف إلى أن طرح العليل شيئاً أسود كالنواة يتحرك، فأخذه الطبيب وقال: ارفع رأسك، فقد برأتَ، فرفع رأسه فسقاه شيئاً يقطع الغثيان، وصب على وجهه ماء ورد، ثم أراه الذي وقع فإذا هو قراد، فقال: إن الموضع الذي كان فيه الرمان كان فيه قردان من البقر، وأنه حصلت منهم واحدة في رأس إحدى الرمانات التي اقتلعت رؤوسها بفيك، فنزل القراد إلى حلقك وعلق بمعدتك يمتصها، وعلمت أن القراد[1] تهش إلى لحم الكلب، فإن لم يصح الظن لم يضرك ما أكلت، فصح، فلا تدخل فمك شيئاً لا تدري ما فيه، واللّه الموفق.

[٤٨٨] ـ حدّثنا أبو إدريس الخولاني قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي رضي اللّه تعالى عنه يقول: ما أفلح سمين قط إلّا أن يكون محمد بن الحسن، وقيل له: لا تعدو العاقل إحدى خصلتين: إما أن يهتم لآخرته ومعاده أو الدنيا ومعاشه، والشحم مع الهم لا ينعقد، فإذا خلا من المعنيين صار في حد البهائم، فانعقد الشحم، ثم قال: كان ملك في الزمان الأول وكان مثقلاً كثير الشحم لا ينتفع بنفسه، فجمع المتطببين وقال: احتالوا إليّ بحيلة يخف عني لحمي هذا قليلاً. قال: فما قدروا له على شيء. قال: فبعث له رجل عاقل أديب متطبب فارِه، فبعث إليه وأشخصه فقال له: عالجني ولك الغنى. قال: أصلح اللّه الملك أنا متطبب منجم دعني حتى أنظر الليلة في طالعك. أي دواء يوافق طالعك فأسقيك، قال: فغدا عليه، فقال: أيها الملك، الأمان. قال: لك الأمان. قال: رأيت طالعك يدل على أن الباقي من عمرك شهر، فإن أحببت عالجتك، وإن أردت بيان ذلك، فاحبسني عندك، فإن كان لقولي حقيقة فخل عني، وإلّا فاستقص مني، قال: فحبسه قال: ثم رفع الملك الملاهي واحتجب عن الناس، وخلا وحده مهتماً كلما انسلخ يوم ازداد غماً حتى هزل وخف لحمه، ومضى لذلك ثمان وعشرون يوماً، فبعث إليه وأخرجه، فقال: ما ترى. قال: أعز اللّه الملك. أنا أهون على اللّه عزّ وجلّ من أن أعلم الغيب، واللّه ما أعرف عمري، فكيف أعرف عمرك. إنه

(١) نوع من الحشرات، تلتصق بجلد البقر والماشية، ثم تمص دمها.

لم يكن عندي دواء إلا الغم، فلم أقدر أن أجلب إليك الغم إلّا بهذه العلة، فأذاب شحم الكلى، فأجازه وأحسن إليه.

[٤٨٩] ـ حدّثنا أبو الحسن بن الحسن بن محمد الصالحي الكاتب قال: رأيت بمصر طبيباً كان بها مشهوراً يعرف بالقطيعي، وقال: إنه يكسب في كل شهر ألف دينار من جرايات يجريها عليه قوم من رؤساء العسكر، ومن السلطان، ومما يأخذه من العامة قال: وكان له دار قد جعلها شبه المارستان من جملة داره يأوي إليها الضعفاء والمرضى فيداويهم ويقوم بأغذيتهم وأدويتهم وخدمتهم، وينفق أكثر كسبه في ذلك، فاتفق أن بعض فتيان الرؤساء بمصر أسكت. قال: فجعل إليه أهل الطب، وفيهم القطيعي، فأجمعوا على موته إلا القطيعي، وعمل أهله على غسله ودفنه، فقال القطيعي: أعالجه وليس يلحقه أكثر من الموت الذي قد أجمع هؤلاء عليه، فخلاه أهله معه، فقال: هات غلاماً جَلداً ومَقارِعَ، فأتي بذلك، فأمر به، فمد وضربه عشر مقارع أشد الضرب ثم مس جسده، ثم ضربه عشراً أخر، ثم جس مجسه، ثم ضربه عشراً أخر، ثم جس مجسه، وقال: أيكون للميت نبض؟ قالوا: لا. قال: فجسوا نبض هذا فجسوه، فقالوا: قد زاد نبضه، فضربه عشراً أخر، فتقلب فضربه عشراً فتأوه، فضربه عشراً فصاح، فقطع عنه الضرب، فجلس العليل يتأوه، فقال له: ما تجد؟ قال: أنا جائع. فقال: أطعموه، فجاؤوا بما أكله، فرجعت قوته وقمنا، وقد برأ. فقال له الأطباء: من أين لك هذا؟ قال: كنت مسافراً في قافلة فيها أعراب يخفرونا، فسقط منهم فارس عن فرسه، فأسكت، فقالوا: قد مات؟ قال: فعمد شيخ منهم فضربه فضرباً شديداً عظيماً، وما رفع الضرب عنه حتى أفاق، فعلمت أن الضرب جلب إليه حرارة أزالت سكتته، فقست عليه أمر هذا العليل.

[٤٩٠] ـ قال أبو منصور بن مارية، وكان من رؤساء البصرة قال: أخبرني شيوخنا قال: كان بعض أهلنا قد استسقى وأيسوا من حياته، فحمل إلى بغداد وشاوروا الأطباء فيه، فوصفوا له أدوية كباراً، فعرفوا أنه قد تناولها، فلم تنفع فأيسوا من حياته، وقالوا: لا حيلة لنا في برئه، فسمع العليل، فقال: دعوني الآن أتزود من الدنيا وآكل ما أشتهي ولا تقتلوني بالحمية، فقالوا: كل ما تريد، فكان يجلس بباب الدار، فمهما اجتاز به اشتراه وأكله، فمر به رجل يبيع جراداً مطبوخاً، فاشترى منه عشرة أرطال، فأكلها بأسرها، فانحل طبعه، فقام في ثلاثة أيام أكثر من ثلاثمائة مجلس، وكاد يتلف، ثم انقطع القيام وقد زال كل ما كان في جوفه وثابت قوته، فبرأ وخرج يتصرف في حوائجه، فرآه بعض الأطباء، فعجب من أمره وسأله

عن الخبر فعرفه، فقال: ليس من شأن الجراد أن يفعل هذا الفعل، ولا بد أن يكون في الجراد الذي فعل هذا خاصية، فأحب أن تدلني على صاحب هذا الجراد الذي باعه لك، فما زالا في طلبه حتى علما به، فرآه الطبيب فقال له: ممن اشتريت هذا الجراد؟ فقال: ما اشتريته أنا أصيده، وأجمع منه شيئاً كثيراً وأطبخه وأبيعه. قال: فمن أين تصطاده؟ فذكر له مكاناً على فراسخ يسيرة من بغداد، فقال له الطبيب: أعطيك ديناراً وتجيء معي إلى الموضع الذي اصطدت منه الجراد. قال: نعم، فخرجا وعاد الطبيب من الغد ومعه من الجراد شيء ومعه حشيشة، فقالوا له: ما هذا؟ قال: صادفت الجراد الذي يصيده هذا الرجل يرعى في صحراء جميع نباتها حشيشة يقال لها: مازريون وهي من دواء الاستسقاء، فإذا دفع إلى العليل منها وزن درهم أسهله إسهالاً عظيماً لا يؤمن أن ينضبط والعلاج بها خطر، ولذلك ما يكاد يصفها الأطباء، فلما وقع الجراد على هذه الحشيشة ونضجت في معدته، ثم طبخ الجراد ضعف فعلها بطبختين، فاعتدلت بمقدار ما أبرأت هذا.

[٤٩١] ـ قال أبو بكر الجفاني: دخلت يوماً على القاضي حسين بن أبي عمر وهو مهموم حزين، فقلت: لا يغم اللّه قاضي القضاة أبداً، ومن يزيد المائي حتى إذا مات يغتم عليه قاضي القضاة هذا الغم كله، فقال: ويحك مثلك يقول هذا في رجل أوحد في صناعته قد مات ولا خلف له يقاربه في حذقه وهل فخر البلد إلّا أن يكون رؤساء الصناع وحذاق أهل العلوم فيه، فإذا مضى رجل لا مثل له في صناعة لا بد للناس منها، فهلا يدل هذا الأمر على نقصان العلم وانحطاط البلدان، ثم أخذ يعدد فضائله، والأشياء الظريفة التي عالج بها، والعلل الصعبة التي زالت بتدبيره، فذكر من ذلك أشياء كثيرة. ومنها: أنه قال: لقد أخبرني من مدة مديدة رجل من جلة هذا البلد أنه كان حدث بابنة له علة ظريفة فكتمتها عنه، اطلع عليها فكتمها هو مدة، ثم انتهى أمرها إلى الموت، قال: فقلت لا يسعني كتم هذا أكثر من هذا. قال: وكانت العلة أن فرج الصبية كان يضرب عليها ضرباناً عظيماً لا تكاد تنام منه الليل ولا تهدأ بالنهار، وتصرخ من ذلك أعظم صراخ، ويجري في خلال ذلك منه دم يسير كماء اللحم، وليس هناك جرح يظهر ولا ورم كثير، فلما خفت المأتم ثم أحضرت يزيد فشاورته، فقال: أتأذن لي في الكلام وتبسط عذري فيه؟ فقلت: نعم، فقال: إنه لا يمكنني أن أصف شيئاً دون أن أشاهد الموضع وأفتشه بيدي، وأسأل المرأة عن أسباب لعلها كانت الجالبة للعلة. قال: فلعظم الصورة وبلوغها حد التلف أمكنه من ذلك، فأطال مساءلتها وحديثها بما ليس من جنس العلة بعد أن حبس الموضع حتى عرف بقعة الألم حتى كدت أن أثب به ثم تصبرت

ورجعت إلى ما أعرفه من ستره، فصبرت على مضض إلى أن قال: تأمر من يمسكها، ففعلت ثم أدخل يده في الموضع دخولاً شديداً، فصاحت الصبية وأغمي عليها وانبعث الدم، فأخرج في يده حيواناً أقل من الخنفساء فرمى به، فجلست الابنة في الحال واستترت وقالت: يا أبت استرني فقد عوفيت، قال: فأخذ الحيوان في يده وخرج من الموضع، فلحقته وأجلسته وقلت: أخبرني ما هذا؟ قال: إن تلك المسألة التي لم أشك أنك أنكرتها إنما كانت لأطلب شيئاً أستدل به على العلة إلى أن قالت لي إن يوماً من الأيام جلست في بيت دولاب البقر من بستان لكم، ثم حدثت العلة بها من غير سبب تعرفه من بعد ذلك اليوم، فتخايلت أنه قد دب إلى فرجها من القردان، وكلما امتص من موضعه ولد الضربان، وأنه إذا شبع نقط من الفرج الذي يمتص منه إلى خارج الفرج هذه النقطة اليسيرة من الدم، فقلت أدخل يدي وأفتش، فأدخلت يدي، فوجدت القراد، فأخرجته وهو هذا الحيوان، وقد كبر وتغيرت صورته لكثرة ما يمص من الدم على طول الأيام قال: فتأملت الحيوان، فإذا هو قراد قال: برئت الصبية. قال: فقال لي أبو الحسن القاضي: هل ببغداد اليوم من له صناعة مثل هذا؟ فكيف لا أغتم بمن هذا بعض حذقه.

[٤٩٢] ـ قال جبريل بن بختيشوع: كنت مع الرشيد بالرقة ومعه محمد والمأمون، وكان رجلاً كثير الأكل والشرب، فأكل يوماً أشياء خلط فيها، ودخل المستراح فغشي عليه، فأخرج وقوي الأمر حتى لم يشكوا في موته، فأحضرت وجسيت عرقه، فوجدت نبضاً خفياً، وقد كان قبل ذلك بأيام يشكو امتلاء وحركة الدم، فقلت: الصواب أن يحتجم الساعة، فقال كوثر الخادم: لما لم تقدر من أمر الخليفة يا ابن الفاعلة تقول: احجموا رجلاً ميتاً! لا نقبل قولك ولا كرامة. فقال المأمون: الأمر قد وقع وليس يضر أن تحجمه، فأحضر الحجام وتقدمت إلى جماعة من الغلمان بإمساكه ومص الحجام المحاجم، فاحمر المكان ففرحت، ثم قلت: اشرطه فشرطه، فخرج الدم فسجدت شكراً، فكلما خرج الدم أسفر لونه إلى أن تكلم وقال: أين أنا؟ أنا جائع فغديناه وعوفي، فسأله صاحب الحرس عن غلته، فعرفه أنها ألف درهم في كل سنة وسأل صاحبه، فعرفه أنّها خمسمائة ألف، فقال: يا جبريل كم عليك؟ قلت: خمسون ألفاً. قال: ما أنصفناك إذ غلات هؤلاء وهم يحرسوني كذلك وغلتك كما ذكرت، فأمر بإقطاعه ألف ألف درهم.

[٤٩٣] ـ حدّثنا أبو الحسن المهدي القزويني قال: كان عندنا طبيب يقال له ابن نوح، فلحقتني سكتة، فلم يشك أهلي في موتي وغسلوني وكفنوني وحملوني *على الجنازة، فمرت الجنازة عليه ونساء خلفي يصرخن، فقال لهم: إن صاحبكم*

حي فدعوني أعالجه، فصاحوا عليه، فقال لهم الناس: دعوه يعالجه، فإن عاش وإلّا فلا ضرر عليكم، فقالوا: نخاف أن تصير فضيحة، فقال: علي أن لا تصير فضيحة، قالوا: فإن صرنا؟ قال: حكم السلطان في أمري، وإن برأ فأي شيء لي؟ قالوا: ما شئت. قال: ديته. قالوا: لا نملك ذلك، فرضي منهم بمال أجابه الورثة إليه، وحملني فأدخلني الحمام وعالجني، وأفقت في الساعة الرابعة والعشرين من ذلك الوقت، ووقعت البشائر، ودفع إليه المال، فقلت للطبيب بعد ذلك: من أين عرفت هذا؟ فقال: رأيت رجليك في الكفن منتصبة وأرجل الموتى منبسطة ولا يجوز انتصابها، فعلمت أنك حي، وخمنت أنك أسكت وجربت عليك، فصحت تجربتي.

[٤٩٤] ـ قال أبو أحمد الحارثي: كان طبيب نصراني يقال له موسى بن سنان قد أتي برجل منتفخ الذكر لا يقدر أن يبول، وهو يستغيث ويصيح، فسأله عن علته، فذكر أنه لم يبل منذ أيام، ورأى ذكره منتفخاً، فنظر في حاله، فلم يجد شيئاً يوجب عسر البول ولا حصاة، فتركه عنده يوماً يسأله، فقال له: حدّثني أدخلت ذكرك في شيء لم تجر عادة الناس به، فلحقك هذا، فسكت الرجل واستحيى، فلم يزل الطبيب يبسطه ويشرط له الكتمان إلى أن قال: نكحت حماراً ذكراً، فقال الطبيب: هاتوا مطرقة وغلماناً، فجاؤوه، فأمسكوا الرجل، وجعل ذكره على سندان حداد وطرقه بالمطرقة مرة واحدة وجيعة، فبرزت شعيرة، وذاك أنه خمن أن شعيرة من جاعرة الحمار قد دخلت في ثقب الذكر، فلما طرقها خرجت.

[٤٩٥] ـ حدّثنا أبو القاسم الجهني: أن حظية لبعض الخلفاء أظنه الرشيد قامت لتتمطى، فلما تمطت جاءت لترد يدها فلم تقدر وبقيتا حافتين، فصاحت وآلمها ذلك، وبلغ الخليفة فدخل وشاهد من أمرها ما أقلقه وشاور الأطباء، فكل قال شيئاً استعمله فلم ينجع، وبقيت الجارية على تلك الصورة أياماً والخليفة قلق بها، فجاءه أحد الأطباء، فقال: يا أمير المؤمنين، لا دواء لها إلا أن يدخل إليها رجل غريب، فيخلو بها ويمرخها مروخاً يعرفه، فأجابه الخليفة إلى ذلك طلباً لعافيتها، فأحضر الطبيب رجلاً وأخرج من كمه دهناً وقال: أريد أن تأمر يا أمير المؤمنين بتعريتها حتى أمرخ جميع أعضائها بهذا الدهن، فشق ذلك عليه، ثم أمر أن يفعل ذلك ووضع في نفسه قتل الرجل، وقال للخادم: خذه فأدخله عليها بعد أن تعريها، فعريت الجارية وأقيمت، فلما دخل الرجل وقرب منها سعى إليها، وأومأ إلى فرجها ليمسه، فغطت الجارية فرجها بيدها ولشدة ما داخلها من الحياء والجزع حمي بدنها بانتشار الحرارة الغريزية، فعاونتها على ما أرادت من تغطية

فرجها واستعمال بدنها في ذلك، فلما غطت فرجها قال لها الرجل: قد برأت، فلا تحركي يديك، فأخذه الخادم وجاء به إلى الرشيد، وأخبره الخبر، فقال له الرشيد: كيف تعمل بمن شاهد فرج حرمتنا، فجذب الطبيب بيده لحية الرجل، فإذا هي ملصقة، فانقلعت، فإذا الشخص جارية، وقال: يا أمير المؤمنين، ما كنت لأبدي حرمتك للرجال، ولكن خشيت أني أكشف لك الخبر، فيتصل بالجارية، فتبطل الحيلة لأني أردت أن أدخل إلى قلبها فزعاً شديداً يحمي طبعها، ويقودها إلى الحمل على يديها وتحريكها وإعانة الحرارة الغريزية على ذلك، فلم يقع لي غير هذا؟ فأخبرتك به، فأجزل الخليفة جائزته وأصرفه. قال أبو القاسم: ولهذا استعملت الأطباء في علاج اللقوة الضعيفة الصفعة الشديدة على غفلة من ضد الجانب الملقو ليدخل قلب المصفوع ما يحميه، فيحول وجهه ضرورة بالطبع إلى حيث صفع، فترجع لقوته.

[٤٩٦] ـ روى الصلت بن محمد الجحدري قال: حدّثنا بشر بن الفضل قال: خرجنا حجاجاً، فمررنا بمياه من مياه العرب، فوصف لنا فيه ثلاثة أخوات بالجمال وقيل لنا: إنهن يتطببن ويعالجن، فأحببنا أن نراهنَّ، فعمدنا إلى صاحب لنا، فحككنا ساقه بعود حتى أدميناه، ثم رفعناه على أيدينا وقلنا: هذا سليم فهل من راق، فخرجت أصغرهن، فإذا جارية كالشمس الطالعة، فجاءت حتى وقفت عليه، فقالت: ليس بسليم. قلنا: وكيف؟ قالت: لأنه خدشه عود بالت عليه حية ذكر، والدليل أنه إذا طلعت عليه الشمس مات، فلما طلعت الشمس مات. فعجبنا من ذلك.

[٤٩٧] ـ شكا رجل إلى طبيب وجع بطنه فقال: ما الذي أكلت؟ قال: أكلت رغيفاً محترقاً، فدعا الطبيب ليكحله، فقال الرجل: إنما أشتكي وجع بطني لا عيني قال: قد عرفت، ولكن أكحلك لتبصر المحترق، فلا تأكله.

* * *

فـي ذكـر
طرف من فِطَن المتطفّلين

[٤٩٨] ـ قال الأصمعي: الطفيلي؛ الداخل على القوم من غير أن يدعى مأخوذ من الطَّفَل، وهو إقبال الليل على النهار بظلمته وأرادوا أن أمره يظلم على القوم، فلا يدرون من دعاه، ولا كيف دخل عليهم. قال: وقولهم طفيلي منسوب إلى طفيل رجل بالكوفة من بني غطفان، وكان يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها، وكان يقال له طفيل الأعراس والعرائس؛ فيه نظر، لأن العرب تسمي الطفيلي الوارش والرائش، والذي يدخل على القوم في شرابهم ولم يدع إليه الواغل.

[٤٩٩] ـ قال أبو عبيدة: كان رجل من بني هلال يقال له طفيل بن زلال إذا سمع بقوم عندهم دعوة أتاهم فأكل طعامهم، فسُمِّي كل من فعل ذلك به.

[٥٠٠] ـ روى ابن مسعود قال: كان فينا رجل يقال له أبو شعيب، وكان له غلام لحّام، فقال لغلامه: اجعل لي طعاماً لعلي أدعو النبي ﷺ، فدعا النبي ﷺ خامس خمسة، فتبعه رجل، فقال النبي ﷺ للرجل: «**إنك دعوتني خامس خمسة، وإن هذا اتبعنا، فإن أذنت وإلا رجع**»، قال: بل ائذن له[1].

[٥٠١] ـ حدّثنا أحمد بن الحسن المقرئ قال: مر بنان بعرس فأراد الدخول، فلم يقدر فذهب إلى بقال فوضع خاتمه عنده على عشرة أقداح عسلاً، وجاء إلى باب العرس، فقال: يا بواب، افتح لي، فقال له البواب: من أنت؟ قال: أراك ليس تعرفني أنا الذي بعثوني أشتري لهم الأقداح، ففتح له الباب، فدخل فأكل وشرب مع القوم، فلما فرغ أخذ الأقداح، فقال: يا بواب افتح لي، يريدون ناصحية حتى أرد هذه، فخرج فردها على البقال وأخذ خاتمه.

[٥٠٢] ـ قال وجاء بنان إلى وليمة، فأغلق الباب دونه، فاكترى سلماً ووضعه على حائط للرجل، فأشرف على عيال الرجل وبناته، فقال له الرجل: يا هذا ما تخاف الله رأيت أهلي وبناتي؟ فقال: يا شيخ، لقد علمت ما لنا في بناتك

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٣٤) وهو من حديث أبي مسعود الأنصاري، وليس من حديث ابن مسعود، والله أعلم. وانظر «فتح الباري» (٩/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣).

من حق، وإنك لتعلم ما نريد، فضحك الرجل وقال له: انزل فكل.

[٥٠٣] ـ قال محمد بن علي الجلاب: جاء طفيلي إلى عرس، فمنع من الدخول، وكان يعلم أن أخاً للعروس غائب، فذهب فأخذ ورقة كاغد، فطواها وختمها وليس في بطنها شيء، وجعل في ظاهرها: من الأخ إلى العروس، وجاء فقال: معي كتاب من أخي العروس، فأذن له، فدخل فدفع إليهم الكتاب، فقالوا: ما رأينا مثل هذا العنوان ليس عليه اسم أحد فقال: وأعجب من هذا أنه ليس في بطن الكتاب ولا حرف واحد لأنه كان مستعجلاً، فضحكوا منه وعرفوا أنه احتال لدخوله، فقبلوه.

[٥٠٤] ـ قال منصور بن علي الجهضمي: كان لي جار طفيلي، وكان من أحسن الناس منظراً وأعذبهم منطقاً وأطيبهم رائحة وأجملهم ملبوساً، وكان من شأنه أني إذا دعيت إلى دعوة تبعني، فيكرمه الناس من أجلي، ويظنون أنه صاحب لي، فاتفق يوماً أن جعفر بن القاسم الهاشمي أمير البصرة أراد أن يختن بعض أولاده، فقلت في نفسي: كأني برسوله وقد جاء، وكأني بهذا الرجل قد تبعني، واللَّه لئن تبعني لأفضحنه، فأنا على ذلك إذ جاء الرسول يدعوني، فما زدت على أن لبست ثيابي وخرجت، فإذا أنا بالطفيلي واقف على باب داره قد سبقني بالتأهب، فتقدمت وتبعني، فلما دخلنا دار الأمير جلسنا ساعة، ودعي بالطعام، وحضرت الموائد، وكان كل جماعة على مائدة والطفيلي معي، فلما مد يده ليتناول الطعام قلت: حدّثنا درست بن زياد، عن أبان بن طارق، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من دخل دار قوم بغير إذنهم فأكل طعامهم دخل سارقاً وخرج مغيراً**»(١). فلما سمع ذلك قال: أثبت لك عثراً واللَّه من هذا الكلام فإنه ما من أحد من الجماعة إلا وهو يظن أنك تعرض به دون صاحبه أولا تستحي أن تحدث بهذا الكلام على مائدة سيد من أطعم الطعام، وتبخل بطعام غيرك على من سواك، ثم لا تستحي أن تحدث عن درست بن زياد وهو ضعيف، وعن أبان بن طارق وهو متروك الحديث يحكم برفعه إلى النبي ﷺ والمسلمون على خلافه، لأن حكم السارق القطع وحكم المغير أن يعزر على ما يراه الإمام وأين أنت عن حديث؛ حدّثنا أبو عاصم النبيل، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر قال:

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٤١) وقال: «أبان بن طارق؛ مجهول». والحديث قال عنه الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (ص٨٦): «سنده ضعيف»، وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٧٩٨) وفي «إرواء الغليل» (رقم: ١٩٥٤).

قال رسول اللَّه ﷺ: «**طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية**»(١) وهو إسناد صحيح. قال منصور بن علي: فأفحمني، فلم يحضرني له جواب، فلما خرجنا من الموضع للانصراف فارقني من جانب الطريق إلى الجانب الآخر بعد أن كان يمشي ورائي وسمعته يقول:

وَمَنْ ظَنَّ مِمَّن يُلاقي الحُروبَ ... بأن لا يُصابَ فَقَدْ ظَنّ عَجْزا

[٥٠٥] ـ عن عبيد اللَّه بن محمد بن عمران المرزباني قال: كان طفيلي العرائس الذي ينسب إليه الطفيليون يوصي ابنه عبد الحميد بن طفيل في علته التي مات فيها، فيقول له: إذا دخلت عرساً فلا تلتفت تلفّت المريب، وتخير المجالس، فإن كان العرس كثير الزحام فأمُرْ وانْهَ، ولا تنظر في عيون أهل المرأة، ولا في عيون أهل الرجل ليظن هؤلاء أنك من هؤلاء، فإن كان البواب غليظاً وقاحاً فابدأ به ومُرْه وانْهَهُ من غير أن تعنف به، وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال. ثم أنشد وقال:

لا تَجْزَعَنَّ مِنَ الغَريـ ... ـب وَلَا مِنَ الرّجلِ البَعيدِ

وادْخُلْ كأنك طابخٌ ... بيديك مَغْرفة الحديدِ

متدلياً فوق الطّعام ... تَدَلِّيَ البَازِ الصَّيُودِ

لتلفّ ما فوقَ الموائدِ ... كلّها لفَّ الفُهودِ

واطرح حياءَك إنما ... وجْهُ الطفيلي مِنْ حديدِ

لا تلتفِتْ نحو البُقُولِ ... ولا إلى غرفِ الثّريدِ

حتّى إذا جاء الطّعام ... ضربت فيهِ كالشّديدِ

وعليك بالفالوذجات ... فإنها عينُ القَصيدِ

هذا إذا حرّرتهم ... ودعوتهم هَلْ مِنْ مزيدِ

والعُرْسُ لا يَخْلُو من الْـ ... ـلَّوْزِينَجِ الرّطبِ الفَنِيدِ

فإذا أتيتَ به مَحَوْت ... محاسِنَ الجَامِ الجَدِيدِ

قال: ثم أغمي عليه عند ذكر اللوزينج ساعة، فلما أفاق رفع رأسه فقال:

وتنقّلَنَّ على الموا ... ئدِ فِعْلَ شَيْطَانٍ مريدِ

وإذا انتقلت عبثت بالـ ... ـكَعْك المجفَّف والقَديدِ

---

(١) متفق عليه.

يا ربّ أنت رزقتني هذا على رَغْمِ الحَسُودِ
واعلم بأنك إن قبلْتَ نَعِمْتَ يا عبْد الحميدِ

[٥٠٦] ـ قال علي بن المحسن بن علي القاضي، عن أبيه قال: صحب طفيلي رجلاً في سفر، فقال له الرجل: امض فاشتر لنا لحماً. قال: لا واللّه ما أقدر، فمضى هو واشترى ثم قال له: قم فاطبخ. قال: لا أحسن، فطبخ الرجل، ثم قال له: قم فاثرد. قال: أنا واللّه كسلان، فثرد الرجل، ثم قال له: قم واغرف. قال: أخشى أن ينقلب على ثيابي، فغرف الرجل، ثم قال له: الآن فكُلْ قال الطفيلي: قد واللّه استحييت من كثرة خلافي لك، وتقدم فأكل.

[٥٠٧] ـ قال الجاحظ: قلت لأبي سعد الطفيلي: كم أربعة في أربعة؟ قال: رغيفين وقطعة لحم.

[٥٠٨] ـ وقال المبرد: قيل لطفيلي: كم اثنين في اثنين؟ فقال: أربعة أرغفة. وقال مرة أخرى: انتظرته مقدار ما يأكل الإنسان رغيفاً.

[٥٠٩] ـ وقال أبو هفان: قيل لطفيلي: كم أربعة في أربعة؟ قال: ستة عشر رغيفاً.

[٥١٠] ـ قال: وتطفل رجل مرة على رجل، فقال له صاحب المنزل: من أنت؟ قال: أنا الذي لم أحوجك إلى رسول.

[٥١١] ـ اجتمع جماعة على عصيدة، فأخذ بعضهم لقمة وألقاها في السمن، وقال: ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾ [الشعراء: ٩٤] وجر السمن إليه وقال الآخر: ﴿ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴾ [الملك: ٧]. وجر السمن إليه وقال الآخر: ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ [الحج: ٤٥]. وجر السمن إليه. فقال الآخر: ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ [الكهف: ٧١]. وجر السمن إليه، فقال الآخر: ﴿ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾ [السجدة: ٢٧]. وجر السمن إليه. فقال الآخر: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ [الرحمن: ٥٠]. وجر السمن إليه. فقال الآخر: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٦]. وجر السمن إليه. فقال الآخر: ﴿ فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر: ١٢]. وجر السمن إليه. فقال الآخر: ﴿ فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾. [فاطر: ٩] وجر السمن إليه فقال آخر: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى ﴾ [هود: ٤٤]. وخلط السمن بما بقي من العصيدة فأخذه كله.

[٥١٢] ـ جاء طفيلي إلى بيت رجل مع جماعة فقال له الرجل: من أنت؟ فقال: إذا كنت لا تدعونا ونحن لا نأتي صار في هذا نوع جفاء.

[٥١٣] ـ عرّس طفيلي، فأتاه طفيليان في أول الناس، فأدخلهما وجاء إلى غرفة له يرتقي إليها بسلم، فوضع السلم وقال: اصعدا لتبعدا من الأذى، وأخصكما بفائق الطعام، فصعدا، فلما حصّلا في الغرفة نحّى السلم ووضع المائدة، وأطعم أصدقاءه وجيرانه، وهما مطلعان عليه، فلما فرغ القوم وضع السلم، وقال: انزلا فدفع في أقفائهما، وقال: انصرفا راشدين لا أصفر اللّه ممشاكما قد قضيتما حق أخيكما.

[٥١٤] ـ دخل طفيلي على قوم، فبينما هو يأكل سمع صوت السدنة فأمسك يده عن الطعام، فقيل له: لم لا تأكل؟ قال: حتى تسكن هذه الأراجيف التي أسمعها.

[٥١٥] ـ وقيل لطفيلي مرة: ما بالك أصفر اللون؟ فقال: من الفترة التي بين العصارتين أخاف أن يكون الطعام قد فني.

[٥١٦] ـ وقال طفيلي: إياك والكلام على الطعام إلّا أن تقول نعم، فإنها مضغة.

[٥١٧] ـ أوصى طفيلي غلامه، فقال: إذا ضاق بك الموضع، فقل للذي إلى جانبك لعلي ضيقت عليك، فإنه سيوسع لك المكان كموضع رجل آخر.

[٥١٨] ـ وقال بنان: حفظت القرآن كله ثم أنسيته إلا حرفين ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢].

[٥١٩] ـ وقال بنان: التمكن على المائدة خير لك من زيادة أربعة ألوان.

[٥٢٠] ـ وعطش رجل إلى جنب بنان في دعوة، فقال بنان: ارفع نفسك إلى فوق وتنفس ثلاثاً، فإنه ينزل ما أكلته من الطعام.

* * *

في ذكر
طرف من فطن المتلصصين

[٥٢١] ـ أخبرنا محمد بن ناصر، أخبرنا عبد اللَّه الحميدي، أخبرنا أبو غالب محمد بن أحمد بن سهل بن بشران، أخبرنا أبو الحسين بن دينار، أنبأنا أبو طالب عبيد اللَّه بن أحمد الأنباري، حدّثنا يموت بن المزرع، عن المبرد قال: حدّثني أحمد بن المعدل البصري قال: كنت جالساً عند عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون، فجاءه بعض جلسائه، فقال: أعجوبة. قال: ما هي؟ قال: خرجت إلى حائطي بالغابة، فلما أن أصحرت وبعدت عن البيوت بيوت المدينة تعرض لي رجل، فقال: اخلع ثيابك. فقلت: وما يدعوني إلى خلع ثيابي؟ قال: أنا أولى بها منك. قلت: ومن أين؟ قال: لأني أخوك وأنا عريان وأنت مكسوّ. قلت: فالمواساة؟ قال: كلا قد لبستها برهة، وأنا أريد أن ألبسها كما لبستها. قلت: فتعريني وتبدي عورتي. قال: لا بأس بذلك قد روينا عن مالك أنه قال لا بأس للرجل أن يغتسل عرياناً. قلت: فيلقاني الناس فيرون عورتي؟ قال: لو كان الناس يرونك في هذه الطريق ما عرضت لك فيها، فقلت: أراك ظريفاً، فدعني حتى أمضي إلى حائطي وأنزع هذه الثياب، فأوجه بها إليك. قال: كلا أردت أن توجه إليّ أربعة من عبيدك، فيحملوني إلى السلطان، فيحبسني، ويمزق جلدي، ويطرح في رجليَّ القيد، قلت: كلا. أحلف لك أيماناً أني أوفي لك بما وعدتك ولا أسوؤك. قال: كلا إنا روينا عن مالك أنه قال: لا تلتزم الأيمان التي يحلف بها اللصوص. قلت: فأحلف أني لا أحتال في أيماني هذه. قال: هذه يمين مركبة على اللصوص. قلت: فدع المناظرة بيننا، فواللَّه لأوجهن إليك هذه الثياب طيبة بها نفسي، فأطرق، ثم رفع رأسه وقال: تدري فيم فكرت؟ قلت لا، قال: تصفحت أمر اللصوص من عهد رسول اللَّه ﷺ إلى وقتنا هذا، فلم أجد لصاً أخذ نسيئةً، وأكره أن أبتدع في الإسلام بدعة يكون علي وزرها ووزر من عمل بها بعدي إلى يوم القيامة، اخلع ثيابك. قال: فخلعتها ودفعتها إليه، فأخذها وانصرف.

[٥٢٢] ـ أنبأنا محمد بن أبي طاهر قال: أنبأنا علي بن الحسن التنوخي، عن أبيه أن أبا القاسم عبيد اللَّه بن محمد الخفاف حدّثه أنه شاهد لصاً قد أُخذ،

نساء أمير المؤمنين قد نفضن العطر عن غدائرهن وبعنه في أعطية أوليائه، وأما ما أشرت على أمير المؤمنين من قطع لذاته وبلوغ أوطاره من نسائه، فإن يكن إنما ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فغير مجيبك إلى ذلك، وإن كُنّ ينفرجن عن مثل ما انفرجت به أمك البظراء عنك من ضعف الغريزية وقبح المنظر في الخَلق والخُلق، يا لكع، فما أحقه أن يقتدي بقولك. قاتل اللّه الذي يقول:

أَسَدٌ عليَّ وفي الحُرُوبِ نَعَامة ... فَتْخَاءُ تَنْفر مِنْ صَفيرِ الصَّافِر

هلَّا برزت إلى الغَزالةِ في الوغى ... أو كان قلبك في جَنَاحَيْ طائِرِ

ثم أمرت جارية لها، فأخرجته، فلما دخل على الوليد قال: ما كنت فيه يا أبا محمد؟، فقال: واللّه يا أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحبّ إلي من ظهرها. قال: إنها بنت عبد العزيز.

[٥٨٧] ـ قال ابن السِّكِّيت: عزم محمد بن عبد اللّه بن طاهر على الحج، فخرجت إليه جارية شاعرة، فبكت لما رأت آلة السفر، فقال محمد بن عبد اللّه:

دَمْعَةٌ كاللّؤلؤ الرّطْـ ... ـبِ عَلَى الخَدِّ الأسيلِ

هَطَلَتْ في ساعةِ البَيْـ ... ـنِ من الطَّرْفِ الكَحِيلِ

ثم قال: أجيزي فقالت:

حين هَمَّ القَمَرُ البا ... هِرُ عنّا بالأفُولِ

إنّما يُفْتَضَحُ العشّاقُ في وقْتِ الرَّحِيْلِ

[٥٨٨] ـ قال أيوب الوزان: قال المفضل: دخلت على الرشيد، وبين يديه طبق ورد، وعنده جارية مليحة شاعرة أديبة قد أهديت إليه، فقال: يا مفضل، قل في هذا الورد شيئاً تشبهها به، فأنشأ يقول:

كأنّهُ خدُّ مرموقٍ يُقَبِّلُهُ ... فَم الحَبيب وقَدْ أَبْدى به خَجَلا

فقالت الجارية:

كأنّه لونُ خدّي حينَ يَدْفعُني ... كفّ الرّشيد لأمرٍ يُوجِبُ الغُسْلَا

فقال: يا مفضل، قم فاخرج، فإن هذه الماجنة قد هيجتنا، فقمت وأرخيت الستور.

[٥٨٩] ـ قال الأصمعي: لما قدم الرشيد البصرة يريد الخروج إلى مكة، فخرجت معه، فلما صرنا بضرية إذا أنا على شفير الوادي بصبية قدامها قصعة لها، وإذا هي تقول:

طَحَنَتْنَا طَوَاحِنُ الأعوامِ ... وَرَمَتْنَا نوائبُ الأيامِ

وأُشهد عليه أنه كان يفتش الأقفال في الدور اللطاف التي لجيراننا، فإذا دخل حفر في الدار حفرة لطيفة، كأنها بئر النرد، وطرح فيها جوزات، كأن إنساناً يلاعبه، وأخرج منديلاً فيه نحو مائتي جوزة، فتركه إلى جانبها، ثم حار، فكور كل ما في الدار مما يطيق حمله، فإن لم يفطن به أحد خرج من الدار، وحمل ذلك كله، وإن جاء صاحب الدار ترك عليه قماشه، وطلب المفالتة والخروج، وإن كان صاحب الدار جلداً فواثبه ومانعه وهم بأخذه وصاح: اللصوص واجتمع الجيران أقبل عليه وقال: ما أبردك أنا أقامرك بالجوز منك شهوراً قد أفقرتني، وأخذت مني كل ما أملكه وأهلكتني لأَفضحنّك بين جيرانك، لما قامرتك الآن تصيح؟!، فما يشك أحد في قوله، وأنت تدعي عليّ باللصوصية بلعب بارد بيني وبينك دار القمار التي تعارفنا فيها قد صنعت هذا حتى أخرج وأدع عليك قماشك، وكلما قال الرجل: هذا لص. قال الجيران: إنما يريد أن لا يفضح نفسه بالقمار، فقد ادعى عليه اللصوصية ولا يشكون في أنه صادق، وأن صاحب الدار مقامر، فيلعنونه ويحولون بينه وبين اللص حتى ينصرف ويأخذ الجوز ويفتح الباب وينصرف، ويفتضح الرجل بين جيرانه.

[٥٢٣] ـ أنبأنا محمد، قال: أنبأنا علي بن المحسن، قال: حدّثني محمد بن عمر المتكلم ويلقب جنيداً قال: حدّثني رجل من الدقاقين قال: أورد علي رجل غريب سفتجة بأجل، فكان يتردد عليّ إلى أن حلت السفتجة، ثم قال لي: أدعها عندك آخذها متفرقة، فكان يجيء كل يوم، فيأخذ بقدر نفقته إلى أن نفدت، فصارت بيننا معرفة، وألف الجلوس عندي، وكان يراني أُخرج من صندوق لي، فأُعطيه منه فقال لي يوماً: إن قفل الرجل صاحبه في سفره وأمينه في حضره وخليفته على حفظ ماله، والذي ينفي الظنة عن أهله وعياله، وإن لم يكن وثيقاً تطرقت الحيل إليه وأرى قفلك هذا وثيقاً، فقل لي: ممن ابتعته لأبتاع مثله لنفسي، فقلت: من فلان الأقفالي. قال: فما شعرت يوماً وقد جئت إلى دكاني، فطلبت صندوقي لأخرج منه شيئاً من الدراهم، فحمل إليَّ ففتحته، وإذا ليس فيه شيء من الدراهم، وقلت لغلامي، وكان غير متهم عندي: هل انكسر من الدّكّان شيء؟ قال: لا. قلت: ففتش هل ترى في الدكان ثقباً؟ ففتش، فقال: لا، فقلت: فمن السقف حيلة؟ قال: لا. قلت: فاعلم أن دراهمي قد ذهبت، فقلق الغلام فسكّته وأقمت من نومي لا أدري أي شيء أعمل، وتأخر الرجل عني، فاتهمته وتذكرت مسألته لي عن القفل، فقلت للغلام: أخبرني كيف تفتح دكاني وتقفله. قال: أحمل الدراب من المسجد دفعتين ثلاثة، فأقفلها ثم هكذا أفتحها. قلت: فعلى من تخلي الدكان إذا حملت الدراب؟ قال: خالياً. قلت: من ههنا دهيت، فذهبت إلى

الصانع الذي ابتعت منه القفل، فقلت له: جاءك إنسان منذ أيام اشترى منك مثل هذا القفل؟ قال: نعم ورجل من صفته كيت وكيت، فأعطاني صفة صاحبي، فعلمت أنه احتال على الغلام وقت المساء لما انصرفت أنا وبقي الغلام يحمل الدراب، فدخل هو إلى الدكان فاختبأ فيه ومعه مفتاح القفل الذي اشتراه يقع على قفلي، وإنه أخذ الدراهم وجلس طول الليل خلف الدراب، فلما جاء الغلام ففتح داربين وحملها ليرفعها خرج، وإنه ما فعل ذلك إلا وقد خرج من بغداد، قال: فخرجت ومعي قفلي ومفتاحه، فقلت: أبتدئ بطلب الرجل بواسط، فلما صعدت من السميرية طلبت خاناً أنزله، فصعدت، فإذا بقفل مثل قفلي سواء على بيت، فقلت لقيم الخان: هذا البيت من ينزله؟ قال: رجل قدم من البصرة أمس. قلت: ما صفته فوصف صفة صاحبي، فلم أشك أنه هو وأن الدراهم في بيته، فاكتريت بيتاً إلى جانبه ورصدت حتى انصرف قيم الخان، ففتحت القفل، ودخلت، فوجدت كيسي بعينه، فأخذته وخرجت، وأقفلت الباب ونزلت في الوقت، وانحدرت إلى البصرة، وما أقمت بواسط إلا ساعتين من النهار، ورجعت إلى منزلي بمالي بعينه.

[٥٢٤] ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي قال: أخبرنا علي بن الحسن، عن أبيه قال: حدّثني عبد اللّه بن محمد الصروي، حدّثني ابن الدنانير النمار، حدّثني غلام لي قال: كنت ناقداً بالأبلة لرجل تاجر، فاقتضيت له من البصرة نحو خمسمائة دينار وورقاً ولففتهما في فوطة، وأمسيت عن المسير إلى الأبلة، فما زلت أطلب ملاحاً، فلا أجد أن رأيت ملاحاً مجتازاً في خيطية خفيفة فارغة، فسألته أن يحملني، فخفف عليّ الأجرة وقال: أنا أرجع إلى منزلي بالأبلة، فانزل فنزلت، وجعلت الفوطة بين يدي وسرنا، فإذا رجل ضرير على الشط يقرأ أحسن قراءة تكون، فلما رآه الملاح كبر فصاح هو بالملاح: احملني، فقد جنني الليل، وأخاف على نفسي، فشتمه الملاح، فقلت له: احمله فدخل إلى الشط فحمله، فرجع إلى قراءته، فخلب عقلي بطيبها، فلما قربنا من الأبلة قطع القراءة، وقام ليخرج في بعض المشارع بالأبلة، فلم أر الفوطة، فاضطربت وصحت واستغاث الملاح، وقال: الساعة تنقلب الخيطية، وخاطبني خطاب من لا يعلم حالي، فقلت: يا هذا، كانت بين يدي فوطة فيها خمسمائة دينار، فلما سمع الملاح ذلك لطم وبكى وتعرى من ثيابه وقال: لم أدخل الشط ولا لي موضع أخبأ فيه شيئاً فتتهمني بسرقة ولي أطفال وأنا ضعيف، فاللّه اللّه في أمري، وفعل الضرير مثل ذلك وفتشت السُّمَيْرِيَّة فلم أجد فيها شيئاً، فرحمتهما وقلت: هذه محنة لا أدري كيف التخلص منها، وخرجنا، فعملت على الهرب وأخذ كل واحد منا طريقاً، وبت في بيت ولم

أمض إلى صاحبي، فلما أصبحت عملت على الرجوع إلى البصرة لأستخفي بها أياماً، ثم أخرج إلى بلد شاسع، فانحدرت وخرجت في مشرعة بالبصرة، وأنا أمشي وأتعثر وأبكي قلقاً على فراق أهلي وولدي، وذهاب معيشتي وجاهي، فاعترضني رجل، فقال: ما لك؟ فأخبرته. فقال: أنا أرد عليك مالك. فقلت: يا هذا أنا في شغل عن نظرك بي. قال: ما أقول إلَّا حقاً امض إلى السجن ببني نمير، واشتر معك خبزاً كثيراً وشواء جيداً وحلواً، وسل السجان أن يوصلك إلى رجل محبوس هناك يقال له: أبو بكر النقاش قل له: أنا زائره، فإنك لا تمنع، فإن منعت فهب للسجان شيئاً يسيراً يدخلك إليه، فإذا رأيته فسلِّم عليه ولا تخاطبه حتى تجعل بين يديه ما معك، فإذا أكل وغسل يديه، فإنه يسألك عن حاجتك، فأخبره خبركَ، فإنه سيدلك على من أخذ مالك ويرتجعه لك، ففعلت ذلك ووصلت إلى الرجل، فإذا شيخ مكبل بالحديد، فسلمت وطرحت ما معي بين يديه، فدعا رفقاء له، فأكلوا فلما غسل يديه قال: ما أنت وما حاجتك؟ فشرحت له قصتي، فقال: امض الساعة إلى بني هلال، فادخل الدرب الفلاني حتى تنتهي إلى آخره، فإنك تشاهد باباً شعثاً، فافتحه وادخله بلا استئذان، فتجد دهليزاً طويلاً يؤدي إلى بابين، فادخل الأيمن منهما فسيدخلك إلى دار فيها بيت فيه أوتاد وبواري، وعلى كل وتد إزار ومئزر، فانزع ثيابك وألقها على الوتد واتزر بالمئزر واتشح بالإزار واجلس، فسيجيء قوم يفعلون كما فعلت، ثم يؤتون بطعام فكل معهم، وتعمد موافقتهم في سائر أفعالهم، فإذا أتي بالنبيذ فاشرب، وخذ قدحاً كبيراً واملأه وقم قائماً وقل: هذا ساري لخالي أبي بكر النقاش، فسيفرحون ويقولون: أهو خالك؟ فقل: نعم، فسيقومون ويشربون لي، فإذا جلسوا فقل لهم: خالي يقرأ علكيم السلام ويقول: يا فتيان بحياتي ردوا على ابن أختي المئزر الذي أخذتموه بالأمس في السفينة بنهر الأبلة، فإنهم يردونه عليك، فخرجت من عنده ففعلت ما أمر، فردت الفوطة بعينها وما حل شدها، فلما حصلت لي قلت يا فتيان: هذا الذي فعلتموه معي هو قضاء لحق خالي، ولي أنا حاجة تخصني قالوا: مقضية. قلت: عرفوني كيف أخذتم الفوطة، فامتنعوا ساعة، فأقسمت عليهم بحياة أبي بكر النقاش، فقال لي واحد منهم: أتعرفني؟ فتأملته جيداً فإذا هو الضرير الذي كان يقرأ، وإنما كان متعامياً، وأومأ إلى آخر فقال: أتعرف هذا؟ فتأملته فإذا هو الملاح، فقلت: كيف فعلتما؟ فقال الملاح: أنا أدور المشارع في أول أوقات المساء، وقد سبقت بهذا المتعامي، فأجلسته حيث رأيت، فإذا رأيت من معه شيء له قدر ناديته، وأرخصت له الأجرة وحملته، فإذا بلغت إلى القاري وصاح بي شتمته حتى لا يشك الراكب في براءة

الساحة، فإن حمله الراكب فذاك وإلَّا رققته عليه حتى يحمله، فإذا حمله وجلس يقرأ ذهل الرجل كما ذهلت، فإذا بلغنا الموضع الفلاني، فإن فيه رجلاً متوقعاً لنا يسبح حتى يلاصق السفينة، وعلى رأسه قوصرة فلا يفطن الراكب به، فيسلب هذا المتعامي الشيء بخفية، فيليه إلى الرجل الذي عليه القوصرة، فيأخذه ويسبح إلى الشط، وإذا أراد الراكب الصعود وافتقد ما معه عملنا كما رأيت، فلا يتهمنا ونفترق، فإذا كان من غد اجتمعنا واقتسمناه، فلما جئت برسالة أستاذنا خالك سلمنا إليك الفوطة قال: فأخذتها ورجعت.

[٥٢٥] ـ أخبرنا محمد بن ناصر قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار أنبأنا الجوهري، وأخبرنا ابن ناصر، أخبرنا عبد المحسن بن محمد، أخبرنا أبو القاسم التنوخي، أخبرنا ابن حيويه، حدّثنا محمد بن خلف، حدّثني لص تائب قال: دخلت مدينة، فجعلت أطلب شيئاً أسرقه، فوقعت عيني على صيرفي موسر، فما زلت أحتال حتى سرقت كيساً له، وانسللت فما جزت غير بعيد إذا أنا بعجوز معها كلب قد وقعت في صدري تبوسني وتلزمني وتقول: يا بني، فديتك والكلب يبصبص ويلوذ بي، ووقف الناس ينظرون إلينا، وجعلت المرأة تقول: باللّٰه انظروا إلى الكلب قد عرفه، فعجب الناس من ذلك وتشككت أنا في نفسي وقلت: لعلها أرضعتني، وأنا لا أعرفها. وقالت: معي إلى البيت أقم عندي اليوم، فلم تفارقني حتى مضيت معها إلى بيتها، وإذا عندها أحداث يشربون وبين أيديهم من جميع الفواكه والرياحين، فرحبوا بي وقربوني، وأجلسوني معهم، ورأيت لهم بزة حسنة، فوضعت عيني عليها، فجعلت أسقيهم وأرفق بنفسي إلى أن ناموا ونام كل من في الدار، فقمت وكورت ما عندهم وذهبت أخرج، فوثب عليَّ الكلب وثبة الأسد وصاح، وجعل يتراجع ويفج إلى أن انتبه كل نائم، فخجلت واستحييت، فلما كان النهار فعلوا مثل فعلهم أمس وفعلت أيضاً أنا بهم مثل ذلك، وجعلت أوقع الحيلة في أمر الكلب إلى الليل، فما أمكنني فيه حيلة، فلما ناموا رمت الذي رمته، فإذا الكلب عارضني بمثل ما عارضني به، فجعلت أحتال ثلاث ليال، فلما أيست طلبت الخلاص منهم بإذنهم، فقلت: أتأذنون لي فإني على وفز فقالوا: الأمر إلى العجوز فاستأذنتها فقالت: هات الذي أخذته من الصيرفي وامض حيث شئت ولا تقم في هذه المدينة، فإنه لا يتهيأ لأحد فيها معي عمل، فأخذت الكيس وأخرجتني ووجدت مناي أن أسلم من يدها، وكان قصاراي أن أطلب منها نفقة، فدفعت إليَّ وخرجت معي حتى أخرجتني عن المدينة والكلب معها حتى جزت حدود المدينة ووقفت ومضيت والكلب يتبعني حتى بعدت، ثم تراجع ينظر إليَّ ويلتفت وأنا أنظر إليه حتى غاب عني.

[٥٢٦] ـ أنبأنا محمد بن أبي منصور، أنبأنا أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاوي، أنبأنا القاضي أبو العلاء الواسطي، أنبأنا أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي، حدّثنا علي بن محمد القاري، حدّثنا سهل الخلاطي قال: بلغني أن محتالين سرقا حماراً ومضى أحدهما ليبيعه، فلقيه رجل معه طبق فيه سمك، فقال له: تبيع هذا الحمار؟ قال: نعم. قال: أمسك هذا الطبق حتى أركبه، وأنظر إليه، فدفع إليه الطبق فيه السمك، فركبه ورجع ثم ركبه ودخل زقاقاً ففر به. فلم يدر أين ذهب، قال: فرجع المحتال فلقيه رفيقه، فقال: ما فعل الحمار؟ قال: بعناه بما اشتريناه وربحنا هذا الطبق من السمك.

[٥٢٧] ـ وقد روينا أن رجلاً سرق حماراً، فأتى السوق ليبيعه فسرق منه، فعاد إلى منزله، فقالت له امرأته: بكم بعته؟ قال: برأس ماله.

[٥٢٨] ـ أنبأنا محمد بن أبي طاهر، أنبأنا علي بن المحسن، عن أبيه، حدّثني عبد اللّه بن محمد الصروي، ، حدّثنا بعض إخواننا: أنه كان ببغداد رجل يطلب التلصص في حداثته، ثم تاب فصار بزازاً. قال: فانصرف ليلة من دكانه وقد غلقه، فجاء لص محتال متزي بزي صاحب الدكان في كمه شمعة صغيرة ومفاتيح، فصاح بالحارس، فأعطاه الشمعة في الظلمة، وقال: أشعلها وجئني بها، فإن لي الليلة بدكاني شغلاً، فمضى الحارس يشعل الشمعة وركب اللص على الأقفال، ففتحها ودخل الدكان، وجاء الحارس بالشمعة، فأخذها من يده، فجعلها بين يديه، وفتح سفط الحساب، وأخرج ما فيه وجعل ينظر الدفاتر ويرى بيده أنه يحسب والحارس يتردد ويطالعه، ولا يشك في أنه صاحب الدكان إلى أن قارب السحر، فاستدعى اللص الحارس، وكلمه من بعيد، وقال: اطلب لي حمالاً، فجاء بحمال، فحمل عليه أربع رزم مثمنة، وقفل الدكان وانصرف ومعه الحمال وأعطى الحارس درهمين، فلما أصبح الناس جاء صاحب الدكان ليفتح دكانه، فقام إليه الحارس يدعو له ويقول: فعل اللّه بك وصنع كما أعطيتني البارحة الدرهمين، فأنكر الرجل ما سمعه وفتح دكانه، فوجد سيلان الشمعة وحسابه مطروحاً وفقد الأربع رزم، فاستدعى الحارس، وقال له: من كان حمل الرزم معي من دكاني قال: أما استدعيت مني حمالاً فجئتك به؟ قال: بلى، ولكن كنت ناعساً وأريد الحمال، فجئني به، فمضى الحارس فجاء بالحمال وأغلق الرجل الدكان وأخذ الحمال معه ومضى، فقال له: إلى أين حملت الرزم معي البارحة، فإني كنت منتبذاً. قال: إلى المشرعة الفلانية، واستدعيت لك فلاناً الملاح، فركبت معه، فقصد الرجل المشرعة، وسأل عن الملاح، فحضر وركب معه، وقال: أين رقيت

أخي الذي كان معه الأربع الرزم، قال إلى المشرعة الفلانية. قال: اطرحني إليها فطرحه، قال من حملها معه؟ قال: فلان الحمال، فدعا به، فقال له: امش بين يدي فمشى، فأعطاه شيئاً واستدله برفق إلى الموضع الذي حمل إليه الرزم، فجاء به إلى باب غرفة في موضع بعيد من الشط قريب من الصحراء، فوجد الباب مقفلاً، فاستوقف الحمال وفش القفل ودخل، فوجد الرزم بحالها، وإذا في البيت بَرَّكانٌ معلق على حبل، فلف الرزم فيه ودعا بالحمال، فحملها عليه وقصد المشرعة، فحين خرج من الغرفة استقبله اللص، فرآه وما معه، فأبلس فاتبعه إلى الشط، فجاء إلى المشرعة ودعا الملاح ليعبر، فطلب الحمال من يحط عنه، فجاء اللص فحط الكساء كأنه مجتاز متطوع، فأدخل الرزم إلى السفينة مع صاحبها، وجعل البَرَّكان على كتفه وقال له: يا أخي، أستودعك اللّه قد ارتجعت رزمك، فدع كسائي فضحك. وقال: انزل فلا خوف عليك، فنزل معه واستتابه ووهب له شيئاً وصرفه ولم يسئ إليه.

[٥٢٩] ـ أنبأنا محمد بن أبي طاهر، عن أبي القاسم التنوخي، عن أبيه: أن رجلاً من بني عقيل مضى ليسرق دابة. قال: فدخلت الحي، فما زلت أتعرف مكان الدابة فاحتلت حتى دخلت البيت، فجلس الرجل وامرأته يأكلان في الظلمة، فأهويت بيدي إلى القصعة وكنت جائعاً، فأنكر الرجل يدي وقبض عليها، فقبضت على يد المرأة بيدي الأخرى، فقالت المرأة: مالك ويدي؟ فظن أنه قابض على يد امرأته فخلى يدي، فخليت يد المرأة، وأكلنا، ثم أنكرت المرأة يدي فقبضت عليها، فقبضت على يد الرجل، فقال لها: ما لك ويدي، فخلت عن يدي، فخليت عن يده، ثم نام وقمت، فأخذت الفرس.

[٥٣٠] ـ وقد رويت هذه الحكاية على صفة أخرى: فأنبأنا محمد بن أبي طاهر، أنبأنا التنوخي، عن أبيه، حدّثنا أبو الحسن محمد بن أحمد الكاتب، حدّثني محمد بن يزمع العقيلي أحد قوادهم ووجوههم في الحي، وكان ورد إلى معز الدولة، فأكرمه وأحسن إليه. قال: رأيت رجلاً من بني عقيل وظهره كله مشرطات الحجام، إلا أنها أكبر، فسألته عن ذلك، فقال إني كنت هويت ابنة عم لي، فخطبتها، فقالوا: لا نزوجك إلا أن تجعل في الصداق «الشبكة» فرس سابقة كانت لبعض بني أبي بكر، فتزوجتها على ذلك وخرجت في أن احتال أن أسل الفرس من صاحبه لأتمكن من الدخول بابنة عمي، فأتيت الحي الذي فيه الفرس وما زلت أداخلهم، فمرة أجيء إلى الخباء الذي فيه الرجل كأني سائل إلى أن عرفت بيت الفرس من الخباء الذي فيه الرجل واختبأتُ حتى دخلت من خلفه،

وحصلت خلف النضد تحت عِهْنٍ كانوا نقشوه ليغزل، فلما جاء الليل وافى صاحب البيت، وقد زاولت له المرأة عشاء وجلسا يأكلان، وقد استحكمت الظلمة ولا مصباح لهم، وكنت جائعاً فأخرجت يدي وأهويت إلى القصعة، فأكلت معهما وأحس الرجل بيدي فأنكرها، فقبض عليها فقبضت على يد المرأة، فقالت له المرأة: ما لك ويدي؟ فظن أنه قابض على يد امرأته فخلى يدي فخليت يد المرأة، وأكلنا ثم أنكرت المرأة يدي فقبضت عليها فقبضت على يد الرجل، فقال لها: ما لك ويدي؟ فخلت عن يدي فخليت عن يده، وانقضى الطعام واستلقى الرجل نائماً، فلما استثقل وأنا مراصدهم والفرس مقيدة في جانب البيت والمفتاح تحت رأس المرأة، فوافى عبد له أسود فنبذ حصاة، فانتبهت المرأة، فقامت إليه وتركت المفتاح مكانه، وخرجت من الخباء إلى ظاهر البيت، فإذا هو قد علاها، فأخذت أنا المفتاح ففتحت القفل، وكان معي لجام شعر، فأجزته الفرس وركبتها، وخرجت عليها من الخباء، فقامت المرأة من تحت العبد، ودخلت الخباء وصاحت وذعر الحي فأحسوا بي وركبوا في طلبي وأنا أكد الفرس وخلفي خلق منهم، فأصبحت وليس ورائي إلا فارس واحد برمح، فلحقني وقد طلعت الشمس، وأخذ يطعنني، فهذه آثار طعناته في جسدي لا فرسه يلحقه بي حتى يتمكن من طعنته إياي ولا فرسي ينجيني إلى حيث لا يمسني الرمح حتى وافينا إلى نهر عظيم، فصحت بالفرس، فوثبه وصاح الفارس بالتي تحته، فقصرت ولم تثب، فلما رأيته عاجزاً عن العبور وقفت لأريح الفرس وأستريح، فصاح بي، فأقبلت عليه بوجهي، فقال: يا هذا أنا صاحب الفرس التي تحتك، وهذه ابنتها وإذ قد ملكتها، فلا تخدعن فيها، فإنها تساوي عشر ديات، وما طلبت عليها شيئاً قط إلا لحقته، ولا طلبني عليها أحدٌ إلَّا فته، وإنما سميت الشبكة لأنها لم ترد شيئاً إلا أدركته، فكانت كالشبكة في صيدها، فقلت له: إذ نصحتني، فواللّه لأنصحنك. كان من صورتي البارحة كيت وكيت، فقصصت عليه قصة امرأته والعبد وحيلتي في الفرس، فأطرق ثم رفع رأسه، فقال: ما لك لا جزاك اللّه من طارق خيراً، طلقت زوجتي وأخذت فرسي وقتلت عبدي.

[٥٣١] ـ أنبأنا محمد بن أبي طاهر، أنبأنا أبو القاسم التنوخي، عن أبيه: أن رجلاً نام في مسجد وتحت رأسه كيس فيه ألف وخمسمائة دينار قال: فما شعرت إلَّا بإنسان قد جذبه من تحت رأسي، فانتبهت فزعاً، فإذا شاب قد أخذ الكيس ومر يعدو، فقمت لأعدو خلفه، فإذا رجلي مشدودة بخيط قنب في وتد مضروب في آخر المسجد.

[٥٣٢] ـ أنبأنا محمد بن أبي طاهر، أنبأنا أبو القاسم التنوخي، عن أبيه قال: حدّثني أبو الحسين عبد اللَّه بن محمد البصري، حدّثني أبي قال: كان بالبصرة رجل من اللصوص يلص بالليل، فاره جداً مقدام، يقال له عباس بن الخياطة قد غلب الأمراء وأشجى أهل البلد، فلم يزالوا يحتالون عليه إلى أن وقع وكبّل بمائة رطل حديد وحبس، فلما كان بعد سنة من حبسه أو أكثر دخل قوم بالأبلة على رجل تاجر كان عنده جوهر بعشرات ألوف الدنانير، وكان مستيقظاً جلداً، فجاء إلى البصرة يتظلم وأعانه خلق من التجار وقال للأمير: أنت دست على جوهري وما خصمي سواك، فورد عليه أمر عظيم وخلا بالبوابين وتوعدهم، فاستنظروه فأنظرهم، وطلبوا واجتهدوا، فما عرفوا فاعل ذلك، فعنفهم الرجل فاستجابوا مدة أخرى، فجاء أحد البوابين إلى الحبس، فتخادم لابن الخياطة ولزمه نحو شهر، وتذلل له في الحبس فقال له: قد وجب حقك عليَّ. فما حاجتك؟ قال: جوهر فلان المأخوذ بالأبلة لا بد أن يكون عندك منه خبر، فإن دماءنا مرتهنة به، وحدثه الحديث، فرفع ذيله، وإذا سفط الجوهر تحته، فسلمه إليه وقال: قد وهبته لك، فاستعظم ذلك وجاء بالسفط إلى الأمير، فسأله عن القصة، فأخبره بها. فقال: عليَّ بعباس. فجاؤوا به، فأمر بالإفراج عنه وإزالة قيوده وإدخاله الحمام وخلع عليه وأجلسه في مجلسه مكرماً واستدعى الطعام، فواكله وبيّته عنده، فلما كان من الغد خلا به، وقال: أنا أعلم أنك لو ضربت مائة ألف سوط ما أقررت كيف كانت صورة أخذ الجوهر، وقد عاملتك بالجميل ليجب حقي عليك من طريق الفتوة، وأريد أن تصدقني حديث هذا الجوهر. قال علي: إنني ومن عاونني عليه آمنون، وإنك لا تطالبنا بالذين أخذوه؟ قال: نعم، فاستحلفه. فقال له: إن جماعة اللصوص جاؤوني الحبس، وذكروا حال هذا الجوهر، وإن دار هذا التاجر لا يجوز أن يتطرق عليها نقب ولا تسليق، وعليها باب حديد، والرجل متيقظ وقد راعوه سنة، فما أمكنهم وسألوني، فساعدتهم، فدفعت إلى السجان مائة دينار وحلفت له بالشطارة والأيمان الغليظة، أنه إن أطلقني عدت إليه من غد، وأنه إن لم يفعل ذلك اغتلته، فقتلته في الحبس، فأطلقني فنزعنا الحديد وتركته وخرجت المغرب، فوصلنا إلى الأبلة العتمة، وخرجنا إلى دار الرجل، فإذا هو في المسجد وبابه مغلق، فقلت لأحدهم تصدق من الباب، فتصدق، فلما جاؤوا ليفتحوا قلت له: اختفِ ففعل ذلك مرات، والجارية تخرج، فإذا لم تر أحداً عادت إلى أن خرجت من الباب، ومشت خطوات تطلب السائل، فتشاغلت بدفع الصدقة إليه، فدخلت أنا إلى الدار، فإذا في الدهليز بيت فيه حمار، فدخلته. ووقفت

تحت الحمار وطرحت الجل عليّ وعليه، وجاء الرجل فغلق الأبواب وفتش ونام على سرير عال والجوهر تحته، فلما انتصف الليل قمت إلى شاة في الدار، فعركت أذنها فصاحت، فقال: ويلك أقول لك افتقديها. قالت: قد فعلت. قال: كذبت، وقام بنفسه ليطرح لها علفاً، فجلست مكانه على السرير، وفتحت الخزانة، وأخذت السفط وعدت إلى موضعي وعاد الرجل، فنام. فاجتهدت أن أجد حيلة أن أنقب إلى دار بعض الجيران، فأخرج فما قدرت، لأن جميع الدار مؤزرة بالساج ورمت صعود السطح، فما قدرت، لأن الممارق مقفلة بثلاثة أقفال، فعملت على ذبح الرجل، ثم استقبحت ذلك، وقلت: هذا بين يدي إن لم أجد حيلة غيره، فلما كان السحر عدت إلى موضعي تحت الحمار وانتبه الرجل يريد الخروج، فقال للجارية: افتحي الأقفال من الباب ودعيه متربساً، ففعلت وقربت من الحمار فرفس، فصاحت فخرجت أنا ففتحت المِتْرَس وخرجت أعدو حتى جئت إلى المشرعة، فنزلت في الخيطية ووقعت الصيحة في دار الرجل، فطالبني أصحابي أن أعطيهم شيئاً منه، فقلت: لا. هذه قصة عظيمة، وأخاف أن يتنبه عليها، ولكن دعوه عندي فإن مضى على الحديث ثلاثة أشهر وأَمِنْتُم، فصيروا إليَّ أعطيكم النصف، وإن ظهر خفت عليكم وعلى نفسي، وجعلته حقناً لدمائكم، فرضوا بذلك، فأرسل اللَّه هذا البواب بليلة يخدمني، فاستحييت منه وخفت أن يقتل هو وأصحابه، وقد كنت وضعت في نفسي الصبر على كل عذاب، فدخلتم عليَّ من طريق أخرى لم أستحسن في الفتوة معها إلَّا الصدق، فقال له الأمير: جزاء هذا الفعل أن أطلقك، ولكن تتوب فتاب، وجعله الأمير من بعض أصحابه وأسنى له الرزق، فاستقامت طريقته.

[٥٣٣] ـ قال أبو الحسين: وحدّثني أبي عن طالوت بن عباد الصيرفي قال: كنت ليلة نائماً بالبصرة في فراشي وأحراسي يحرسوني وأبوابي مقفلة، فإذا أنا بابن الخياطة ينبهني من فراشي، فانتبهت فزعاً. فقلت: من أنت؟ فقال: ابن الخياطة، فتلفت. فقال: لا تجزع قد قمرت الساعة خمسمائة دينار أقرضني إياها لأردها عليك، فأخرجت خمسمائة دينار، فدفعتها إليه، فقال: نم ولا تتبعني لأخرج من حيث جئت، وإلا قتلتك. قال: وأنا واللَّه أسمع صوت حراسي ولا أدري من حيث دخل، ولا من أين خرج، وكتمت الحديث خوفاً منه، وزدت في الحرس ومضت ليال، فإذا أنا به قد أنبهني على تلك الصورة، فقلت: مرحباً ما تريد؟ قال: جئت بتلك الدنانير تأخذها مني، فقلت: أنت في حل منها، فإن أردت شيئاً آخر فخذ، فقال: لا أريد من نصح التجار أشاركهم في أموالهم، ولو كنت أردت

أخذ مالك باللصوصية فعلت، ولكنك رئيس بلدك ولا أريد أذيتك، فإن ذلك يخرج عن الفتوة، ولكن خذها، فإن احتجت إلى شيء بعد هذا أخذت منك، فقلت: إن عودك لا يفزعني، ولكن إذا أردت شيئاً فتعال إليَّ نهاراً أو رسولك، فقال: أفعل، فأخذت الدنانير منه وانصرف، وكان رسوله يجيئني بعلامة بعد ذلك، فيأخذ ما يريده بعد مدة، فما انكسر لي عنده شيء إلى أن قبض عليه.

[٥٣٤] ـ حكى أبو محمد عبد اللّه بن علي بن الخشاب النحوي: أن رجلاً اشترى من مخاطر قطعة صابون ومضى إلى النهر لغسل ثيابه، فلما وصل أخرجها، فإذا هي قطعة آجر، فصعب الأمر عليه، وقال: هذا يبيع الناس آجراً وصابوناً، فمضى إليه ليردها، فلما وصل قال: ويحك أتبيع الناس آجراً وصابوناً قال: كيف أبيع آجراً؟ فأخرجها من كمه، فإذا هي قطعة صابون، فاستحى ورجع إلى النهر، فأخرجها فإذا هي آجر، فعاد إليه ووبخه، وأخرجها فإذا هي قطعة صابون مرة أخرى كذلك حتى ضجر، فقال له المخاطر: لا يضيق صدرك، فإن لنا ولداً قد أخرجناه نعلمه أن يبطّ ويحتال وإنك كلما مضيت فعل هذا، فإذا رآك قد عدت لردها أعادها في كمك وأنت لا تعلم.

[٥٣٥] ـ دخل لص دار قوم، فلم يجد ما يسرق غير دواة مكسورة، فكتب على الحائط: عز عليَّ فقركم وغناي.

[٥٣٦] ـ دخل لص بيت رجل، فأخذ متاعه وخرج، فصاح الرجل: ما أنحس هذه الليلة؟ فقال اللص: على كل أحد.

[٥٣٧] ـ حدّثني بعض الأخوان أن رجلاً جاء إلى بزاز، فاستعرض منه ثياباً بثلاثمائة دينار، ثم وزنها له، فلما تسلمها قال الرجل: لقد غبنتني، فعاد وجمع الدنانير وتركها في خرقة وختمها ورمى بها في كم غلامه، ثم قال: ما أنا إلا متردد أفتأذن لي أن أُري الثياب من اشتريتها له، فإن رضي وإلّا رددتها؟ قال: نعم، فأدخل يده في كم غلامه، فأخرج الخرقة، فرمى بها إلى البزاز، وأخذ الثياب ومضى، ففتح البزاز الخرقة، فإذا بها فلوس، وقد جعل في كم غلامه خرقة مثلها وفيها وزن الثلاثمائة.

[٥٣٨] ـ حدّثني أبو الفتح البصري قال: اجتمع جماعة من اللصوص اجتاز عليهم شيخ صيرفي معه كيسه. فقال أحدهم: ما تقولون فيمن يأخذ كيس هذا؟ قالوا: كيف تفعل؟ قال: انظروا ثم تبعه إلى منزله، فدخل الشيخ، فرمى كيسه على الصفة وقال للجارية: أنا حاقن، فالحقيني بماء في الغرفة، وصعد فدخل اللص

فأخذ الكيس، وجاء إلى أصحابه، فحدّثهم، فقالوا: ما عملت شيئاً. تركته يضرب بجارية ويعذبها وما ذا مليح؟ قال: فكيف تريدون؟ قالوا: تخلص الجارية من الضرب وتأخذ الكيس. قال: نعم، فمضى فطرق الباب، فإذا به يضرب الجارية، فقال: من؟ قال: غلام جارك في الدكان، فخرج، فقال: ماذا تقول؟ فقال: سيدي يسلم عليك ويقول لك قد تغيرت ترمي كيسك في الدكان وتمضي، ولولا أننا رأيناه كان قد أُخذ، وأخرج الكيس، وقال: أليس هذا هو؟ قال: بلى واللّه صدق، ثم أخذه، فقال له: بل أعطنيه وادخل فاكتب في رقعة قد تسلمت الكيس، حتى أتخلص أنا ويرجع إليك مالك، فناوله إياه ودخل ليكتب، فأخذه ومضى.

[٥٣٩] ـ قال أبو جعفر محمد بن الفضل الضميري: كان في بلدنا عجوز صالحة كثيرة الصيام والصلاة، وكان لها ابن صيرفي منهمك على الشرب واللعب، وكان يتشاغل بدكانه أكثر نهاره، ثم يعود إلى منزله، فيخبِّئ كيسه عند والدته، فدخل إلى الدار لص وهو لا يعلم، فاختبأ فيها، وسلم الابن كيسه إلى أمه وخرج وبقيت هي وحدها في الدار، وكان لها في دارها بيت مؤزر بالساج عليه باب من حديد تجعل قماشها فيه والكيس، فخبأت الكيس فيه خلف الباب وجلست فأفطرت بين يديه، فقال اللص: الساعة تقفله وتنام، وأنزل وأقلع الباب وآخذ الكيس، فلما أفطرت قامت تصلي ومدت الصلاة ومضى نصف الليل وتحير اللص، وخاف أن يدركه الصبح، فطاف في الدار فوجد إزاراً جديداً وبخوراً فاتزر بالإزار، وأوقد البخور وأقبل ينزل على الدرجة، ويصيح بصوت غليظ ليفزع العجوز، وكانت جلدة، ففطنت أنه لص، فقالت: من هذا بارتعاد وفزع؟ فقال: أنا جبريل رسول رب العالمين أرسلني إلى ابنك هذا الفاسق لأعظه وأعامله بما يمنعه من ارتكاب المعاصي، فأظهرت أنها قد غشي عليها من الفزع، وأقبلت تقول: يا جبريل سألتك إلا رفقت به، فإنه ولدي، فقال اللص: ما أرسلت لقتله. قالت: فبم أرسلت؟ قال: لآخذ كيسه وأؤلم قلبه بذلك، فإذا تاب رددته عليه، فقالت: يا جبريل، شأنك وما أمرت به، فقال: تنحي عن باب البيت، وفتح هو الباب ودخل ليأخذ الكيس والقماش، واشتغل في تكويره فمشت العجوز قليلاً قليلاً وجذبت الباب وجعلت الحلقة في الرزة، وجاءت بقفل فقفلته، فنظر اللص إلى الموت ورام حيلة في نقبٍ أو منفذ، فلم يجد فقال: افتحي لأخرج فقد اتعظ ابنك، فقالت: يا جبريل، أخاف أن أفتح الباب، فتذهب عيني من ملاحظة نورك، فقال: إني أطفئ نوري حتى لا يذهب بعينيك. فقالت يا جبريل: ما يعوزك أن تخرج من السقف أو

تخرق الحائط بريشة من جناحك ولا تكلفني أنا لتغوير بصري، فأحس اللص أنها جلدة، فأخذ يرفق بها ويداريها ويبذل التوبة، فقالت: دع عنك هذا لا سبيل إلى الخروج إلَّا بالنهار، وقامت فصلت، وهو يسألها حتى طلعت الشمس، وجاء ابنها وعرف خبرها، وحدّثته الحديث، فأحضر صاحب الشرط وفتح الباب وقبض على اللص.

* * *

في ذكر
طرف من أخبار فطن الصبيان

[٥٤٠] ـ أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب النحوي، أنبأنا أبو جعفر بن المسلمة، أخبرنا أبو طاهر المخلص، أنبأنا أحمد بن سليمان بن داود الطوسي، أخبرنا الزبير بن بكار، حدّثني محمد بن الضحاك أن عبد الملك بن مروان قال لرأس الجالوت، أو لابن رأس الجالوت: ما عندكم من الفراسة في الصبيان؟ قال: ما عندنا فيهم شيء لأنهم يخلقون خلقاً بعد خلق غير أنا نرمقهم، فإن سمعنا منهم من يقول في لعبه: من يكون معي؛ رأيناه ذا همة وحنو وصدق فيه، وإن سمعناه يقول: مع من أكون كرهناها منه.

[٥٤١] ـ فكان أول ما علم من ابن الزبير أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان، وهو صبي، فمر رجل، فصاح عليهم، ففروا ومشى ابن الزبير القهقرى وقال: يا صبيان، اجعلوني أميركم وشدوا بنا عليه.

ومرّ به عمر بن الخطاب، وهو صبي يلعب مع الصبيان، ففروا ووقف، فقال له: ما لك لم تفر مع أصحابك؟ قال: يا أمير المؤمنين، لم أجرم، فأخاف، ولم تكن الطريق ضيقة، فأوسع لك.

[٥٤٢] ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزاز، أنبأنا الحسن بن علي الجوهري، أخبرنا ابن حيويه، أخبرنا أحمد بن معروف، أنبأنا الحسين بن الفهم، حدّثنا محمد بن سعد، أنبأنا حجاج بن نصر، حدّثنا قرة بن خالد، عن هارون بن رئاب، حدّثنا سنان بن مسلمة وكان أميراً على البحرين قال: كنا أغيلمة بالمدينة في أصول النخل نلتقط البلح الذي يسمونه الخلال، فخرج إلينا عمر بن الخطاب، فتفرق الغلمان وثبت مكاني، فلما غشيني قلت: يا أمير المؤمنين؛ إنما هذا ما ألقت الريح، قال: أرني أنظر، فإنه لا يخفى عليَّ، قال: فنظر في حجري، فقال: صدقت. فقلت: يا أمير المؤمنين، ترى هٰؤلاء الغلمان، واللّٰه لئن انطلقت لأغاروا عليَّ فانتزعوا ما في يدي، قال: فمشى معي حتى بلّغني مأمني.

[٥٤٣] ـ قال: قال أبو محمد الترمذي: كنت أؤدب المأمون وهو في حجر

سعيد الجوهري. قال: فأتيته يوماً وهو داخل، فوجهت إليه بعض خدامه يعلمه بمكاني، فأبطأ عليَّ ثم وجهت آخر، فأبطأ فقلت لسعيد: إن هذا الفتى ربما تشاغل بالبطالة وتأخر. قال: أجل، ومع هذا إنه إذا فارقك تعزم على خدمه ولقوا منه أذى شديداً، فقومه بالأدب، فلما خرج أمرت بحمله، فضربته سبع درر. قال: فإنه ليدلك عينيه من البكاء إذ قيل جعفر بن يحيى قد أقبل، فأخذ منديلاً، فمسح عينيه من البكاء، وجمع ثيابه وقام إلى فرشه فقعد عليه متربعاً، ثم قال: ليدخل، فقمت عن المجلس وخفت أن يشكوني إليه فألقى منه ما أكره. قال: فأقبل بوجهه وحدثه حتى أضحكه وضحك إليه، فلما همّ بالحركة دعا بدابته ودعا غلمانه، فسعوا بين يديه، ثم سأل عني، فجئت فقال: خذ على بقية حزني، فقلت: أيها الأمير، أطال اللّه بقاءك؛ لقد خفت أن تشكوني إلى جعفر بن يحيى، ولو فعلت ذلك لتنكر لي، فقال: تراني يا أبا محمد كنت أطلع الرشيد على هذا، فكيف بجعفر بن يحيى حتى أطلعه إنني أحتاج إلى أدب إذن، يغفر اللّه لك بعد ظنك ووجيب قلبك خذ في أمرك فقد خطر ببالك ما لا تراه أبداً لو عدت في كل يوم مائة مرة.

[٥٤٤] ـ قال الحسن القزويني: سمعت أبا بكر النحوي يقول: من ألطف رقعة كتبت في الاعتذار رقعة كتبها الراضي إلى أخيه أبي إسحاق المتقي، وقد كان جرى بينهما كلام بحضرة المؤدب، وكان الأخ قد تعدى على الراضي، فكتب إليه الراضي: بسم اللّه الرحمن الرحيم. أنا معترف لك بالعبودية فرضاً وأنت معترف إليَّ بالأخوة فضلاً، والعبد يذنب والمولى يعفو وقد قال الشاعر:

يـا ذَا الّذي يغضبُ من غيْر شيءٍ ... اعـتِـبْ فـعُـتْـبَـاكَ حـبـيـبٌ إلَـيَّـا
أَنْـتَ عــلــى أنّــك لــي ظــالــمٌ ... أعـزّ خَـلْـقِ الـلّـهِ طُـرّاً عَـلَـيَّـا

قال: فجاءه أبو إسحاق، فأكب عليه، فقام إليه الراضي، فتعانقا، واصطلحا واللّه أعلم.

[٥٤٥] ـ حدّثنا عبيد اللّه بن المأمون قال: غضب المأمون على أمي أم موسى، فقصدني لذلك، حتى كاد يتلفني، فقلت له يوماً: يا أمير المؤمنين، إن كنت غضبان على ابنة عمك، فعاقبها بغيري، فإني منك قبلها، ولك دونها. قال: صدقت واللّه يا عبيد اللّه إنك مني قبلها ولي دونها، والحمد للّه الذي أظهر لي هذا منك وبيّن لي هذا الفضل فيك، لا ترى واللّه بعد يومك هذا مني سوءً، ولا ترى إلّا ما تحب، فكان ذلك سبب رضاه عن أمي.

[٥٤٦] ـ قال الأصمعي: بينا أنا في بعض البوادي إذا أنا بصبي ـ أو قال:

صبية ـ معه قربة قد غلبته فيها ماء، وهو ينادي: يا أبت أدرك فاها غلبني فوها لا طاقة لي بفيها. قال: فواللّه لقد جمع العربية في ثلاث.

[٥٤٧] ـ قال الصولي: قال الجاحظ: قال ثمامة: دخلت إلى صديق لي أعوده وتركت حماري على الباب، ولم يكن معي غلام، ثم خرجت، وإذا فوقه صبي، فقلت: أتركب حماري بغير إذني؟ قال: خفت أن يذهب، فحفظته لك. قلت: لو ذهب كان أحب إليَّ من بقائه. قال: فإن كان هذا رأيك في الحمار، فاعمل على أنه قد ذهب وهبه لي، واربح شكري، فلم أر ما أقول.

[٥٤٨] ـ قال رجل من أهل الشام: قدمت المدينة، فقصدت منزل إبراهيم بن هرمة، فإذا بنية له صغيرة تلعب بالطين، فقلت لها: ما فعل أبوك؟ قالت: وفد إلى بعض الأجواد، فما لنا به علم منذ مدة، فقلت: انحري لنا ناقة، فإنا أضيافك. قالت: واللّه ما عندنا. قلت: فشاة. قالت: واللّه ما عندنا. قلت: فدجاجة. قالت: واللّه ما عندنا. قلت: فبيضة، قالت: واللّه ما عندنا. قلت: فباطل ما قال أبوك:

كَمْ نَاقَةٍ قد وجأتُ مَنْحَرها ... بمستهلّ الشُّؤْبُوبِ أو جَمَلِ

قالت: فذاك الفعل من أبي هو الذي أصارنا إلى أن ليس عندنا شيء.

[٥٤٩] ـ قال بشر بن الحارث: أتيت باب المعافى بن عمران، فدققت الباب فقيل لي: من؟ قلت: بشر الحافي. قالت لي بنية من داخل الدار: لو اشتريت نعلاً بدانقين ذهب عنك اسم الحافي.

[٥٥٠] ـ وبلغنا أن المعتصم ركب إلى خاقان يعوده، والفتح صبي يومئذ، فقال له المعتصم: أيما أحسن دار أمير المؤمنين أو دار أبيك؟ قال: إذا كان أمير المؤمنين في دار أبي فدار أبي أحسن، فأراه فصاً في يده، فقال: هل رأيت يا فتح أحسن من هذا الفص؟ فقال: نعم اليد التي هو فيها.

[٥٥١] ـ قال أبو علي البصير: توفي أبي وأنا صغير، فمنعت ميراثي، فقدمت منازعاً إلى القاضي، فقال لي: بلغت؟ قلت: نعم، قال: ومن يعلم بذاك؟ قلت: من أنعظ عليه، فتبسم وأمر بفك حجري.

[٥٥٢] ـ بلغنا أن إياس بن معاوية تقدم وهو صبي إلى قاضي دمشق ومعه شيخ، فقال: أصلح اللّه القاضي هذا الشيخ ظلمني واعتدى عليَّ وأخذ مالي، فقال القاضي: ارفق به ولا تستقبل الشيخ بمثل هذا الكلام، فقال إياس: أصلح اللّه

القاضي إن الحق أكبر مني ومنه ومنك. قال: اسكت. قال: إن سكتُّ فمن يقوم بحجتي؟ قال: تكلم بخير، فقال: لا إله إلَّا اللّه وحده لا شريك له، فرفع صاحب الخبر هذا الخبر، فعزل القاضي وولي إياس مكانه.

[٥٥٣] ـ نظر المأمون إلى ابن صغير له في يده دفتر، فقال: ما هذا بيدك؟ فقال: بعض ما تسجل به الفطنة وينبه من الغفلة ويؤنس من الوحشة، فقال المأمون: الحمد للّه الذي رزقني من ولدي من ينظر بعين عقله أكثر ما ينظر بعين جسمه وسنه.

[٥٥٤] ـ قال الفرزدق لغلام حدث: أيسرك أني أبوك؟ قال: لا، ولكن أمي ليصيب أبي من أطايبك.

[٥٥٥] ـ قعد صبي مع قوم يأكلون، فبكى، قالوا: ما لك تبكي؟ قال: الطعام حار، قالوا: فدعه حتى يبرد. قال: أنتم لا تدعونه.

[٥٥٦] ـ قال الأصمعي: قلت لغلام حدث السن من أولاد العرب: أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنك أحمق؟ فقال: لا واللّه. قلت: ولمَ؟ قال: أخاف أن يجني عليَّ حمقي جناية تذهب مالي ويبقى عليَّ حمقي.

[٥٥٧] ـ بلغنا أن صبياً لقي رجلاً عاقلاً فقال له: إلى أين تمضي؟ فقال: إلى المطبق. قال: أوسع خطوتك.

[٥٥٨] ـ أُدخل على الرشيد صبيٌّ له أربع سنين، فقال له: ما تحب أن أهب لك؟ قال: حسن رأيك.

* * *

في ذكر
طرف من فطن عقلاء المجانين

[٥٥٩] ـ حدّثنا محمد بن إسماعيل قال: كان عندنا رجل من جهينة يكنى أبا نصر قد ذهب عقله، فقلت له يوماً: ما السخاء؟ قال: جهد مقل. قلت: فما البخل؟ قال: أُف وحول وجهه، فقلت: أجبني. قال: قد أجبتك.

[٥٦٠] ـ قال الشبلي: رأيت يوم الجمعة معتوهاً عند جامع الرصافة قائماً عريان وهو يقول: أنا مجنون اللَّه، أنا مجنون اللَّه، فقلت له: لم لا تدخل الجامع وتتوارى وتصلي؟ فأنشأ يقول:

يقولون زُرْنا واقضِ واجبَ حقّنا ... وقد أسقطت حالي حقوقهم عنّي
إذا هم رأوا حالي ولم يأنَفُوا لها ... ولم يأنفوا منها أنفت لهم منّي

[٥٦١] ـ قال ابن القصاب الصوفي: دخلت المارستان، فرأيت فيه فتى مصاباً، فولعت به وزدت في الولع، فاتّبعته، فصاح وقال: انظروا إلى شعور مطرزة، وأجساد معطرة قد جعلوا الولع بضاعة والسخف صناعة، فقلت له: من السخي؟ قال: الذي رزق أمثالكم وأنتم لا تساوون قوت يوم، قلت له: من أقل الناس شكراً؟ فقال: من عوفي من بلية ثم رآها في غيره، فترك الشكر فانكسرت بذلك، وقلت له: ما الظرف؟ قال: خلاف ما أنتم عليه.

[٥٦٢] ـ بلغني عن بعض أصحاب المبرد أنه قال: انصرفت من مجلس المبرد يوماً فجزت بخربة، فإذا بشيخ قد خرج منها، ومعه حجر فهمَّ أن يرميني به، فتترست بالمحبرة والدفتر، فقال: مرحباً بالشيخ، فقلت: وبك. قال: من أين أقبلت؟ قلت: من مجلس المبرد. قال: البارد. ثم قال: ما الذي أنشدكم؟ فكان من عادته أن يختم مجلسه ببيتين أو بيت من الشعر، فقلت له: أَنشدنا:

أعــارَ الــغــيــثُ نــائــلــه ... إذا مــــا مــــاؤه نَـــفَـــدا
وإن أســدٌ شَــكَــا جُــبْــنــاً ... أعـــــارَ فــــؤادَه الأسَــــدَا

فقال: أخطأ قائل هذا الشعر. قلت: كيف؟ قال: ألا تعلم أنه إذا أعار الغيث نائله بقي بلا فؤاد. قلت: فكيف كان يقول؟ فأنشد:

عَلَّم الغيثُ النّدى فإذا ما وعاه عَلَّم البأس الأَسَدْ
فإذا الغيثُ مُقِرّ بالنَّدى وإذا اللّيثُ مقرّ بالجَلَدْ

قال: فكتبتها وانصرفت، ثم مررت يوماً آخر بذلك المكان، فإذا به قد خرج وبيده حجر، فكاد يرميني فتترست منه، فضحك وقال: مرحباً بالشيخ، فقلت: وبك. قال: من مجلس المبرد؟ قلت: نعم. قال: ما الذي أنشدكم؟ قلت: أنشدنا:

إنَّ السماحةَ والمروءةَ والنّدى قَبْرٌ يمرُّ على الطّريق الواضحِ
فإذا مررتَ بِقَبْرِهِ فاعقِرْ بهِ كَوْمَ الجيادِ وكلّ طَرْفٍ سَابحِ

فقال: أخطأ قائل هذا الشعر، فقلت: كيف؟ قال: ويحك لو نحرت بخت خراسان لما أبرّ في حقه. قلت: كيف كان يقول؟ فأنشد:

احمِلَاني إن لَمْ يَكُنْ لَكُمَا عِقْـ ـرٌ إلى جَنْبِ قَبْره فاعْقِرَاني
وانْضَحا من دَمي عليه فَقَد كَا نَ دَمي مِن نَدَاهُ لو تَعْلَمَانِ

قال: فلما عدت إلى المبرد قصصت عليه القصة، فقال: أتعرفه؟ قلت: لا. قال: ذلك خالد الكاتب تأخذه السوداء أيام الباذنجان.

[٥٦٣] ـ قال علي بن الحسين الرازي: مرّ بهلول بقوم في أصل شجرة وكانوا عشرة، فقال بعضهم لبعض: تعالوا حتى نسخر ببهلول. قالوا: فجاءهم، فقالوا: يا بهلول، تصعد لنا رأس هذه الشجرة وتأخذ عشرة دارهم. قال: نعم فأعطوه عشرة دراهم فصيرها في كمه، ثم التفت، فقال: هاتوا سلماً. فقالوا: لم يكن هذا في الشرط، فقال: كان في شرطي دون شرطكم.

[٥٦٤] ـ ولد لبعض أمراء الكوفة بنت، فساءه ذلك وامتنع عن الطعام، فدخل عليه بهلول، فقال: ما هذا الحزن أجزعت بخَلْقٍ سَوِيٍّ وهبه رب العالمين، أيسرك أن مكانها أبناء مثلي، فسُرِّي عنه.

[٥٦٥] ـ وفر يوماً بهلول من الصبيان، فالتجأ إلى دار، فوجد بابها مفتوحاً، فدخلها وصاحب الدار قائم له ضفيرتان، فصاح: ما أدخلك داري؟ فقال: ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤].

[٥٦٦] ـ وحمل عليه الصبيان يوماً فدخل داراً، فدعا الرجل بالطعام،

فجعل الصبيان يصيحون على الباب وهو يأكل ويقول: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

[٥٦٧] ـ وسئل بهلول عن رجل مات وخلَّف ابناً وبنتاً وزوجة، ولم يترك من المال شيئاً، فقال للابن اليتم، وللبنت الثكل، وللزوجة خراب البيت، وما بقي فللعصبة.

[٥٦٨] ـ قال: ودخل بهلول وعليان على موسى بن المهدي، فقال لعليان: إيش معنى عليان؟ فقال عليان: وإيش معنى موسى، فقال: خذوا برجل ابن الفاعلة، فالتفت عليان إلى بهلول، وقال: خذ إليك كنا اثنين صرنا ثلاثة.

[٥٦٩] ـ كان في بني أسد مجنون، فمر بقوم من بني تيم اللَّه، فعبثوا به وعذبوه، فقال: يا بني تيم اللَّه، ما أعلم في الدنيا قوماً خيراً منكم. قالوا: وكيف؟ قال: بنو أسد ليس فيهم مجنون غيري، وقد قيدوني وسلسلوني، وكلكم مجانين ليس فيكم مقيد.

[٥٧٠] ـ ومرّ مجنون بمعتزلي يناظر، فقال له المجنون: أنت القائل إنك مخير بين فعلين إن شئت فعلت أحدهما دون الآخر؟ قال: نعم. قال: فاخر ولا تبل، فعجب الناس من قوله.

[٥٧١] ـ قال أبو محمد بن عجيف: مرّ بي مجنون، فقلت: يا مجنون، قال: وأنت عاقل؟ قلت: نعم. قال: كلا يا مجنون، ولكن جنوني مكشوف وجنونك مستور. قلت: فسر لي. قال: أنا أخرق الثياب وأرجم، وأنت تعمر داراً لا بقاء لها، وتطيل أملك وما حياتك بيدك وتعصي وليك وتطيع عدوك.

[٥٧٢] ـ قال النظام: قلت لمجنون: اجلس هاهنا حتى أرجع، فقال: أما ترجع فلا أضمن لك، ولكني أجلس إلى الليل.

[٥٧٣] ـ ادعى رجل النبوة وزعم أنه نوح، فصلب فمرّ به مجنون، فقال: يا نوح لم تحصل من سفينتك إلا على الدقل.

[٥٧٤] ـ بعث هلال بن أبي بردة إلى أبي علقمة المجنون، فلما أتي به قال: تدري لم أحضرتك؟ قال: لا. قال: لأضحك منك. قال: قد ضحك أحد الحكمين من صاحبه يعرض بجده أبي موسى.

* * *

في ذكر
طرف من أخبار النساء والمتفطنات

[٥٧٥] ـ حدّثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قلت: يا رسول اللَّه، أرأيت لو نزلت وادياً فيه شجر أُكِل منها، ووجدت شجراً لم يؤكل منها. في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: «**في التي لم يرتع منها**» تعني: أن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها[(١)].

[٥٧٦] ـ حدّثنا القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا خرج في سفر أقرع بين نسائه، فطارت القرعة على عائشة وحفصة، فخرجتا معه جميعاً، فكان النبي ﷺ إذا سار بالليل سار مع عائشة يتحدث معها، فقالت حفصة لعائشة: ألا تركبين بعيري وأركب بعيرك فتنظرين وأنظر؟ قالت: بلى، فركبت عائشة على بعير حفصة، وركبت حفصة على بعير عائشة، فجاء رسول اللَّه ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة، فسلم ثم صار معها، حتى نزلوا، ففقدت النبي ﷺ، فغارت، فلما نزلت جعلت تدخل رجليها بين الإذخر وتقول: يا رب، سلط عليَّ عقرباً يلدغني، رسولك لا أستطيع أن أقول شيئاً[(٢)].

[٥٧٧] ـ عن عبد اللَّه بن مصعب قال: قال عمر بن الخطاب: لا تزيدوا في مهر النساء على أربعين أوقية، وإن كانت بنت ذي الغصة يعني يزيد بن الحصين الصحابي الحارثي، فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال، فقالت امرأة من صف النساء طويلة في أنفها فطس: ما ذاك لك. قال: ولم؟ قالت: لأن اللَّه عزّ وجلّ قال: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٢٠] قال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ[(٣)].

[٥٧٨] ـ عن محمد بن معين الغفاري قال: أتت امرأةٌ عمر بن الخطاب

---

(١) انظر «صحيح البخاري» (٥٠٧٧).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٤/ ١٢٠).

(٣) هذه القصة لا تصح؛ انظر تخريجها والكلام عليها في «قصص لا تثبت» (١/ ص٢٧ ـ وما بعدها) القصة الأولى، ليوسف بن محمد بن إبراهيم العتيق، نشر دار الصميعي بالرياض.

رضي اللَّه عنه، فقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه، وهو يعمل بطاعة اللَّه، فقال لها: نعم الزوج زوجك، فجعلت تكرر عليه القول وهو يقرر عليها الجواب، فقال له كعب الأسديّ: يا أمير المؤمنين، هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه، فقال له عمر: كما فهمت كلامها فاقض بينهما. فقال كعب: عليَّ بزوجها فأتي به، فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك. قال: أفي طعام أو شراب؟ قال: لا. فقالت المرأة:

يا أيُّها القاضي الحَكيمُ رَشَدُهْ   ألهى حليلي عَنْ فراشي مَسْجِدُهْ
زَهَّدَهُ في مَضجَعي تَعبُّدُهْ   نَهارَه وليلَه ما يَرقدُهْ
ولَسْتُ في أَمْرِ النّساءِ أَحْمَدُهُ

فقال زوجها:

زَهِدتُ في فراشِها وفي الحَجَلْ   إنِّي امرؤٌ أذهلني ما قَدْ نَزَلْ
في سُورةِ النّمل وفي السّبع الطُّوَلْ   وفي كِتَاب اللَّهِ تخويفٌ جَلَلْ

فقال كعب:

إنّ لها حقاً عليك يا رَجُلْ   تُصيبُها في أربَعٍ لمنْ عَقَلْ
فأعْطِها ذاكَ ودع عنك العِلَلْ

ثم قال: إن اللَّه عزّ وجلّ قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك، ولها يوم وليلة. فقال عمر: واللَّه ما أدري من أي أمريك أعجب، أفمن فهمك أمرها، أم من حكمك بينهما. اذهب فقد ولتيك قضاء البصرة.

[٥٧٩] ـ عن عبد اللَّه بن الزبير، عن أسماء بنت أبي بكر رضي اللَّه عنهم قالت: لما توجه رسول اللَّه ﷺ من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر حمّل أبو بكر معه جميع ماله خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم، فأتاني جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: أرى هذا واللَّه قد فجعكم بماله مع نفسه، فقلت: كلا يا أبت. قد ترك لنا خيراً كثيراً، فعمدت إلى أحجار أجعلها في كوة البيت كان أبو بكر يحصل ماله فيها، وغطيت على الأحجار بثوب، ثم جئت به فأخذت بيده ووضعتها على الثوب، وقلت: ترك لنا هذا فجعل يجد مس الحجارة من وراء الثوب، فقال: ما إذا ترك لكم هذا، فنعم. ولا واللَّه ما ترك لنا قليلاً ولا كثيراً.

[٥٨٠] ـ قال الأصمعي: أتت امرأة حاتم بن عبد اللَّه بن أبي بكرة، فقالت

له: أتيتك من بلاد شاسعة ترفعني رافعة وتخفضني خافضة لملمات من الأمور حللن بي فبرين لحمي ووهن عظمي وتركنني والهة كالحريض، قد ضاق بي البلد العريض، هلك الوالد وغاب الوافد وعدم الطارف والتالد. فسألت في أحياء العرب عن المرجو سببه، المحمود نائله، الكريم شمائله، فدللت عليك وأنا امرأة من هوازن، فافعل بي أحد ثلاث؛ إما أن تقيم أَوَدي، وإما أن تحسن صَفَدي، وإما أن تردني إلى بلدي، فقال: بل أجمعهن إليك وحباً وكرامة.

[٥٨١] ـ قال الأصمعي: مات ابن لأعرابية، فما زالت تبكي حتى خدد الدمع خدها، ثم استرجعت، فقالت: اللهم إنك قد علمت فرط حب الوالدين لولدهما، فلذلك لم تأمرهما ببره، وعرفت قدر عقوق الولد لوالديه، فمن أجل ذلك حضضته على طاعتهما. اللهم إن ولدي كان من البار بوالديه على ما يكون الوالدين بولدهما، فاجزه مني بذلك صلاة ورحمة، ولقّه سروراً ونضرة، فقال لها أعرابي: نِعْمَ ما دعوت له؛ لولا أنك شببته من الجزع بما لا يجدي. فقالت: إذا وقعت الضرورات لم يجر عليها حكم المكتسبات، وجزعي على ابني غير ممكن في الطاقة صرفه، ولا في القدرة منعه، ولي عذري بفضله، فقد قال عزّ وجلّ: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

[٥٨٢] ـ قال أبو الحسن المدائني: دخل عمران بن حطان يوماً على امرأته، وكان عمران قبيحاً ذميماً قصيراً، وقد تزينت، وكانت امرأة حسناء، فلما نظر إليها ازدادت في عينه جمالاً وحسناً، فلم يتمالك أن يديم النظر إليها، فقالت: ما شأنك؟ قال: لقد أصبحت واللّه جميلة. فقالت: أبشر فإني وإياك في الجنة. قال: ومن أين علمت ذلك؟ قالت: لأنك أعطيت مثلي فشكرت، وابتليت بمثلك فصبرت، والصابر والشاكر في الجنة.

[٥٨٣] ـ **قال المصنف** أدام اللّه سلامته: كان عمران بن حطان أحد الخوارج، وهو القائل يمدح عبد الرحمن بن ملجم على قتله علي بن أبي طالب رضي اللّه تعالى عنه وأرضاه بمنه وكرمه:

يا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ ما أرادَ بها ... إلَّا ليبلغَ مِنْ ذي العَرْش رِضْوانا
إنِّي لأذكُرُه يوماً فأحسبُه ... أَوْفَى البريّة عِنْدَ اللّهِ مِيزَانا
أَكْرِمْ بِقومٍ بُطُونُ الأَرْضِ أقْبُرُهمْ ... لَمْ يَخْلِطُوا دِينَهُمْ بَغْياً وَعُدْوانا

فبلغت هذه الأبيات القاضي أبا الطيب الطبري، فقال مجيباً له على الفور:

إنـي لأبْـرَأُ مـمّـا أنـت قـائـلـه ... على ابنِ مِلْجَم الملعون بُهْتانا
إنّـي لأذكـرُه يـومـاً فـألـعـنُـه ... دِيناً وألعنُ عِمراناً وحطّانا
علـيْكَ ثُمّ عليه الدّهرَ متصلاً ... لعائنُ اللّهِ إسراراً وإعلانا
فأَنْتُمُ مِنْ كِلَابِ النّارِ جاء به ... نصّ الشريعة تِبياناً وبُرهانا

أشار أبو الطيب إلى قول النبي ﷺ: «**الخوارج كلاب النار**»[1].

[٥٨٤] ـ قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: حدّثني أبو المشيع قال: خرج كثيِّر يلتمس عزّة، ومعه شنينة فيها ماء، فأخذه العطش، فتناول الشنينة، فإذا هي عظم، ما فيها شيء من الماء، فرفعت له نار فأمّها فإذا بقربها مظلة بفنائها عجوز، فقالت له: من أنت؟ قال: أنا كثيِّر. قالت: قد كنت أتمنى ملاقاتك، فالحمد للّه الذي أرانيك. قال: وما الذي تلتمسينه مني؟ قالت: ألست القائل:

إذا ما أَتَيْنا خِلّة كي نزيلَها ... أَبيْنا وقُلْنا الحاجبية أوّلُ
سنوليك عرفاً إن أردتِ وِصالَنا ... ونحنُ لِتلك الحاجبيّة أوصلُ

قال: بلى. قالت: أفلا قلت كما قال سيدك جميل:

يا رُبَّ عارضةٍ علينا وصْلَها ... بالجِدّ تخلطه بقول الهَازلِ
فأجبتها في القَوْل بعد تأمّلٍ ... حبي بثينةَ عَنْ وِصالك شَاغِلِي
لَوْ كان في قلبي كقدر قُلامة ... فَضْلاً لغيرك ما أَتَتْك رسائلي

قلت: دعي هذا واسقيني. قالت: واللّه لا أسقيك شيئاً. قلت: ويحك إن العطش قد أضر بي. قالت: ثكلت بثينة إن طمعت أن عندي قطرة ماء، فكان جهده أن ركض راحلته ومضى يطلب الماء، فما بلغه حتى أضحى النهار وكاد يقتله العطش.

[٥٨٥] ـ قال: دخل ذو الرُّمَّة الكوفة فبينا هو يسير في شوارعها على نجيب له إذ رأى جارية سوداء واقفةً على باب دار، فاستحسنها ووقعت بقلبه، فدنا إليها، فقال: يا جارية، اسقيني ماء، فأخرجت إليه كوزاً، فشرب فأراد أن يمازحها ويستدعي كلامها، فقال: يا جارية، ما أحر ماءك، فقالت: لو شئت لأقبلت على عيوب شعرك وتركت حر مائي وبرده، فقال لها: وأي شعري له عيب؟ فقالت: ألست ذا الرمة؟ قال: بلى. قالت:

فأنت الذي شبّهت عنزاً بقفرةٍ ... لها ذَنَبٌ فوق استها أم سالمِ

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٥٥) وابن ماجه (١٧٣) وابن أبي عاصم (٢/ ٤٣٨) أو (٢/ ٦٢٢/ ٩٣٦ ـ جوابرة)، وصحّحه الشيخ الألباني.

جَعَلْتَ لها قَرْنَين فَوقَ جَبينها ... وطِبْسين مُسْوَدَّيْنِ مِثلَ المَحاجِمِ

وساقيْنِ إنْ يستمكنا مِنْك يتركا ... بجلدك يا غيلان مثل المآثِمِ

أيا ظبيةَ الوَعْساءِ بين جَلَاجل ... وبين النقا أأنت أَمْ أُمُّ سالِمِ

قال: نشدتك باللّه إلا أخذت راحلتي وما عليها ولم تظهري هذا، ونزل راحلته، فدفعها إليها، فذهب ليمضي، فدفعتها إليه وضمنت له ألا تذكر لأحد ما جرى.

[٥٨٦] ـ قال زهير بن حسن مولى الربيع بن يونس: قدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فصلى عنده ركعتين، وركب الوليد، فمشى الحجاج بين يديه، فقال له الوليد: اركب يا أبا محمد. فقال: يا أمير المؤمنين، دعني أستكثر من الجهاد، فإن ابن الزبير وابن الأشعث شغلاني عن الجهاد زمناً طويلاً، فعزم عليه الوليد أن يركب ودخل، فركب مع الوليد، فبينا هو يتحدث ويقول: ما فعلت بأهل العراق وفعلت، أقبلت جارية فنادت الوليد ثم انصرفت، فقال الوليد: يا أبا محمد، أتدري ما قالت الجارية؟ قال: لا. قال قالت: أرسلتني إليك أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن مجالستك هذا الأعرابي وهو في سلاحه وأنت في غلاله غرر، فأرسلت إليها أنه الحجاج بن يوسف فراعها ذلك، وقالت: واللّه لأن يخلو بك ملك الموت أحب إليَّ من أن يخلو بك الحجاج، وقد قتل أحباء اللّه له وأهل طاعته ظلماً وعدواناً.

فقال الحجاج: يا أمير المؤمنين، إنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة لا تطلعهن على سرك، ولا تستعملهن بأكثر من وثبهن، ولا تكثر مجالستهن صَغاراً وذُلاً، ثم نهض فخرج، ودخل الوليد على أم البنين، فأخبرها بمقالته، فقالت: إني أحب أن تأمره بالتسليم عليّ فسيبلغك بالذي يكون بيني وبينه، فغدا الحجاج على الوليد، فقال الوليد: ائت أم البنين، فقال: اعفني يا أمير المؤمنين. قال: فلتفعلن فأتاها، فحجبته طويلاً، ثم أذنت له، ثم قالت له: يا حجاج، أنت تفتخر على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث. أما واللّه لولا أن اللّه علم أنك أهون خلقه عليه ما ابتلاك بقتل ابن ذات النطاقين ابن حواريّ رسول اللّه ﷺ، وابن الأشعث فلعمري لقد استعلى عليك حتى عجعجت[1] ووالى عليك الهرار حتى عويت، فلولا أن أمير المؤمنين نادى في أهل اليمن، وأنت في أضيق من القرن، فأظلتك رماحهم وعلاك كفاحهم لكنت مأسوراً قد أخذ الذي فيه عيناك، وعلى هذا، فإن

(١) عجعج: صاح، وبالغ في الصياح.

نساء أمير المؤمنين قد نفضن العطر عن غدائرهن وبعنه في أعطية أوليائه، وأما ما أشرت على أمير المؤمنين من قطع لذاته وبلوغ أوطاره من نسائه، فإن يكن إنما ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فغير مجيبك إلى ذلك، وإن كُنّ ينفرجن عن مثل ما انفرجت به أمك البظراء عنك من ضعف الغريزية وقبح المنظر في الخَلق والخُلق، يا لكع، فما أحقه أن يقتدي بقولك. قاتل اللّه الذي يقول:

أَسَدٌ عليَّ وفي الحُرُوبِ نَعَامة فَتْخَاءُ تَنْفر مِنْ صَفيرِ الصَّافِرِ
هلَّا برزت إلى الغَزالةِ في الوغى أو كان قلبك في جَنَاحَيْ طائِرِ

ثم أمرت جارية لها، فأخرجته، فلما دخل على الوليد قال: ما كنت فيه يا أبا محمد؟، فقال: واللّه يا أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحبّ إلي من ظهرها. قال: إنها بنت عبد العزيز.

[٥٨٧] ـ قال ابن السِّكِّيت: عزم محمد بن عبد اللّه بن طاهر على الحج، فخرجت إليه جارية شاعرة، فبكت لما رأت آلة السفر، فقال محمد بن عبد اللّه:

دَمْعَةٌ كاللّؤلؤ الرّطْـ ـبِ عَلَى الخَدِّ الأسيلِ
هَطَلَتْ في ساعةِ البَيْـ ـنِ من الطَّرْفِ الكَحِيلِ

ثم قال: أجيزي فقالت:

حين هَمَّ القَمَرُ البا هِرُ عنّا بالأفُولِ
إنّما يُفْتَضَحُ العشّاقُ في وقْتِ الرَّحِيْلِ

[٥٨٨] ـ قال أيوب الوزان: قال المفضل: دخلت على الرشيد، وبين يديه طبق ورد، وعنده جارية مليحة شاعرة أديبة قد أهديت إليه، فقال: يا مفضل، قل في هذا الورد شيئاً تشبهها به، فأنشأ يقول:

كأنّهُ خدُّ مرموقٍ يُقَبِّلُهُ فَم الحَبيب وقَدْ أَبْدى به خَجَلا

فقالت الجارية:

كأنّه لونُ خدّي حينَ يَدْفعُني كفّ الرّشيد لأمرٍ يُوجِبُ الغُسْلَا

فقال: يا مفضل، قم فاخرج، فإن هذه الماجنة قد هيجتنا، فقمت وأرخيت الستور.

[٥٨٩] ـ قال الأصمعي: لما قدم الرشيد البصرة يريد الخروج إلى مكة، فخرجت معه، فلما صرنا بضرية إذا أنا على شفير الوادي بصبية قدامها قصعة لها، وإذا هي تقول:

طَحَنَتْنَا طَوَاحِنُ الأعوامِ وَرَمَتْنَا نوائبُ الأيامِ

فَأتيناكُمو نَمُدُّ أكفّاً لِفُضالاتِ زادِكم والطّعامِ
فاطلبُوا الأجْرَ والمثُوبَة فِينَا أيُّها الزائرون بيت الحَرَام
مَنْ رآني فَقَدْ رآني وَرَحْلي فارحموا غربتي وذُلّ مَقَامي

قال: فرجعت إلى أمير المؤمنين، فقلت: صبية على شفير الوادي، وأنشدته ما قالت، فعجب، فقلت: يا أمير المؤمنين، فآتيك بها؟ قال: لا. بل نحن نذهب إليها. قال الأصمعي: فوقف عليها أمير المؤمنين، فقلت لها: أنشديه ما كنتِ تقولينه، فأنشدته ولم تهبه، فقال: يا مسرور املأ قصعتها دنانير، قال: فملأها حتى فاضت يميناً وشمالاً.

[٥٩٠] ـ حدّثنا ابن الشيظمي قال: حججت في سنة قحطة جدبة، فبينا أنا أطوف بالكعبة، إذ أبصرت جارية من أحسن الناس قداً وقواماً وخلقاً وهي متعلقة بأستار الكعبة تقول: إلٰهي وسيدي؛ ها أنا أمتك الغريبة وسائلتك الفقيرة حيث لا يخفى عليك بكائي، ولا يستتر عنك سوء حالي، قد هتكت الحاجة حجابي وكشفت الفاقة نقابي، فكشفت وجهاً رقيقاً عند الذل، وذليلاً عند المسألة، طال وعزتك ما حجبه عنه ماء الغناء وصانه ماء الحياء، قد جمدت عني كف المرزوقين، وضاقت بي صدور المخلوقين، فمن حرمني لم ألمه، ومن وصلني وكلته إلى مكافأتك ورحمتك، وأنت أرحم الراحمين. قال: فدنوت منها فبررتها، ثم قلت لها: من أنت؟ وممن أنت؟ فقالت: إليك عني. من قل ماله، وذهب رجاله كيف يكون حاله. ثم أنشأت تقول:

بعضُ بَنَاتِ الرِّجال أبْرَزَها الدّهر لِمَا قَدْ تَرى وأَخْرَجَها
أَبْرَزَها من جَلِيلِ نِعمتِها فابْتَزَّها مُلْكَها وأَحْوَجَها
وطالما كانَتِ العُيونُ إذا ما خَرجت تَسْتَشِفُّ هَوْدَجَها
إن كانَ قد سَاءَها وأَحْزَنَها فَطَالما سَرَّها وأَبْهَجَها
الحمدُ للَّهِ رُبَّ مُعْسِرَةٍ قد ضَمِن اللَّه أن يُفَرِّجَها

قال: فسألت عنها، فأُخبرت أنها من ولد الحسين بن علي رضوان اللَّه عليهم أجمعين.

[٥٩١] ـ بلغنا أن كُثَيِّرَ عَزَّة لقي جميلاً، فقال له: متى عهدك ببثينة؟ قال: ما لي بها عهد منذ عام أول، وهي تغسل ثوباً بوادي الدوم، فقال له كُثَيِّر: تحب

أن أعهدها لك الليلة؟ قال: نعم. فأقبل راجعاً إلى بثينة، فقال له أبوها: يا فلان؛ ما ردَّك، أما كنت عندنا قبيل؟ قال: بلى، ولكن حضرتني أبيات قلتها في عَزَّة قال: وما هي؟ قلت:

فقلتُ لها يا عَزَّ أرسل صاحبي   على بابِ داري والرّسولُ مُوَكَّلُ
أمَا تَذْكُرِينَ العَهْدَ يَوْم لَقِيتُكُمْ   بأَسْفلِ وادي الدُّوم والثّوب يُغْسَلُ

فقالت بثينة: اخسأ. فقال أبوها: ما هاجكِ يا بثينة؟ قالت: كلب لا يزال يأتينا من وراء الجبال بالليل وأنصاف النهار. قال: فرجع إليه، فقال: قد وعدتك من وراء هذا الجبل بالليل وأنصاف النهار، فالْقَها إذا شئت.

[٥٩٢] ـ **قال مؤلف الكتاب**: قلت: ومن هذا الفن حكي أن أعرابياً بعث غلاماً له إلى امرأة يواعدها موضعاً يأتيها فيه، فذهب بغلام وأبلغها الرسالة، فكرهت المرأة أن تقر للغلام بما بينهما، فقالت: واللّه لئن أخذتك لأعركنّ أذنك عركة تبكي منها، وتستند إلى تلك الشجرة ويغشى عليك إلى وقت العتمة، فلم يعرف الغلام معنى هذا الكلام، وانصرف إلى صاحبه وحكى له، فعلم أنها واعدته تحت الشجرة وقت العتمة.

[٥٩٣] ـ قال الصولي: سمعت المبرد يقول: كنا عند المازني، فجاءته أعرابية كانت تغشاه ويَهُبِّ لها، فقالت: أنعم اللّه صباحك أبا عثمان. هل بالرمال أوشال؟ فقال لها: يجيء اللّه بها. فقالت:

تَعْلَمْنَ أَنّي والّذي حَجّ القَوْمْ   لَوْلَا خَيَالُ طَارقٍ عِنْد النَّوْمْ
والشّوقُ مِنْ ذكراكِ ما جِئْتُ اليَوْمْ

فقال المازني: قاتلها اللّه ما أفطنها جاءتني مستمنحة، فلما رأت أن لا شيء جعلت المجيء زيارة تمن علينا بها.

[٥٩٤] ـ قال إسماعيل بن حَمّاد بن أبي حنيفة: ما ورد عليّ مثل امرأة تقدمت، فقالت: أيها القاضي، ابن عمي زوجني من هذا ولم أعلم، فلما علمت رددت. فقلت لها: ومتى رددت؟ قالت: وقت ما علمت. قلت: ومتى علمت؟ قالت: وقت ما رددت، فما رأيت مثلها.

[٥٩٥] ـ قال: حدّثنا علي بن القاسم القاضي، قال: سمعت أبي يقول: كان موسى بن إسحاق لا يُرى مبتسماً قط، فقالت له امرأة: أيها القاضي، لا يحل

أن تحكم بين اثنين وأنت غضبان. قال: ولم؟ قالت: لأن النبي ﷺ قال: «**لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان**»(١) فتبسم.

[٥٩٦] ـ عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه؛ قال سليمان بن عبد الملك يوماً والشعراء عنده: قد قلت نصف بيت فأجيزوه. قال:

يروح إذا راحوا ويغدو إذا غَدَوْا

فلم يصنعوا شيئاً، فدخل إلى جارية له فأخبرها، فقالت: كيف قلت؟ فأنشدها فقالت:

وعما قليل لا يروح ولا يغدو

[٥٩٧] ـ قال الأصمعي: كنت عند أمير المؤمنين الرشيد إذ دخل رجل ومعه جارية للبيع، فتأملها الرشيد، ثم قال: خذ جاريتك، فلولا كَلَف في وجهها وخَنَس في أنفها لاشتريتها، فانطلق بها، فلما بلغت الستر قالت: يا أمير المؤمنين، اردني إليك أنشدك بيتين حضراني، فردها فأنشأت تقول:

ما سلّم الظبيُ على حُسنه ... كلّا ولا البَدْرُ الّذي يُوصَفُ

الظَّبْيُ فِيهِ خَنَسٌ بَيِّنٌ ... والبَدْرُ فِيهِ كَلَفٌ يُعْرَفُ

فأعجبته بلاغتها فاشتراها وقرب منزلها، وكانت أحظى جواريه عنده.

[٥٩٨] ـ قال الجاحظ: رأيت بالعسكر امرأة طويلة القامة جداً، ونحن على طعام، فأردت أن أمازحها، فقلت: انزلي حتى تأكلي معنا. قالت: وأنت، فاصعد حتى ترى الدنيا.

[٥٩٩] ـ قال الجاحظ أيضاً: رأيت امرأة جميلة فقلت: ما اسمكِ؟ قالت: مكة. فقلت: أتأذنين لي أن أقبّل الحجر الأسود منك؟ قالت: لا إلا بالزاد والراحلة.

[٦٠٠] ـ **قال مؤلف الكتاب**: وقد رويت لنا هذه الحكاية على وجه آخر. قال الجاحظ: رأيت جارية بسوق النخاسين ببغداد ينادى عليها وعلى خدها خال، فدعوت بها وجعلت أقلبها، فقلت لها: ما اسمك؟ قالت: مكة. فقلت: اللّه أكبر

(١) الحديث في «المسند» (٥/ ٣٦ ـ ٣٧، ٥٢) و«سنن أبي داود» (٣٥٨٩) والنسائي وابن ماجه، وصححه الألباني.

قرب الحج أتأذنين أن أقبّل الحجر الأسود؟ قالت له: إليك عني ألم تسمع قول اللّه تعالى: ﴿لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٧].

[٦٠١] ـ قال الأصمعي: أُتي المنصور بسارق، فأمر بقطع يده، فأنشأ يقول:

يدي يا أميرَ المؤمنين أعيذها بحقويك مِنْ عارٍ عليْها يَشينُها

فلا خيْرَ في الدُّنْيا ولَا في نَعيمها إذا ما شِمَالٌ فارَقَتْهَا يَمِينُها

فقال: يا غلام، اقطع، هذا حد من حدود اللّه، وحق من حقوقه لا سبيل إلى تعطيله. قالت أم الغلام: واحدي وكادِّي وكاسبي. قال: بئس الواحد واحدك، وبئس الكادُّ كادُّكِ، وبئس الكاسب كاسبك. يا غلام اقطع، فقالت أم السارق: يا أمير المؤمنين، أما لك ذنوب تستغفر اللّه منها؟ قال: بلى. قالت: هبه لي، واجعل هذا من ذنوبك التي تستغفر اللّه منها.

[٦٠٢] ـ وقد رويت لنا هذه الحكاية عن عبد الملك بن مروان، فإنه أتي بسارق وثبتت عليه البينة، فأنشد هذا الشعر، وقالت أمه هذا الكلام، فقال: خلوا سبيله.

[٦٠٣] ـ أنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي:

وَسَائلةٍ عَنْ رَكْب حَسّان كلِّهِمْ لِيَبْلُغَ حسّانَ بْنَ زَيْدٍ سُؤَالُها

قال: وهي تحب حسان، فكرهت أن تخصه، فسألت عن الركب جميعاً حتى صارت إليه.

[٦٠٤] ـ قال هارون بن عبد الملك بن المأمون: لما عرضت الخيزران على المهدي قال لها: واللّه يا جارية إنك لعلى غاية المتمنى، ولكنك حمشة الساقين، فقالت: يا أمير المؤمنين، إنك أحوج ما يكون إليهما لا تراهما، فقال: اشتروها، فحظيت عنده، فأولدها موسى وهارون.

[٦٠٥] ـ وحكى أبو بكر الصولي أن المهدي اشترى جارية فاشتد شغفه بها، وكانت به أشغف، وكانت تتجافاه كثيراً، فدس إليها من عرف ما في نفسها، فقالت: أخاف أن يملني ويدعني فأموت، فأنا أمنع نفسي بعض لذتها منه لأعيش، فقال المهدي:

ظَفَرَتْ بِالقَلْب منّي غَادَةٌ مِثْلُ الهِلَالِ

كُلّما صَحَّ لهَا وُدِّي جَاءَتْ بِاعْتِلَالِ

لا تـحـبّ الـهَـجْـرَ مـنّـي والـتـنـائـي عَـنْ وِصَـالِـي
بَـلْ لـمـأمـنِـهـا عَـلَـى حُـبِّـي لَـهـا خَـوْفَ الـمَـلَالِ

[٦٠٦] ـ قال أبو نواس: استقبلتني امرأة، فأسفرت عن وجهها، فكانت على غاية الحسن، فقالت: ما اسمك؟ قلت: وجهك. فقالت: أنت الحسن إذن.

[٦٠٧] ـ حدّثنا رجل من تغلب قال: كان فينا رجل له ابنة شابة، وكان له ابن أخ يهواها وتهواه، فمكثا كذلك دهراً، ثم إن الجارية خطبها بعض الأشراف فأرغب في المهر، فأنعم أبو الجارية، واجتمع القوم للخطبة، فقالت الجارية لأمها: يا أماه، ما يمنع أن يزوجني من ابن عمي؟ قالت: أمر كان مقضياً. قالت: واللّه ما أحسن رباه صغيراً، ثم تدعوه كبيراً، ثم قالت لها: يا أماه، إني واللّه حامل، فاكتمي إن شئت أو نوحي، فأرسلت الأم إلى الأب، فأخبرته الخبر، فقال: اكتمي هذا الأمر، ثم خرج إلى القوم، فقال: يا هؤلاء إني كنت أجبتكم، وإنه قد حدث أمر رجوت أن يكون فيه الأجر وأنا أشهدكم أني قد زوجت ابنتي فلانة من ابن أخي فلان، فلما انقضى ذلك قال الشيخ: أدخلوها عليه، فقالت الجارية: هي بالرحمن كافرة إن دخل عليها من سنة أو تبين حملها. قال: فما دخل عليها إلّا بعد حول، فعلم أبوها أنها احتالت عليه.

[٦٠٨] ـ قال الصولي: قال العتبي: رأيت امرأة أعجبتني صورتها، فقلت: ألك بعل؟ قالت: لا. قلت: أفترغبين في التزويج؟ قالت: نعم، ولكن لي خصلة أظنك لا ترضاها. قلت: وما هي؟ قالت: بياض برأسي. قال: فثنيت عنان فرسي وسرت قليلاً، فنادتني: أقسمت عليك لتقفن، ثم أتت موضعاً خالياً، فكشفت عن شعر كأنه العناقيد السوناي، فقالت: واللّه ما بلغت العشرين، ولكنني عرّفتك أنا نكره منك ما تكره منا. قال: فخجلت وسرت وأنا أقول:

فَجَعلتُ أطلبُ وَصْلَها بتملُّقِ والشَّيْبُ يغمزُها بأَنْ لا تَفْعَلي

[٦٠٩] ـ حدّثنا العتبي قال: قال رجل من ولد علي عليه السلام لامرأة: أمرك بيدك ثم ندم، فقالت: أما واللّه لقد كان بيدك عشرين سنة، فأحسنت حفظه وصحبته فلن أضيعه إذا كان بيدي ساعة من نهار، وقد رددته إليك، فأعجب بذلك من قولها وأمسكها.

[٦١٠] ـ قال: أراد شعيب أن يتزوج امرأة، فقال لها: إني سيّئ الخلق. فقالت: أسوأ منك خلقاً من أحوجك أن تكون سيئاً. قال: أنتِ امرأتي.

[٦١١] ـ قال: سمعت الفضل بن إبراهيم يقول: مرّ شاعر بنسوة فأعجبه شأنهن، فجعل يقول:

إنَّ النِّساءَ شَياطِينٌ خُلِقْنَ لَنا نَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّياطِينِ

قال: فأجابته واحدة منهن وجعلت تقول:

إنَّ النِّسَاءَ رَياحِينٌ خُلِقْنَ لَكُمْ وَكُلّكُم يَشْتَهِي شَمّ الرّياحينِ

[٦١٢] ـ قال أبو عبد اللّه محمد بن العباس اليزيدي: كان لرجل من الأعراب ابنة، وكان له غلام، فراودها عن نفسها، فواعدته الليل، وأعدت له شفرة وحدتها، فلما جاءها للميعاد، فجبته فخرج يعوي، فسمعه مولاه. فقال: من فعل بك؟ قال: ابنتك. فدخل عليها، فقال: ما صنعت بهذا الغلام؟ فقالت: يا أبت؛ إن العبد من نوكه يشرب من سقاء لم يوكه، ومن ورد غير مائه صدر بمثل دائه. فقال لها: لا شللاً.

[٦١٣] ـ قال الشرقي بن فطامي: كان شن من دهاة العرب، فقال: واللّه لأطوفن حتى أجد امرأة مثلي، فأتزوجها، فسار حتى لقي رجلاً يريد قرية يريدها شن، فصحبه، فلما انطلقا قال له شن: أتحملني أم أحملك؟ فقال الرجل: يا جاهل، كيف يحمل الراكب الراكب، فسار حتى رأيا زرعاً قد استحصد فقال شن: أترى هذا الزرع قد أكل أم لا؟ فقال: يا جاهل، أما تراه قائماً. فمرّا بجنازة فقال: أترى صاحبها حياً أو ميتاً؟ فقال: ما رأيت أجهل منك. أتراهم حملوا إلى القبور حياً.

ثم سار به الرجل إلى منزله، وكانت له ابنة تسمى طبقة، فقص عليها القصة، فقالت: أما قوله أتحملني أم أحملك، فأراد تحدّثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا، وأما قوله: أترى هذا الزرع قد أكل أم لا، فأراد باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا، وأما قوله في الميت، فإنه أراد أترك عقباً يحيا به ذكره أم لا، فخرج الرجل فحادثه، ثم أخبره بقول ابنته، فخطبها إليها فزوجه إياها، فحملها إلى أهله، فلما عرفوا عقلها ودهاءها، قالوا: وافق شن طبقة(١).

[٦١٤] ـ قال: حدّثني أبو محمد بن داسته أن رجلاً اعترض جارية في الطريق فقال لها: أبيدك صنعة؟ قالت: لا، ولكن برجلي تعني أنها رقاصة.

[٦١٥] ـ قال المحسن: وحدّثني أنه سمع امرأة تخاصمت مع زوجها،

(١) انظر «مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ٣٥٩/ ٤٣٤٠).

فقالت له: طلقني. فقال لها: أنت حبلى حتى إذا ولدت طلقتك. قالت: ما عليك منه. قال: فأيش تعملين به؟ قالت: أقعده على باب الجنة فقاعي، فقلت لعجوز كانت تتوسط بينهما: إيش معنى هذا؟ قالت: تريد أنها تشرب ماء السداب وتتحمل سداباً عليه أدوية لتسقط، فيلحق الصبي بالجنة، فيكون كالفقاعي.

[٦١٦] ـ قال أبو بكر بن الأزهر: حدّثني بعض إخواني أن رجلاً كان بالأهواز، وكان له ثروة ونعمة وأهل، فسار إلى البصرة مرة، فتزوج بها، فكان يأتي تلك المرأة في السنة مرة أو مرتين، وكان للبصرية عم يكاتبه، فوقع كتاب منه في يد الأهوازية، فعلمت الحال، فكتبت إليه: من حميه البصري بأن امرأتك قد ماتت، فالحق، فقرأه ثم أخذ في إصلاح أمره ليخرج، فقالت الأهوازية: إني أراك مشغول القلب، وأظن أن لك بالبصرة امرأة، فقال: معاذ اللّه، قالت: لا أقنع بقولك دون يمينك، فتحلف بطلاق كل امرأة لك غائبة أو حاضرة، فحلف لها ظناً أن تلك قد ماتت، فقالت له: لا حاجة لك في الخروج، فإن تلك بانت وهي في الحياة.

[٦١٧] ـ قال علي بن الجهم: اشتريت جارية، فقلت لها: ما أحسبك إلا بكراً فقالت: يا سيدي، كثرت الفتوح في زمان الواثق.

وقلت لها ليلة: كم بيننا وبين الصبح؟ قالت: عناق مشتاق، ونظرت إلى الشمس كاسفة، فقالت: احتشمت محاسني، فانتقبت.

وقلت لها ليلة: نجعل مجلسنا الليلة في القمر، فقالت: ما أولعك بالجمع بين الضرائر، وكانت تكره الحلي وتقول: تستر المحاسن كما تغطي القبائح.

[٦١٨] ـ عرض على المتوكل جارية، فقال لها: أبكراً أنت أم إيش؟ فقالت: أم إيش يا أمير المؤمنين، فضحك وابتاعها.

[٦١٩] ـ وضع المعتضد رأسه في حجر بعض جواريه، فجعلت تحت رأسه مخدة ونهضت، فلما انتبه قال: لم فعلت ذاك؟ وأكبره، فقالت: كذا علمنا أن لا يقعد قاعد بحضرة من ينام، ولا ينام بحضرة قاعد، فاستحسن المتعضد ذلك منها واستعقلها.

[٦٢٠] ـ بلغنا عن غريب، وكان يقال إنها ابنة جعفر بن يحيى البرمكي، وكانت مغنية ذكية شاعرة اشتراها المعتصم بمائة ألف وأعتقها، فكتبت إلى بعض الناس: أردت ولولا ولعلي، فكتبت تحت «أردت» ليت، وتحت «لولا» ماذا، وتحت «لعلي» أرجو، فمضت إليه.

[٦٢١] ـ قال أبو الحسن بن هلال الصابي: حدّثنا أبو محمد الحارثي قال: كان عندنا بواسط رجل موسر يقال له أبو محمد، وكانت عنده مغنية تغني:

خليليَّ هيا نصطبحْ بسِوادِ

فقال لها: باللَّه غني لي:

خليليَّ هيا نَصْطَبِحْ بسُهادِ

فقالت له: إذا عزمت فوحدك.

[٦٢٢] ـ وقال أبو حنيفة: خدعتني امرأة أشارت إلى كيس مطروح في الطريق، فتوهمت أنه لها، فحملته إليها، فقالت: احتفظ به حتى يجيء صاحبه.

[٦٢٣] ـ لما قتل كسرى وزيره بزرجمهر أراد أن يتزوج ابنته، فقالت للثقات: لو كان ملككم حازماً لما دخل بين شعاره ودثاره، فصارت قولةً مأثورة.

[٦٢٤] ـ قال رجل لجارية أراد شراءها: لا يريبك هذا الشيب الذي ترينه فإن عندي قرة عين، فقالت الجارية: أيسرك أن عندك عجوزاً مغتلمة.

[٦٢٥] ـ قال ابن المبارك بن أحمد: خرج رجل على سبيل الفرجة، فقعد على الجسر، فأقبلت امرأة من جانب الرصافة متوجهة إلى الجانب الغربي، فاستقبلها شاب، فقال لها: رحم اللَّه علي بن الجهم، فقالت المرأة في الحال: رحم اللَّه أبا العلاء المعري وما وقفا ومرا مشرقاً ومغرباً، فتبعت المرأة وقلت لها: إن لم تقولي ما قلتما، وإلا فضحتك وتعلقت بك، فقالت: قال لي الشاب: رحم اللَّه علي بن الجهم أراد به قوله:

عيونُ المَهَا بين الرصافَة والجِسْرِ جَلَبْنَ الهَوى مِنْ حيثُ أدري ولا أَدري

وأردت أنا بترحمي على المعري قوله:

فيا دارها بالحُزْن إنّ مَزارها قريبٌ ولٰكِنْ دونَ ذلك أهوالُ

[٦٢٦] ـ قال ابن الزبير لامرأة من الخوارج: أخرجي المال من تحت استك، قال: فالتفتت إلى من بحضرتها وقالت: أنشدكم اللَّه! أهذا من كلام الخلفاء؟ قالوا: لا. قالت لابن الزبير: كيف ترى هذا الخلع الخفي.

[٦٢٧] ـ قال المتنبي: قال لي رجل من الهاشميين: كتبت إلى امرأتي وأنا في السفر كتاباً تمثلت فيه ببيت لك:

بِمَ التَّعلُّلُ لا أَهْلٌ ولَا وَطَنُ ولا نَدِيمٌ ولا كَأْسٌ ولا سَكَنُ

فكتبت إليَّ: واللّه ما أنت كما ذكرته في هذا البيت، بل أنت كما قال الشاعر:

سَهِرْتُ بَعْدَ رحيلي ووحْشَةٌ لَكُمُ ثم استمرّ مريري وارْعَوى الوَسَنُ

[٦٢٨] ـ ونقلت من خط الشيخ أبي الوفاء بن عقيل قال: كان بعض قضاة الحنفية من مذهبه أنه إذا ارتاب بالشهود فرقهم، فشهد عنده رجل وامرأتان فيما يشهد فيه النساء، فأراد أن يفرق بين المرأتين على عادته، فقالت إحداهما: أخطأت لأن اللّه تعالى قال: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. فإذا فرقت زال المعنى الذي قصده الشرع، فأمسك.

[٦٢٩] ـ ذكر أن رجلاً دعا المبرد بالبصرة مع جماعة، فغنت جارية من وراء الستار، وأنشأت تقول:

وَقَالُوا لَهَا هٰذَا حَبِيبُكِ مُعْرِضٌ فَقَالَتْ أَلَا إِعْرَاضُهُ أَيْسَرُ الخَطْبِ
فَمَا هِيَ إِلَّا نَظْرَةٌ بِتَبَسُّمٍ فَتَصْطَكُّ رِجْلاهُ وَيَسْقُطُ لِلْجَنْبِ

فطرب كل من حضر إلّا المبرد، فقال له صاحب المجلس: كنت أحق الناس بالطرب، فقالت الجارية: دعه يا مولاي، فإنه سمعني أقول: «هذا حبيبك معرضاً»، فظنني لحنت، ولم يعلم أن ابن مسعود قرأ: وهذا بعلي شيخاً. قال: فطرب المبرد إلى أن شق ثوبه.

[٦٣٠] ـ قال بعضهم: حضرت رفيقتين، وكانت إحداهما تعبث بكل من تقدر عليه، والأخرى ساكتة، فقلت للساكتة: رفيقتك هذه ما تستقر مع واحد، فقالت: نعم، وهي تقول بالسنة والجماعة، وأنا أقول بإثبات القدر.

[٦٣١] ـ غضب المأمون يوماً على عبد اللّه بن طاهر، فأراد طاهر أن يقصده، فورد عليه كتاب من صديق له مقصور على السلام، وفي حاشيته «يا موسى». فجعل يتأمله، ولا يعلم معنى ذلك، فقالت له جارية، وكانت فطنة أراد: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠]. فتيقظ عن قصد المأمون.

[٦٣٢] ـ عرض على رجل جاريتان بكر وثيب، فمال إلى البكر، فقالت الثيب: رغبت فيها وما بيني وبينها إلّا يوم؟ فقالت البكر: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]. فأعجبتاه فاشتراهما.

[٦٣٣] ـ قال: خاصمت امرأة زوجها في تضييقه عليها وعلى نفسه، فقالت: واللّه ما يقيم الفأر في بيتك إلا لحب الوطن، وإلّا فهو يسترزق من بيوت الجيران.

[٦٣٤] ـ قال الجاحظ: قلت لجارية ببغداد: أبكر أنت؟ فقالت: نعوذ باللّٰه من الكساد! يعني الثيوبة.

[٦٣٥] ـ جاءت دلّالة إلى قوم، فقالت: عندي زوج يكتب بالحديد ويختم بالزجاج فرضوا به وزوجوه فإذا هو حجام.

[٦٣٦] ـ قالت دلّالة لرجل: عندي امرأة كأنها طاقة نرجس، فتزوجها، فإذا هي عجوز قبيحة، فقال: كذبت عليَّ وغششتِنِي، فقالت: لا واللّٰه ما فعلت، وإنما شبهتها بطاقة نرجس، لأن شعرها أبيض ووجهها أصفر وساقها أخضر.

[٦٣٧] ـ أعطت امرأة جاريتها درهماً، وقالت: اشتري هريسة، فرجعت، فقالت: يا سيدتي، سقط الدرهم مني، فضاع: فقالت: يا فاعلة تكلميني بفمك كله وتقولين ذهب الدرهم، فأمسكت الجارية نصف فمها بيدها، وقالت بالنصف الآخر: وانكسرت يا سيدتي الزبدية.

[٦٣٨] ـ كان رجل يقف تحت روشن امرأة، وهي تكره وقوفه، قالت: فجاء في بعض الأيام وعليه قميص ديبقي قد غسله عند المطري، وسقاه نشاء وتحته قميص رومي قالت: وكان للناس أترج سوسي في الأترجة ثلاثون رطلاً، فأخرجت بطيخة وأشارت إليه: تعال خذ هذه، فجاء فوقف تحت الروشن، فقالت: أمسك حجرك صلباً حتى لا يقع فتنكسر، فلزم حجره، فأخرجت البطيخة كأنها ترمي بها، وأخذت أترجة، فرمت بها في حجره، فلم يردها شيء سوى الأرض، فجمعه وهرب مستحِياً وما عاد بعدها.

[٦٣٩] ـ بكت عجوز على ميت، فقيل لها: بماذا استحق هذا منك؟ فقالت: جاورنا وما فينا إلا من تحل له الصدقة، ومات وما منا إلا من تجب عليه الزكاة.

[٦٤٠] ـ كانت جارية لبعض الأكابر وكانت عفيفة، إلَّا أنها كانت تفحش في مجونها، فقال لها مولاها: اقصري من هذا الفحش بمحضر من الرجال، فقالت: أَفحش منه عندهم أخذك دراهمهم بسببي.

وقال لها بعض الحاضرين، وكان شيخاً:

يا أَحْسَنَ النّاسِ وجْهاً   مُنّي عَلَيَّ بِقُبْلَهْ

فأجابت مسرعة:

يا أَسْمَج النّاسِ وَجْهاً   وأسْخَنَ الخَلْقِ مُقْلَهْ
إذا سَمَحْتُ لِمَا رُمْـ   ـتَهُ فإنّي بِذِلَّهْ

وكــيْــفَ يــوجــدُ بــيــن الـــ ـحِـمَـارِ والـخِـشْـفِ وصْـلَـهْ
فـلا تَـطُـفْ بـالـغَـوانـي فـمـا يُـرِذْنَـك خَـمْـلَـهْ
وكــلّ شــيــخ تــصــابَــى عــلــى الـصّـبَـايـا فـأَبْـلَـهْ

[٦٤١] ـ قال رجل لجارية أراد شراءها، فسألها عن ثمنها فقال: يا جارية، كم دفعوا فيك؟ فقالت: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

[٦٤٢] ـ قال: حدّثني أبو القاسم عبد اللَّه بن محمد الكاتب قال: حدّثني بعض الأشراف بالكوفة أنه كان بها رجل حسني يعرف بالأدرع، شديد القلب جداً. وكان في خرائب الكوفة شيء يظهر للمجتازين فيه نار يطول تارة ويقصر أخرى، يقولون: هو غولة يفزع منه الناس، فخرج الأدرع ليلة راكباً في بعض شأنه. قال لي الأدرع: فاعترض لي السواد والنار، فطال الشخص في وجهي، فأنكرته ثم رجعت إلى نفسي، فقلت أما شيطان وغولة فهوس، وليس إلّا إنساناً، فذكرت اللَّه تعالى وصليت على نبيه ﷺ، وجمعت عنان الفرس وقرعته بالمقرعة وطرحته على الشخص، فازداد طوله وعظم الضوء فيه، فنفر الفرس، فقرعته فطرح نفسه عليه، فقصر الشخص حتى عاد على قدر قامة، فلما كاد الفرس يخالطه ولّى هارباً، فحركت خلفه، فانتهى إلى خربة، فدخلها، فدخلت خلفه، فإذا هو قد نزل سرداباً فيها، فنزلت عن فرسي وشددته، ونزلت وسيفي مجرد، فحين حصلت في السرداب أحسست بحركة الشخص يريد الفرار مني، فطرحت نفسي عليه، فوقعت يدي على بدن إنسان، فقبضت عليه فأخرجته، فإذا هي جارية سوداء، فقلت: أي شيء أنت وإلا قتلتك الساعة؟ قالت: قبل كل شيء أنت إنسي أم جني، فما رأيت أقوى قلباً منك قط؟ فقلت: أي شيء أنت؟ قالت: أمة لآل فلان قوم بالكوفة أَبَقْتُ منهم سنين، فتغربت في هذه الخربة، فولد لي الفكر أن أحتال بهذه الحيلة وأوهم الناس أني غولة حتى لا يقرب الموضع أحد، وأتعرض ليلاً للأحداث، وربما رمى أحدهم منديلاً أو إزاراً، فآخذه فأبيعه نهاراً وأقتات به أياماً، قلت: فما هذا الشخص الذي يطول ويقصر، والنار التي تظهر؟ قالت: كساء معي طويل أسود، فأخرجته من السرداب وقضبان مهندية أدخل بعضها في بعض في الكساء، وأرفعه فيطول، فإذا أردت تقصيره رفعت من الأنابيب واحدة واحدة فيقصر، والنار فتيلة شمع معي في يدي لا أخرج إلا رأسها مقدار ما يضيء الكساء، وأرتني الشمعة والكساء والأنابيب، ثم قالت: قد جازت هذه الحيلة نيفاً وعشرين سنة، واعترضت فرسان الكوفة وشجعانها، وكل أحد، فما أقدم أحد علي غيرك، ولا رأيت أشد

قلباً منك، فحملها الأدرع إلى الكوفة، فردها إلى مواليها، فكانت تحدث بهذا الحديث، ولم يُرَ بعد ذلك أثر غولة، فعلم أن الحديث حق.

[٦٤٣] ـ قال أبو حامد الخراساني القاضي: بنى ابن عبد السلام الهاشمي بالبصرة داراً كبيرة، ولم يتم له تربيعها إلَّا بسكن لطيف كان لعجوز في جواره امتنعت من بيعه، فبذل لها أضعاف ثمنه، فأقامت على الامتناع، فشكا إلي ذلك، فقلت: هذا أيسر الأمر. أنا أوجب عليها بيعه فأضطرها إلى أن تسألك وزن الثمن، ثم استدعيتها، فقلت: يا هذه، إن قيمة دارك دون ما دفع لك وقد ضاعفها أضعافاً، فإن لم تقبليه حجرت عليك، وإن هذا تضييع منك، فقالت: جعلت فداك، فهلا كان هذا الحَجْر منك على من يزن فيما يساوي درهماً عشرة وتركت منزلي، فما أختار بيعه، فانقطعت في يدها.

[٦٤٤] ـ قال: نزل رجل من أهل الحجاز مللاً فسأل: أي ماء هذا؟ فقيل له: ملل، وإذا بين يديه صبية سوداء تلفظ العجم تريد النوى، فقال: قاتل اللَّه الذي يقول:

أخذتُ على ماءِ الشّعيرةِ والهَوَى ... على مَللٍ يا لَهْفَ قَلبي على مَلَلْ

فقالت: أي بأبي إنه واللَّه كان له بها شجن لم يكن لك.

[٦٤٥] ـ قال المبرد: كان يسار الكواعب عبداً لأناس من بني الحارث بن سعد بن قضاعة، وكان راعياً في إبلهم، فبعث ببعض نسائهم، وكان أسود، فخدعته امرأة منهم، وأرته أنها قد قبلته وواعدته ليوم، فعلم به بعض أصحابه من الرعاء فنهاه عنها، وقال له: يا يسار، كُلْ من لحم الجوار، واشرب من لبن العِشَار، ودع عنك بنات الأحرار، فقال له يسار: إني إذا جئتها زحكت ـ أراد ضحكت ـ ولاعبتني. فأتاها في اليوم الذي واعدته فيه، فقالت: مكانك حتى أطيبك، فعمدت إليه، فجدعت أنفه وأذنه، فرجع إلى صاحبه الذي كان نهاه، فأنكره، فقال: من أنت ويلك؟ قال: يسار. قال: فيسار كان لا أنف له ولا أذنين؟ قال: أفما ترى ويحك وبيص العينين؟ فذهبت مثلاً وسمي يسار الكواعب.

وممّن ذكره جرير حين تزوج الفرزدق إحدى نساء بني شيبان، وزاد في مهرها، فعيّره جرير بذلك فقال:

وإنّي لأخشى إن خطبْتَ إليهمُو ... عَليْك الّذي لَاقى يَسَارُ الكَواعبِ

[٦٤٦] ـ قال ابن قتيبة: جاءتني جارية بهدية، فقلت لها: قد علم مولاك إني لا أقبل الهدية. قالت: ولم؟ قلت: أخشى أن يستمد مني علماً لأجل هديته،

فقالت: استمد الناس من رسول اللّه ﷺ أكثر، وقد كان يقبل الهدية، فقبلتها، فكانت الجارية أفقه مني.

[٦٤٧] ـ قال: وبلغنا أن رجلاً ابتلي بمحبة امرأة، فأتى أبا حنيفة، فأخبره أن ماله قليل، وأنهم إن علموا بذلك لم يزوجوه، فقال له أبو حنيفة: أتبيعني إحليلك باثني عشر ألف درهم؟ قال: لا. قال: فأخبر القوم أني أعرفك، فمضى فخطبها، فقالوا: من يعرفك، فقال: أبو حنيفة، فسألوا أبا حنيفة عنه، فقال: ما أعرفه إلَّا أنه حضر عندي يوماً فساوم في سلعة له باثني عشر ألف درهم، فلم يبع، فقالوا: هذا يدل على أنه ذو مال، فزوجوه، فلما تيقنت المرأة حاله قالت: لا يضيق صدرك وهذا مالي بحكمك، ثم مضت إلى أبي حنيفة في حليها وحللها فقالت: فتوى، فدخلت فأسفرت عن وجهها. فقال: تستري، فقالت: ما يمكن قد وقعت في أمر لا يخلصني منه إلَّا أنت. أنا بنت هذا البقال الذي على رأس الدرب، وقد بلغت عمراً واحتجت إلى الزوج وهو لا يزوجني، ويقول لمن يخطبني: ابنتي عوراء قرعاء شلاء، ثم حسرت عن وجهها ورأسها ويديها. ويقول: ابنتي زمنة وكشفت عن ساقيها وأريد أن تدبرني، فقال: ترضين أن تكوني لي زوجة؟ فقبّلت قدميه، وقالت: من لي بغلامك، فقال: امضي في دعة اللّه، فخرجت، فحضر البقال ودفع إليه خمسين ديناراً وقال: زوجني ابنتك، فكتب كتاباً بمائة دينار، فقال البقال: يا سيدي، استر ما ستر اللّه أنا لي بنت أزوجك. قال: دع هذا عنك رضيت بابنتك القرعاء الشلاء الزمنة، فزوجه على المائة والخمسين ومضى، فحدث زوجته فقالت: واللّه لا كان إلا يكون هذا على يد أبي حنيفة، فلما كان عشية تلك الليلة أجلسها أبوها في صن وحملها بينه وبين غلامه، فلما رآها أبو حنيفة قال: ما هذا؟ فقال البقال: أشهد على أمها إن كانت لي بنت غيرها، فقال أبو حنيفة: هي طالق ثلاثاً أعد عليَّ الكتاب، ثم جاءت تلك المرأة إليه، فقال: ما حملك على ما فعلت؟ فقالت: وأنت ما حملك على أن غررتنا برجل فقير.

[٦٤٨] ـ قال أبو الحسن البيبي مؤذن المسترشد باللّه قال: حدّثني بعض التجار المسافرين قال: كنا نجتمع من بلاد شتى في جامع عمرو بن العاص نتحدث، فبينما نحن جلوس يوماً نتحدث، وإذا بامرأة بقربنا في أصل سارية، فقال لها رجل من التجار من البغداديين: ما شأنك؟ فقالت: أنا امرأة وحيدة غاب عني زوجي منذ عشر سنين، ولم أسمع له خبراً، فقصدت القاضي ليزوجني، فامتنع وما ترك لي زوجي نفقة، وأريد رجلاً غريباً يشهد لي هو وأصحابه أن زوجي مات أو

طلقني لأتزوج أو يقول: أنا زوجها، ويطلقني عند القاضي لأصبر مدة العدة، وأتزوج، فقال لها الرجل: تعطيني ديناراً حتى أصير معك إلى القاضي وأذكر له أني زوجك، وأطلقك، فبكت وقالت: واللَّه ما أملك غير هذه، وأخرجت أربع رباعيات، فأخذها منها ومضى معها إلى القاضي، وأبطأ علينا، فلما كان من الغد لقيناه، فقلنا: ما أبطأك؟ فقال: دعوني فإني حَصَلْتُ في أمرٍ ذِكْرُه فضيحة. قلنا: أخبرنا. قال: حضرت معها إلى القاضي فادعت عليَّ الزوجية والغيبة عشر سنين، وسألت أن أخلي سبيلها، فصدقتها على ذلك، فقال لها القاضي: أتبرئينه؟ قالت: لا واللَّه، لي عليه صداق ونفقة عشر سنين، وأنا أحق بذلك، فقال لي القاضي: أدِّها حقها ولك الخيار في طلاقها أو إمساكها، فورد عليَّ ما بلسني، ولم أتجاسر أن أحكي صورتي معها، فلا أُصدَّق، فتقدم القاضي بتسليمي إلى صاحب الشرطة، فاستقر الأمر على عشرة دنانير أخذتها مني وغرمت للوكلاء وأعوان القاضي الأربع رباعيات التي أعطتني، ومثلها من عندي، فضحكنا منه، فخجل وخرج من مصر، فلم يعرف له خبر.

[٦٤٩] ـ قال: ونقل من خط الشيخ أبي الوفاء بن عقيل قال: حكى لي بعض الأصدقاء أن امرأة جلست على باب دكان بزارٍ أعزب إلى أن أمست، فلما أراد غلق الدكان تراءت له، فقال لها: ما هذا المساء؟ فقالت: واللَّه ما لي مكان أبيت فيه. فقال لها: تمضين معي إلى البيت؟ فقالت: نعم، فمضى بها إلى بيته، وعرض عليها التزويج، فأجابت فتزوجها، وبقيت عنده أياماً، وإذا قد جاء في اليوم الرابع رجل ومعه نسوة، فطلبوها، فأدخلهم وأكرمهم، وقال: من أنتم منها؟ فقالوا: أقاربها ابن عم وبنات عم، وقد سررنا بما سمعنا من الوصلة غير أنا نسألك أن تتركها تزورنا لعرس بعض أقاربنا، فدخل إليها. فقالت: لا تجبهم إلى ذلك واحلف بطلاقي إنك لا خرجت من داري شهراً ليمضي زمن العرس، فإنه أصلح لي ولك، وإلا أخذوني وأفسدوا قلبي عليك، فإني كنت غضبى وتزوجت إليك بغير مشاورتهم، ولا أدري من قد دلهم إليك، فخرج فحلف كما ذكرت له فخرجوا مأيوسين، وأغلق الباب وخرج إلى الدكان وقد علق قلبه بالمرأة، فخرجت ولم تستصحب من الدار شيئاً، فجاء فلم يجدها، فقال قائل: ترى ما الذي قصدت؟ قال أبو الوفاء: لعلها مستحلة به لأجل زوج طلقها ثلاثاً، فليتخوف الإنسان من مثل هذا، وليطلع به على غوامض حيل الناس.

* * *

فيما ذكر
عن الحيوان البهيم مما يشبه كلام الآدميين

[٦٥٠] ـ أخبرنا أبو سعيد، عن أبي هريرة، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن في أحد جناحي الذباب داء وفي الآخر شفاء وإنه ليبقى بالذي فيه الداء فإذا وقع في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم لينزعه**»(١).

[٦٥١] ـ وعن أبي صالح، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**أن رجلاً كان يبيع الخمر في سفينة، وكان يشوبه بالماء، وكان معه في السفينة قرد، فأخذ القرد الكيس الذي فيه الدنانير، فصعد ذروة الدقل، ففتح الكيس، فجعل يلقي في البحر ديناراً وفي السفينة ديناراً حتى لم يبق فيه شيء**»(٢).

[٦٥٢] ـ قال محمد بن ناصر: قدم رجل على بعض السلاطين، وكان معه عامل أرمينية منصرفاً إلى منزله، فمر في طريقه بمقبرة، وإذا قبر عليه قبة مبنية مكتوب عليها: هذا قبر الكلب، فمن أحب أن يعلم خبره فليمض إلى قرية كذا وكذا، فإن فيها من يخبره، فسأل الرجل عن القرية، فدلوه عليها، فقصدها وسأل أهلها، فدلوه على شيخ قد جاوز المائة، فسأله، فقال: كان في هذه الناحية ملك عظيم الشأن، وكان مشتهراً بالنزهة والصيد والسفر، وكان له كلب قد ربّاه لا يفارقه، فخرج يوماً إلى بعض متنزَّهاته، وقال لبعض غلمانه: قل للطباخ يصلح لنا ثردة لبن فقد اشتهيتها، فأصلحوها ومضى إلى متنزَّهه، فوجه الطباخ، فجاء بلبن وصنع له ثردة عظيمة، ونسي أن يغطيها بشيء، واشتغل بطبخ أشياء أخر، فخرج من بعض شقوق الحيطان أفعى فكرع في ذلك اللبن، ومج في الثردة من سمه والكلب رابض يرى ذلك كله، ولو كان في الأفعى حيلة لدفعها، وكان هناك جارية طفلة خرساء زمنة قد رأت ما صنع الأفعى، ووافى الملك من الصيد في آخر النهار، فقال: يا غلمان، أول ما تقدمون إليَّ الثردة، فلما وضعت بين يديه أومأت

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ١٨١) وأبو داود (٣٨٤٤) والنسائي (٧/ ١٧٩) وغيرهم.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٦، ٣٣٥، ٤٠٧) وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٢/ ١٠٤ ـ ١٠٥) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٨) وغيرهم، وانظر «الصحيحة» (رقم: ٢٨٤٤).

الخرساء إليه، فلم يفهم ما تقول، ونبح الكلب وصاح، فلم يلتفت إليه، ولجَّ في الصياح، فلم يعلم مراده، فأخذ ورمى إليه بما كان يرمي في كل يوم، فلم يقربه ولج في الصياح، فقال للغلمان: نحوه عنا، فإن له قصة ومد يده إلى اللبن، فلما رآه الكلب يريد أن يأكل ظفر إلى وسط المائدة، وأدخل فمه الغضارة وكرع من اللبن، فسقط ميتاً وتناثر لحمه، وبقي الملك متعجباً منه ومن فعله، فأومأت الخرساء إليهم، ففهموا مرادها بما صنع الكلب، فقال الملك لندمائه وحاشيته: إن من فداني بنفسه لحقيق بالمكافأة، وما يحمله ويدفنه غيري، فدفنه وبنى عليه قبة، وكتب عليها ما قرأت.

[٦٥٣] ـ قال أبو عثمان المدائني: كان في جوارنا ببغداد رجل يلعب بالكلاب، فأسحر يوماً في حاجة ومعه كلب كان يختص به من كلابه، فرده، فلم يرجع، فمشى حتى انتهى إلى قوم كان بينه وبينهم عداوة، فصادفوه فقبضوا عليه، والكلب يراهم، فخرج الكلب وقد لحقته جراحة، فجاء إلى بيت صاحبه يعوي، وافتقدت أم الرجل ابنها، فأثبتت أن الجراح التي بالكلب من فعل من قتل ابنها، وأنه قد تلف، فأقامت عليه المأتم، فطردت الكلاب عن بابها، فلزم ذلك الكلب طلب القاتل، فاجتاز القاتل وهو رابض، فعرفه فنهشه وعلق به، فاجتهد المجتازون في تخليصه منه، فلم يمكنهم، وارتفعت ضجة وجاء حارس الدرب، فقال: إنه لم يعلق هذا الكلب بالرجل إلا وله معه قضية، ولعله الذي جرحه، وخرجت أم القتيل، فرأت الكلب متعلقاً بالرجل، وسمعت كلام الحارس، فذكرت بأن هذا الرجل ممن كان يعادي ابنها، فوقع في نفسها أنه قاتله، فتعلقت وادعت عليه القتل، وارتفعا إلى صاحب الشرطة فحبسه بعد أن ضرب ولم يقر، ولزم الكلب باب الحبس، فلما كان بعد أيام أطلق الرجل، فلما خرج علق به الكلب، ففرّق بينهما وما زال يسعى خلفه ويصيح إلى أن دخل بيته، فدخل خلفه ومعه صاحب الشرطة من حيث لا يعلم، فكبس الدار، فأقبل الكلب بمخاليبه موضع القتيل، فنبش فوجد الرجل، فضرب المتهم، فأقر على نفسه وعلى الباقين، فقتل وصلبوا.

[٦٥٤] ـ وحدّثنا محمد بن الحسين بن شداد قال: رأيت رجلاً له كلب يقربه ويغطيه بديباج كان عليه، فسألته عن السبب، فقال: كان لي رفيق يعاشرني، فخرجنا في سفر، وكان في وسطي هميان فيه جملة دنانير، ومعي متاع كثير، فنزلنا في موضع، فعمد إليَّ فأوثقني كتافاً، ورمى بي في واد، وأخذ ما كان معي ومضى، وقعد هذا الكلب معي، ثم تركني ومضى، فما كان بأسرع من أن وافاني

ومعه رغيف، فطرحه بين يدي، فأكلته. ولم أزل أحبو إلى موضع فيه ماء، فشربت منه، ولم يزل الكلب معي باقي ليلتي، ثم نمت ففقدته، فما كان بأسرع أن وافاني ومعه رغيف فأكلته، فلما كان في اليوم الثالث غاب عني، فقلت: يمضي ويجيئني بالرغيف، فجاء ومعه الرغيف، فرمى به، فلم أستتم أكله إلا وابني يبكي على رأسي، وقال: ما تصنع ههنا، وما قصتك، ونزل وحل كتافي، وأخرجني، فقلت له: من أين علمت بمكاني ومن دلك عليّ؟ فقال: كان الكلب يأتينا في كل يوم فنطرح له الرغيف على اسمه، فلا يأكله وقد كان معك، فأنكرنا رجوعه ولست معه، وكان يحمل الرغيف بفمه ولا يذوقه ويغدو، فأنكرنا أمره، فاتبعته حتى وقفت عليك. فهذا خبري وخبر الكلب.

[٦٥٥] ـ قال: كان للحارث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم، فعبث أحدهم بزوجته، وأرسلها، وكان للحارث كلب قد رباه، فخرج الحارث في بعض منتزهاته وتخلف عنه ذلك الرجل، وجاء إلى زوجته فأقام عندها، فلما جامعها وثب الكلب عليهما، فقتلهما، فلما رجع الحارث نظر إليهما فعرف القصة، وترك من كان يعاشره، واتخذ كلبه نديماً، فتحدّث به العرب، فأنشأ يقول:

فَلَلْكَلْبُ خَيْرٌ مِنْ خَليلٍ يَخُونُني وَيَنْكِحُ عُرْسِي بَعْدَ وقْتِ رَحيلِي
سأَجْعَلُ كَلْبي ما حيِيتُ مُنَادِمِي وأمْنَحُه وُدِّي وَصَفْوَ خَلِيلِي

[٦٥٦] ـ وقال ابن عبيدة: خرج رجل من البصرة، فاتبعه كلب، فوثب بالرجل قوم، فجرحوه ورموه في بئر وحثوا عليه التراب، فلما انصرفوا أتى الكلب رأس البئر، فبحث حتى ظهر رأس الرجل، وفيه نفس يتردد، فمر قوم فأخرجوه حياً.

[٦٥٧] ـ قال ابن خلف: وحدّثني بعض أصدقائي قال: دخلت بستاناً ومعي كلبان لي قد ربيتهما، فنمت فإذا هما ينبحان، فانتبهت، فلم أر شيئاً أنكره، فعاودا النبح فضربتهما ونمت، فإذا بهما يحركاني بأيديهما وأرجلهما كما يوقظ النائم، فوثبت فإذا أسود سالخ قد قرب مني فوثبت فقتلته فكانا سبب سلامتي.

قالت الحكماء: ومن فطنة الكلب أنه إذا عاين الظباء قريبة كانت أو بعيدة عرف المعتل وغير المعتل والذكر من الأنثى، فلم يقصد الصيد فيها إلا الذكر، وإن علم أنه أشد عدواً وأبعد وثبة، ويدع الأنثى على نقصان عدوها؛ وسبب ذلك أنه قد علم أن الذكر إذا عدا شوطاً أو شوطين حقن ببوله، وهكذا كل حيوان إذا اشتد فزعه، فإنه يدركه الحقن، وإذا حقن الذكر لم يستطع البول مع شدة العدو، فيثقل

حينئذ عدوه ويقصر مدى خطاه، فيلحقه الكلب، وأما الأنثى فإنها تحذف بولها لسعة السبيل وسهولة المخرج، فتصير بذلك أدوم.

ومن فَهْم الكلب أنه إذا خرج الجليد والثلج، وقد تراكم على الأرض والكلاب لا تدري حينئذ أين كناس الظبي، وأين جحر الأرنب، فيفر الكلب وينظر، إلى أن يقف على تلك الجحرة، وظنين معرفته أن أنفاس الحيوانات وبخار أجوافها يذيب ما لاقى من فم الجحر من الثلج الجامد، حتى يرق وذلك خفي غامض لا يقع عليه إلا الكلب، وإن الكلب إذا ظفر بشخص لم ينجه منه إلَّا أن يقعد بين يديه ذليلاً، فحينئذ لا ينبحه لأنه يراه تحت قدرته فيسمه بميسم ذل.

[٦٥٨] ـ حدّثنا أبو بكر بن الحضنة، عن مؤدبه أبي طالب المعروف بابن الدلو، وكان رجلاً صالحاً يسكن نهر طابق أنه كان ليلة من الليالي قاعداً ينسخ. قال: وكنت ضيق اليد، فخرجت فأرة كبيرة، فجعلت تعدو في البيت، ثم خرجت أخرى وجعلا يلعبان وبين يديّ طاسة، فكفيتها على إحداهما، فجاءت الأخرى، فجعلت تدور حول الطاسة، وأنا ساكت، فدخلت السرب، فخرجت وفي فيها دينار صحيح وتركته بين يدي، فاشتغلت بالنسخ وقعدت ساعة تنتظر، ثم رجعت فجاءت بدينار آخر وقعدت ساعة إلى أن جاءت بأربعة أو خمسة وقعدت زماناً أطول من كل نوبة، ورجعت فأخرجت جلدة كانت فيها الدنانير وتركتها فوق الدنانير، فعرفت أنه ما بقي شيء، فرفعت الطاسة ففرتا، فدخلتا البيت وأخذت أنا الدنانير.

[٦٥٩] ـ قال محمد بن عجلان مولى زياد قال: دخل زياد مجلسه ذات يوم، فإذا هو بهرٌ في زاوية البيت، فذهبت أزجره، فقال: دعه فأرى ما له، ثم صلى الظهر، ثم عاد إلى مجلسه، ثم صلى العصر فعاد إلى مجلسه كل ذلك يلاحظ الهر، فلما كان قبل غروب الشمس خرج جرذ، فوثب عليه الهر، فأخذه، فقال زياد: من كانت له حاجة فليواظب عليها مواظبة الهر، فإنه يظفر بها.

[٦٦٠] ـ قال القاسم بن أبي طالب التنوخي: كنت ماضياً إلى الأنبار في رفقة بازيانية للسلطان، فأطلقوا بازاً على درَّاج، فطار، فلحق الدراج فانتهى الدرّاج إلى غيضة[1]، فدخلها فألقى نفسه بين شوك كان فيها، وأخذ من ذلك الشوك أصلين كبيرين في رجليه، ونام على قفاه ورفع رجليه، فاستتر بذلك من البازي، فلما قرب منه البازي طار، فصاده البازي، فقالوا: ما رأينا دراجاً قط أحذر من هذا.

---

(١) الغيضة: المكان الذي يكثر فيه الماء والكلأ.

قال المصنف: والعرب تقول: أحذر من غراب، وأحذر من عقعق، وأحذر من ذئب، ويزعمون أن الذئب يبلغ من حذره أنه يزاوج بين عينيه إذا نام، فيفتح إحداهما لتكون حارسه.

[٦٦١] ـ قال حميد بن هلال في الذئب:

يَنَامُ بإحْدى مُقْلَتَيْهِ ويتّقي بأُخرى الأعادي فَهْو يَقْظَانُ هَاجِعُ

قال العسكري: هذا محال لأن النوم يأخذ جملة الحي.

قال مؤلف الكتاب: أرادوا بذلك أن يغمض عيناً عند بداية النوم، ويفتح عيناً إلى أن يغلب عليه النوم، فيكون الكلام صحيحاً.

ويقولون: أحذر من ظليم، وهو ذكر النعام.

[٦٦٢] ـ روي عن ابن الأعرابي، عن هشام بن سالم قال: أكلت حية بيضة مكاء، فجعل المكاء يشرشر على رأسها، ويدنو منها حتى إذا فتحت فاها تريده، وهمّت به ألقى في فيها حسكة، فأخذت بحلقها حتى ماتت.

[٦٦٣] ـ وروينا أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام: أريد أن تكون في ضيافتي. قال سليمان: أنا وحدي؟ قال: لا. بل العسكر كله في جزيرة كذا في يوم كذا، فمضى سليمان إلى هناك، فصعد الهدهد إلى الجو، فصاد جرادة وخنقها، ورمى بها في البحر، وقال: يا نبي اللّه، إن كان اللحم قليلاً فالمرق كثير، فكلوا؛ من فاته اللحم ناله المرق، فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولاً كاملاً.

قلت: من أحوال الحيوان البهيم، وأفعاله الدّالة على الفطنة أن العصافير لا تقيم إلّا في دار مسكونة، فإن هجرها الناس لم تقم، وأما الهرة، فإنها تألف الدار وإن رحل أهلها، والكلب يرحل مع أهل الدار، ولا يلتفت إلى الدار، ومتى طرقت العصافير آفة استغاثت، فأغاثها كل عصفور يسمع إلا جاء، فيطيرون حول الفرخ ويحركونه بأفعالهم، فيحدثون له بذلك قوة وحركة حتى يطير معهم.

[٦٦٤] ـ قال بعض الصيادين: ربما رأيت العصفور على حائط، فأومي بيدي إلى الأرض، كأنني أتناول شيئاً، فلا يتحرك، فإن مسست بيدي حصاة طار قبل أن تتمكن منها يدي.

[٦٦٥] ـ **الحمام**: إذا علم الذكر أن الأنثى قد حملت اشتغل هو وهي بعمل العش، وأشخصا لها حروفاً تحفظ البيض، ثم سخناها ونفيا عنها طباعها، وأحدثا لها طبيعة أخرى مستخرجة من رائحة أبدانها، ثم يقلبان البيض في الأيام، فتأخذ البيضة نصيبها من الحضن، وساعات الحضن أكثرها على الأنثى كالمرأة التي تكفل

الحضانة، فإذا صار البيض فراخاً كان أكثر الزق على الذكر، ومتى انصدع البيض علما أن حواصل الفراخ لا تتسع للغذاء، فينفخان الريح في حلوقهما لتنتفخ الحوصلة وتتسع، ثم يعلمان أنه لا يصلح أن يزق الطعام، فيزقان اللعاب المختلف بقواهما وقوى الطعام كاللّبأ، ثم يعلمان أن الحوصلة تحتاج إلى دبغ وتقوية، فيأكلان من سورج الحيطان، وهو شيء بين الملح الخالص وبين التراب المالح، فيزقانه، فإذا علما أنه قد اشتد زقاه الحب، فإذا علما أنه قد أطلق أن يلقط منعاه بعض المنع، ليحتاج إلى اللقط، فيعتاده، فإذا علما أنه قد قوي على ذلك ضرباه إذا سألهما الكفاية، ومنعاه، ثم يبتدئان لغيره، فيبتدئ الذكر بالدعاء، وتبتدئ الأنثى بالتأني والاستدعاء؛ ثم ترفق وتتشكل، ثم تمتنع فتحبب، ثم يتعاشقان ويتطاوعان ويحدث لهما من الغزل والتقبيل والرشف.

والتنين: إذا هلكت زوجته لم يتزوج، وكذلك هي.

والعنكبوت: تنسج بما هو سكنها شبكة للذباب، فإذا تعرقلت فيها صادها، ويروى أن الليث وهو صنف من العناكب يلطى بالأرض، ويجمع نفسه، ويرى الذباب أنه لاهٍ عنه، ثم يثب وثوب الفهد فيصيدها.

والثعلب: إذا عوزه القوت تماوَتَ ونفخ بطنه، فيحسبه الطير ميتاً، فإذا وقع عليه وثب عليها.

والخفاش: ضعيف البصر، فلا يطير إلا عند الغروب، لأنه وقت لا ضوء فيه يغلب بصره ولا ظلمة.

والنملة والذرّة: تدّخر في الصيف للشتاء، ثم تخاف على المدّخَر من الحبوب العَفَن، فتخرجه فتنشره ليضربه الهواء، وربما اختارت ذلك في ليالي القمر، لأنها فيه أبصر، فإن كان مكانها ندياً، وخافت أن تنبت نقرت وسط الحبة كأنها تعلم أنها تنبت من ذلك المكان، وفلقتها نصفين فإن كان كزبرة فلقتها أربع، لأن أنصاف الكزبرة تنبت من بين جميع الحبوب، فهي من الشم ما ليس لشيء، وربما أكل الإنسان الجراد، أو ما أشبهه فتسقط من يده الواحدة، أو بعضها وليس بقربه ذرّة فلا تلبث تقبل ذرة أو نملة قاصدة إلى تلك الجرادة، فتحاول نقلها إلى موضعها، فتعجز، فتكر راجعة إلى بيتها، فلا تلبث أن تقبل وخلفها كالخيط الأسود، فتتعاون، فتحملها، فأنظر إلى صدق الشم لما لا يشمه الإنسان، ثم إلى نقد الهمة، ثمّ إلى الجرأة في محاولة نقل شيء وزنها خمسمائة مرة أو أكثر أو أقل، وقلّ أن تلتقي أخرى إلا وقفت معها وحدّثتها، ويدل على كلامها قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨].

ومن **الحيات** ما يغمس ذنبه في الرمل وينتصب قائماً نصف النهار في شدة الحر، فيجيء الطائر فيكره الوقوع على الرمل لحره، فيقع على رأس الحية على أنها عود، فتقبض عليه.

وزعم قوم أن الحية في بلادهم تأتي البقرة، فتنطوي على فخذها وتلتقم الثدي، فلا تستطيع البقرة أن تتزمزم فتمتص اللبن.

ومن فَهْم **اليربوع**: لا يتخذ جحره إلّا في كَذْوَة ـ وهو الموضع الصلب ـ ليرتفع عن السيل، فيسلم من مجاري المياه ومدق الحافر، فيحفر في الصلابة ويعمق، ثم يتخذ في زوايا بيته القاصعاء والنافقاء والرامقاء والرهطاء؛ بيوت قد اتخذها ورق أبوابها، فإذا أحس شراً دفع بعضها، وخرج. ولما علم من نفسه أنه كثير النسيان لم يحفر بيته إلا عند أكمة أو صخرة أو شجرة، ليكون إذا تباعد عن جحره لطلب طُعمه أو خوف حسن اهتداؤه إليه.

والظبي: لا يدخل كناسه إلّا وهو مستدير يستقبل بعينيه ما يخاف على نفسه وخشفه.

والضبة: تبيض ستين بيضة، ثم تسد عليهن باب جحرها، ثم تدعهن أربعين صباحاً، ثم تحفر عنهن، وقد انشق البيض.

والنسر: كثير الشره، فإذا امتلأ من الجيف لم يستطع الطيران، فيثب وثبات ويدور حول مسقطه مرات، ثم يرفع نفسه طبقة طبقة في الهواء حتى يدخل الريح تحته فيرفعه.

والسِّنَّوْر: يرى الفأرة في السقف فيحرك يده كالمشير لها بالعود، فتعود ثم يشير إليها بالرجوع فترجع، وإنما يطلب أن تنزلق، فلا يزال يفعل ذلك حتى تسقط.

والأسد: ربما حبس العنز بيمينه وطعن بمخلب يساره في لبته، وقد أقفاه على مؤخرته فيتلقى دمه شاخباً في فيه، كأنه ينصبّ من فوارة، حتى إذا شربه واستفرغه شق بطنه.

والبقّ: يخرج لطلب الرزق، فيعرف أن الذي يُعَيِّشُه الدم، فإذا أبصر الجاموس علم أن خلف جلده غذاءه، فسقط عليه وطعن بخرطومه، وهو واثق بنفوذ سلاحه.

والعُقاب: لا تكاد تعاني الصيد، بل تقف على موضع عال، فإذا اصطاد بعض الطير شيئاً انقضت عليه، فإذا أبصره لم يكن له همة إلّا الهرب، وترك صيده في يدها.

وكذلك **الحية**: لا تحفر موضعاً تسكنه، ولا تهتم بذلك، بل تأتي إلى المكان الذي حفره غيرها، فتسكنه، فينفر عن ذلك المكان.

والأُيَّل يذهب قرنه في كل عام، فإذا علم أنه قد هلك سلاحه لم يظهر من مخافة السبع، فإذا قام في موضعه سَمِنَ، فيعلم أن حركته تبطئ، فيزيد في استخفائه، فإذا ظهر قرنه تعرض للشمس والريح، وأكثر الحركة والذهاب ليذهب شحمه ولحمه، فإذا استقام قرنه عاد إلى عادته الأولى، وهو يأكل الحيات، فيعتريه عطش شديد، فيدور حول الماء، ولا يحجزه عن ذلك إلا علمه بأن الماء يُنفذ السموم، فيسرع هلاكه.

وبيوت **الزنابير** مبنية من زبد المدود، **والقنفذ وابن عرس** إذا ناهشا الأفعى والحيات الكبار تعالجا بأكل الصعتر البَرِّي.

والعُقاب: إذا اشتكت كبدها من رفعها الأرنب والثعلب في الهواء وحطها لذلك مراراً، فإنها لا تأكل إلَّا من الأكباد حتى يبرأ وجعها.

وإذا وضعت **الفأرة** والعقرب في إناء زجاج قرضت الفأرة طرف إبرة العقرب، فسلمت من شرها، ثم قتلتها كيف شاءت.

وإذا وضعت **الدب** الأنثى ولدها كان حينئذ كقدرة لحم غير مفهوم الجوارح، فخافت عليه الذر، فرفعته في الهواء أياماً، وتحوله من موضع إلى موضع إلى أن يشتد.

والسمك: إذا حصلت في الشبكة ولم تستطع الخروج علمت أنه لا ينجيها إلَّا الوثوب، فتتأخر قدر رمح، ثم تقبل واثبة نحو عشرة أذرع فتخرق الشبكة.

والفهد: إذا سمن علم أنه مطلوب وأن حركته قد ثقلت، فهو يخفي نفسه بجهده حتى ينقضي الزمان الذي يسمن فيه الفهود.

* * *

في ذكر
ما ضربته العرب والحكماء مثلاً على ألسنة الحيوان البهيم مما يدل على الذكاء

تقول العرب: أحذر من غراب. ويقولون: قال الغراب لابنه: إذا رُميت فتلوَّصْ أي تلوَّ. فيقول: يا أبت، إني أتلوَّصُ قبل أن أُرمى.

[٦٦٦] ـ قال الشعبي: مرض الأسد، فعاده السباع ما خلا الثعلب، فقال الذئب: أيها الملك، مرضت، فعادك السباع، إلا الثعلب. قال: فإذا حضر فأعلمني، فبلغ ذلك الثعلب، فجاء، فقال له الأسد: يا أبا الحصين، مرضت، فعادني السباع كلهم، ولم تعدني أنت، قال: بلغني مرض الملك، فكنت في طلب الدواء له. قال: فأي شيء أصبت؟ قال: قالوا لي: خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج، فضرب الأسد بمخاليبه ساق الذئب، فانسل الثعلب وخرج، فقعد على الطريق، فمر به الذئب والدم يسيل عليه، فقال له الثعلب: يا صاحب الخف الأحمر، إذا قعدت بعد هذا عند سلطان، فانظر ما يخرج من رأسك.

[٦٦٧] ـ قال الشعبي: أخبرت أن رجلاً صاد قُنبرة، فلما صارت في يده قالت: ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك وآكلك. قالت: ما أشفي من مرض ولا أشبع من جوع، ولكن أعلمك ثلاث خصال خير لك من أكلي. أما واحدة أعلمك وأنا في يدك، والثانية على الشجرة، والثالثة على الجبل. فقال: هات الواحدة. قالت: لا تلهفن على ما فاتك. قال: فلما صارت على الشجرة قال لها: هات الثانية. قالت له: لا تصدق بما لا يكون أن يكون، فلما صارت على الجبل. قالت له: يا شقي لو ذبحتني أخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالاً، قال: فعض على شفتيه، وتلهف، ثم قال لها: هات الثالثة، قالت: أنت قد نسيت اثنتين، فكيف أحدثك بالثالثة. ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدق بما لا يكون أن يكون، أنا وريشي ولحمي لا أكون عشرين مثقالاً. قال: وطارت فذهبت.

[٦٦٨] ـ حدّثنا عثمان بن عطاء، عن أبيه قال: نصب رجل من بني إسرائيل فخاً من ناحية الطريق، فجاء عصفور فسقط، ثم انطلق إلى الفخ، فقال للفخ: ما

لي أراك متباعداً عن الطريق؟ قال: أعتزل شرور الناس. قال: فمالي أراك ناحل الجسم؟ قال: أنحلتني العبادة، قال: فما هذا الحبل على عطفيك؟ قال: المسوح والشعر لبس الرهبان والزهاد. قال: فما هذه العصا في يدك؟ قال: أتوكأ عليها. قال: فما هذه الحبة في فيك؟ قال: رصدتها لابن السبيل أو محتاج. قال: فأنا ابن سبيل ومحتاج. قال: فدونك. قال: فوضع العصفور رأسه في الفخ فأخذ بعنقه، فقال العصفور: سيق سيق، ثم قال: لا غرني بعدك قارئ مُراءٍ مرة أخرى.

قال مجاهد: هذا مثل ضربه اللّه عزّ وجلّ لقراءة مرائين في آخر الزمان.

[٦٦٩] ـ قال مالك بن دينار: مثل قراء هذا الزمان كمثل رجل نصب فخاً ونصب فيه بُرَّة، فجاء عصفور، فقال: ما غيبك في التراب؟ قال: التواضع، قال: لأي شيء نحلت؟ قال: من طول العبادة. قال: فما هذه البُرَّة المنصوبة فيك؟ قال: أعددتها للصائمين، فقال: نعم الخبر أنتَ فلما كان عند المغرب دنا العصفور ليأخذها فخنقه الفخ، فقال العصفور: العبادة تخنق كخنقك، فلا خير حينئذٍ في العبادة بعد اليوم.

[٦٧٠] ـ قال: حدّثنا المعافى بن زكريا قال: زعموا أن أسداً وذئباً وثعلباً اصطحبوا، فخرجوا يتصيدون، فصادوا حماراً وظبياً وأرنباً، فقال الأسد للذئب: اقسم بيننا صيدنا. قال: الأمر أبين من ذلك، الحمار لك، والأرنب لأبي معاوية، والظبي لي، قال: فخبطه الأسد، فأندر رأسه، ثم أقبل على الثعلب وقال: قاتله اللّه ما أجهله بالقسمة، ثم قال: هات أنت. قال الثعلب: يا أبا الحارث، الأمر أوضح من ذلك، الحمار لغدائك، والظبي لعشائك، وتخلل بالأرنب فيما بين ذلك. قال الأسد: ويحك ما أقضاك!، من علمك هذه القضية؟ قال: رأس الذئب النادر بين عيني.

[٦٧١] ـ وذكر الحكماء في أمثالهم قالوا: قيل للذئب ما بالك تعدو أسرع من الكلب؟ فقال: لأني أعدو لنفسي والكلب يعدو لصاحبه.

[٦٧٢] ـ وذكر أبو هلال العسكري قال: قالت العرب: وجدت الضبع تمرة فاختلسها الذئب فلطمته لطمة، فتحاكما إلى الضب، فقالت: يا أبا الحسيل. قال: سميعاً دعوت. قالت: جئناك نحتكم إليك. قال: في بيته يؤتى الحكم. قالت: إني التقطت تمرة. قال: حلواً جنيت. قالت: إن الثعلب أخذها. قال: حظ نفسه بغي. قالت: لطمته. قال: أشفيت والبادي أظلم. قالت: فلطمني. قال: حر انتصر لنفسه، قالت: اقض بيننا. قال: قضيت.

[٦٧٣] ـ قالوا: حدِّث المخاطَب حديثين، فإن لم يفهم فأربعة.

قال العسكري: المعنى إن لم يفهم حديثين كان ممن لا يفهم أربعة أقرب.

قال: وقال بعض العلماء: إنما هو فأربع أي أمسك، وذلك غلط.

[٦٧٤] ـ قالوا: وصادت حِدَأَة سمكة فهمَّت ببلعها، فقالت: لا تفعلي، فإنك إن أكلتِني لم أشبعك، ولكن استحلفيني بما شئت أنني آتيك كل يوم بسمكة، ففتحت فاها لتحلفها، فانسابت منها، فقالت: ارجعي، فقالت: ما رأيت في مجيئي إليك خيراً فأعود.

[٦٧٥] ـ قالوا: وكان رجل في صحراء فعرض له الأسد، فهرب منه فوقع في بئر، فوقع الأسد خلفه، فإذا في البئر دب، فقال له الأسد: منذ كم أنت ههنا؟ قال: منذ أيام وقد قتلني الجوع، فقال الأسد: أنا وأنت نأكل هذا، وقد شبعنا فقال الدب: فإذا عاودنا الجوع، فما نصنع؟ وإنما الرأي أن نحلف له أننا لا نؤذيه ليحتال لخلاصنا وخلاصه، فإنه أقدر على الحيلة منا فحلفا له، فأخذ في التحيل، فلاح له ضوء، فنقب فخرج به إلى فضاء فتخلص وخلصهما.

[٦٧٦] ـ قال: كان أبو أيوب المرزباني، وهو وزير المنصور إذا دعاه يصفرّ ويرعد، فإذا خرج من عنده عاد لونه، فقالوا له: إنا نراك مع كثرة دخولك إلى أمير المؤمنين وأنسه بك تتغير إذا دخلت عليه، فقال: مثلي ومثلكم في هذا مثل بازي وديك تناظرا، فقال البازي للديك: ما أعرف أقل وفاء منك. قال: وكيف؟ قال: تؤخذ بيضة، فيحضنك أهلك، وتخرج على أيديهم، فيطعمونك بأكفهم، حتى إذا كبرت صار لا يدنو منك أحد إلا طرت ههنا، وصحت ههنا، فإن علوت حائطاً كنت فيها سنين طرت منها وتركتها، وصرت إلى غيرها، وأنا أؤخذ من الجبال وقد كبر سني، فأطعم الشيء اليسير، وأوثق يوماً أو يومين، ثم أطلق على الصيد فأطير وحدي، فآخذه وأجيء به لصاحبي، فقال له الديك: ذهبت عنك الحجة، أمَا إنك لو رأيت بازيّاً في سَفُود ما عدت إليهم أبداً، وأنا كل وقت أرى السفافيد مملوءة ديوكاً وأبيت معهم، فأنا أوفى منك، ولكن لو عرفتم من المنصور ما أعرف، لكنتم أسوأ حالاً مني عند طلبه إياكم.

[٦٧٧] ـ قالوا: ورأت الضبع ظبية على حمار، فقالت: أردفيني فأردفتها، فقالت: ما أفره حمارك، ثم سارت يسيراً فقالت: ما أفره حمارك، فقالت الظبية: انزلي قبل أن تقولي: ما أفره حماري.

[٦٧٨] ـ قالوا: وصادت الضبع ثعلباً، فقال الثعلب: مُنِّي عليَّ أم عامر، فقالت: خيرتك خصلتين إما أن آكلك، وإما أن أوكلك؟ فقال الثعلب: أما تذكرين أم عامر التي نكحت في دارها، فقالت الضبع: متى ذا؟ فانفتح فوها فأفلت الثعلب.

[٦٧٩] ـ قالوا: وأولم طائر وليمة، فأرسل يدعو بعض إخوانه، فغلط بعض رسله، فجاء إلى الثعلب، فقال: أخوك يدعوك. فقال: السمع والطاعة، فلما رجع أخبر الطائر، فاضطربت الطيور، وقالوا: أهلكتنا وعرضتنا للحتف. فقالت القنبرة: أنا أصرفه عنكم بحيلة، فمضت، فقالت: أخوك يقرأ عليك السلام ويقول لك: الوليمة يوم الاثنين، فأين تحب أن يكون مجلسك مع الكلاب السلوقية، أو مع الكلاب الكردية، فتجرعها الثعلب، وقال: أبلغي أخي السلام وقولي له: أبو سرور يقرئك السلام، ولكن قد تقدم لي نذر منذ دهر بصوم الاثنين والخميس.

[٦٨٠] ـ قال أبو عمير الصوري: مر تيس بزق، ففر منه، فقال له الزق: تنفر مني مثلك كنت ومثلي تكون.

[٦٨١] ـ قال أبو سليم الخطابي: من أمثلتهم قولهم: لا أريد ثوابك، اكفني عذابك، ومثله قول الشاعر:

كَفَانِي اللَّه شَرّك يا خَلِيلي فأما الخيرُ مِنْك فَقَدْ كَفَانِي

قال أبو سليمان: نظيره قولهم: يدك عني وأنا في عافية، وأصل هذا فيما يتكلم به الناس على ألسنة البهائم: إن فأرة سقطت من السقف، فظفرت الهرة بحملها تقول: بسم اللَّه عليك، فقالت الفأرة: يدك عني وأنا في عافية.

[٦٨٢] ـ **قال المصنف رحمه اللَّه**: أسمعت علي بن الحسين الواعظ يحكي أن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام مر على حواء يطارد حية، ليأخذها، فقالت الحية: يا روح اللَّه، قل له: لئن لم يلتفت عني لأضربنه ضرباً أقطعه قطعاً، فمر عيسى عليه السلام، ثم عاد وإذا الحية في سلته، فقال لها عيسى: ألستِ القائل كذا وكذا فكيف صرت معه؟ فقالت: يا روح اللَّه، إنه حلف لي، فلئن غدرني فسم غدره أضر عليه من سمي، واللَّه الموفق للصواب.

* * *

تم الكتاب بعون الملك الوهاب

فهرس المحتويات


الكتب والمطبوعات
باشراف: سيدبشار + La CuTe AngeL + أبو شهد المسلم
+ mrpunos + الاميره حنونتي + Passion Blanche
+ عثمان القنيطري + si-nour90
تم بواسطة : Passion Blanche
زورو موقعنا: www.startimes.com
ISBN 9953-34-113-3
9 789953 341132